

كلية الدراسات العليا- الآداب
دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

الأبعاد النفسية والاجتماعية للمواجهة في زنازين التحقيق

The Psychosocial Aspects of Confrontation in the Interrogation Cells

رسالة ماجستير مقدمة من

طارق يوسف ناصر ابو مطر

إشراف: د لينة ميعاري

شباط 2017



كلية الدراسات العليا- الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

الابعاد النفسية والاجتماعية للمواجهة في زنازين التحقيق

The Psychosocial Aspects of Confrontation in the Interrogation Cells

رسالة ماجستير مقدمة من

طارق يوسف ناصر ابو مطر

تاريخ النقاش: 2017\2\7

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، رئيسة اللجنة

د. إبراهيم مكاوي، عضوا

د. سعيد شحادة، عضوا

قدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

إهداء

إلى كل من ناضل ويناضل لحرية شعبه.. إلى الجيل القادم.. من سيحملون نبراس التحرر.. إلى أولئك الذين يعرفون طريق العودة إلى حيفا.. أُهدي هذا العمل المتواضع

ملخص

تبدلت أساليب التحقيق المستخدمة من قبل جهاز المخابرات الإسرائيلي في السنوات الأخيرة، لكن هذا التبدل لم يمس جوهر عملية التحقيق، والتي تعمل على إخضاع المناضل من خلال كسر حالة العداء لدى المناضل وكسر ارادته. هذا التحول على صعيد الآليات، وتحولات أخرى في المجال السياسي الفلسطيني صاحبه تحول على صعيد سبل المواجهة في التحقيق من قبل المناضلين الفلسطينيين.

يثير البحث تساؤلات حول أبعاد المواجهة في زنازين التحقيق والأسباب التي تدعو المناضلين للصمود، وهل بقيت هذه الأسباب أيدولوجية تنظيمية مثل السابق أم أن هناك عوامل اجتماعية ونفسية تداخلت مع العوامل الأيدولوجية وإعادة موضعة قيمها داخل المجتمع بحيث تصبح تشمل الصمود كقيمة اجتماعية وليس فقط كقيمة أيدولوجية.

هذه التساؤلات فتحت على البحث أبواب أساليب التحقيق وذلك من أجل فهم كيف تعمل؟ وكيف تؤثر في المناضل؟ وكيف يمكن مواجهتها؟.

اعتمدت منهجية البحث بشكل أساسي على مقابلات معمقة مع مناضلين فلسطينيين خاضوا تجربة التحقيق في السنوات الست الأخيرة، إضافة إلى مراجعة أدبيات التحقيق حول الأساليب وكيفية مواجهتها تاريخياً.

هذه المنهجية في البحث شكلت عامل مهم في الخروج بإطار تحليلي جديد لفهم الصمود داخل التحقيق يعتمد بشكل أساسي على تجارب المناضلين المشاركين في البحث وعلى تجارب المجتمع المحيط فيه، ويركز على الأبعاد الاجتماعية والنفسية للتحقيق.

وأيضاً استعاد البحث العديد من المؤلفات حول التحقيق والتي أصدرتها فصائل المقاومة الفلسطينية إضافة إلى أدبيات عربية وعالمية تناولت السجن والتحقيق كمحطة نوعية في حياة الفرد.

توصل البحث إلى نتائج خلاصتها التراجع على صعيد الأيدولوجيا أفضى مساحة لأن يصبح للمجتمع والعائلة والأصدقاء وما تعكسه من علاقات دورا مهما في مسألة المواجهة. عوضاً عن مسار التحقيق والخلفية الاجتماعية للأسير وطبائعه الشخصية وديناميات عملها الداخلية من سجايا وخصال تشكل بمجملها الموقف النهائي في التحقيق.

من جهة أخرى لا تتوقف آثار التحقيق عند حدود التحقيق بينما تتعدى ذلك لترافق الأسير بعد التحقيق في حياته الاجتماعية، وتنعكس على مجمل العلاقات الاجتماعية للمناضل، حيث تعاد ولادة المناضل من جديد بعد إنجاز التحقيق بالنجاح أو بالفشل.

هذه العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعيد النظر في فهم التحقيق من منطلقات جديدة غير أيدولوجية بشكل أساسي، يجعلنا نفكر ونقف أمام تساؤل كيف يمكن الاستفادة من هذه النتائج وجعلها تخدم مشروع التحرر الفلسطيني.

Abstract

Despite the transformations on the interrogation techniques employed by the Israeli Intelligence Agency in recent years, the substance of the interrogation process still works on subjugating the struggler through breaking the condition of hostility and the will of the struggler. The transformation on interrogation techniques as well as other political transformations were accompanied by transformations on the confrontation techniques by Palestinian strugglers.

The current research poses questions concerning different aspects of the confrontation in the interrogation cells and the factors that enable the strugglers to practice *sumud*. It asks if these factors are ideological, psychological, or social, and how these factors intersect. In order to deal with these questions the research considers the interrogation techniques, their working, their impact on the struggler, and how they are confronted.

The research methodology is based mainly on in depth interviews with Palestinian strugglers who experienced the interrogation during the last six years, in addition to reviewing the literature on the interrogation techniques and its confrontation.

The research resulted in developing an analytical framework for understanding *sumud* in the interrogation based on the experiences of the participants and their surrounded community. This framework focuses on the psychosocial aspects of the interrogation.

The main findings of the research illustrate that the retreat on the ideological level had opened the space for the community, family, and friends to play a central role in the confrontation. In addition, the interrogation proceedings and the sociological background of the struggler, as well as the personality traits and the personality dynamics, all determine the results of the interrogation.

Further, the ramifications of the interrogation experience accompany the struggler after the interrogation and shape the social life and the social relations of the struggler. The understanding of the psychosocial aspects and their role in the interrogation experience open the question concerning the possibility of employing the research findings in the Palestinian liberation project.

الفهرس

الفصل الأول

أهداف الدراسة ومنهجيتها

يُعد الأسر في السياق الفلسطيني حدثاً طبيعياً في ظل وجود الاستعمار الصهيوني الذي يُمارس كل أشكال القمع والتنكيل بهدف إخضاع الشعب الفلسطيني ومساومته على حقوقه التاريخية. بالإمكان تناول الأسر كمؤشر على حيوية واستمرارية مقاومة هذا المشروع ورفض التساوق معه. والأسر كتجربة نوعية في حياة الفلسطيني، وخاصة الأسير، يشكل علامة فارقة في حياته كون تأثيرها لا يتوقف عند حدود الأسر بل يتعدى ذلك إلى الحياة الشخصية والاجتماعية والنضالية.

يبلغ عدد الأسرى الفلسطينيين في سجون الكيان الصهيوني حسب إحصائية نشرت في موقع الضمير ما يقارب 7000 أسير، منهم 720 أسير يقبعون في الاعتقال الإداري، و400 طفل تحت سن الثامنة عشر، و64 أسيرة. بينما يبلغ عدد أسرى الداخل 64، وأسرى القدس 470، والأسرى من غزة 350، وأعضاء المجلس التشريعي 6 (موقع الضمير، 2016)

وتتضمن عملية الأسر عدة مراحل غالبية الأسرى يمرون بإحداها على الأقل، من اعتقال وتحقيق وأسر وعزل انفرادي، فمثلاً يمر عدد كبير من الأسرى سنوياً بعملية التحقيق في مراكز التحقيق الصهيونية والتي تهدف إلى انتزاع المعلومات من المعتقلين بغرض ضرب بُناهم السياسية المقاومة للاحتلال، بالإضافة إلى كسر إرادة المقاومة لدى الأسير وتحييده عن المشروع التحرري.

إن تأثير اعتقال الفلسطينيين وتعرضهم للتعذيب أثناء عملية التحقيق لا تتوقف عند حدود الأسرى، فهذه الفئة جزء من المجتمع وما يحدث معها وعليها يؤثر على المحيط الاجتماعي الذي تتواجد فيه، إن كان على المستوى الأسري أوعلى المستوى الاجتماعي كالعلاقات الاجتماعية مع المعارف والأصدقاء، أوعلى المستوى التنظيمي، عدا عن التأثير المباشر عليهم كأسرى يتعرضون لشتى أصناف التعذيب.

الإشكالية وأسئلة الدراسة

تتناول الدراسة الحالية أساليب التحقيق المختلفة وسبل مواجهتها من حيث تعاطي المعتقلين الفلسطينيين مع هذه التجربة. وتدرس أساليب التحقيق الممارسة بحق المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال في السنوات الستة الأخيرة، وتحلل الأهداف المنشودة منها، وكيفية تعامل المعتقل مع هذه الأساليب، وما هي المنطلقات التي تحكم تفكيره في مجابهة السجان أثناء التحقيق، وما هي الدوافع وراء الصمود أوالاعتراف، وهل يتوقف تأثير التحقيق

عند الحدود الزمانية للتحقيق أم ينتقل لحدود أخرى أكثر تأثيراً على حياة المعتقل الشخصية، وما هو أثر هذه التجربة عليه.

تركز الدراسة على ثلاثة محاور أساسية لتحليل تعامل المعتقل الفلسطيني مع تجربة التحقيق وتشمل: البعد الاجتماعي ودوره في تعزيز صمود المعتقل، والبعد الشخصي للمعتقل ودور السمات والمزايا الشخصية المتشكلة فيه وأثرها على تعاطيه مع هذه المرحلة، والبعد الأيديولوجي وارتباط المناضل بمشروع تحرري وتأثيره على قراره في المواجهة، وقراءة كيف يؤثر مسار التحقيق على نتيجة التحقيق في مفاصل معينة، ومحاولة قراءة التحقيق من زاوية هل هو اعادة خلق للذات أم تشويه للذات، أي أثر التجربة الإجمالي على المعتقل. وبالتالي تكمن أهمية الدراسة كونها تكشف جزءٌ مهم في تقرير سير عملية التحقيق، وهو المسكوت عنه تاريخياً في هذا المجال، كون الدراسات التي درست ظاهرة التحقيق ركزت على موضوعة الايديولوجيا وموضوعة الجماعة ولم تتطرق إلى الأبعاد الأخرى، الاجتماعية والشخصية للمعتقل.

فصول الرسالة

تتكون الدراسة من خمسة فصول أساسية، في الفصل الأول، نعرض سؤال البحث والإشكالية البحثية، ونبين المنهجية وعينة البحث، ومن ثم الإطار النظري الذي ينطلق منه الباحث لمقاربة موضوع الدراسة، ووضعها في سياقها المعرفي، وصولاً للحديث عن الأدبيات الأكاديمية والتنظيمية القائمة حول الموضوع.

في الفصل الثاني نعرض أهم الأساليب المستخدمة في التحقيق ما بين الأعوام 2010-2017، وذلك ارتباطاً بسؤال البحث حول الأساليب المستخدمة في التحقيق وتحليل الأهداف المنشودة منها، إضافة إلى عرض تجارب الأسرى في التعامل مع هذه الأساليب، ونوضح أهم الأساليب النفسية والجسدية المرتبطة بالتحقيق، ونتطرق لأقسام العملاء ودورهم في التحقيق، وهنا سأقوم بتصنيف أساليب التحقيق بطريقة مفاهيمية تهدف بالأساس إلى بناء إطار تحليلي للتحقيق يمكننا من فهم كيف تعمل هذه الأساليب على انتزاع الاعترافات من المناضلين، وذلك من أجل تأسيس أرضية لفهم ومواجهة هذه المفاهيم

في الفصل الثالث، نحاول استقراء نظرية حول الصمود مرتبطة بالأبعاد الاجتماعية للمناضلين، تشكل الإطار التحليلي الجديد لفهم كيف تحرك الدوافع الاجتماعية مسألة الصمود لدى المناضلين حيث نتطرق للمسألة الاجتماعية وكيف تلعب العوامل البيئية والأسرية والعلاقات الاجتماعية دوراً مهماً في عملية الصمود أوالانكسار للمناضل، ففي الباب الأول من هذا الفصل نتطرق للمؤثرات الاجتماعية (العائلة، الأصدقاء، المجتمع) من أجل الاجابة عن أحد أسئلة البحث في دور العوامل الاجتماعية في الصمود. بينما في الباب الثاني نتطرق للعوامل النفسية من خلال صيرورة الفرد وكيفية إدراك ذاته ودور هذه المسالة في دفعه للصمود

أو الاعتراف. بينما في الباب الثالث نتطرق لأهمية "المصلحة الخاصة" في تعزيز صمود الأسير، وهنا تصبح العوامل الخاصة مهمة في الصمود. بينما نذهب في الباب الرابع إلى مسألة جنسنة الصمود والاعتراف في محاولة فهم كيف يستغل المحققين هذه المسألة في التعامل مع الأسرى، وكيف تصبح هذه المسألة، في لحظات معينة، عامل داعم للأسير في التحقيق. وأخيراً في الباب الخامس نتطرق للبعد الأيديولوجي في التحقيق ودوره في تعزيز صمود المناضل، وعلاقة المناضل بمشروعه النضالي ودوره فيه وتأثيره على مواجهته للمحققين.

أما في الفصل الرابع، ندرس مسار التحقيق ونبين كيف تؤثر محطات معينة في التحقيق على نتيجة التحقيق، وكيفية حدوث تحولات جوهرية بين التجربة الأولى والثانية في التحقيق، وذلك ارتباطاً بنتائج التحقيق الأول مع الأسير.

وأخيراً، في الفصل الخامس نركز على دراسة أثر التجربة على المعتقل من حيث نظرته لنفسه ونظرة الآخرين له، وكيف يؤثر هذا مستقبلاً في علاقاته الاجتماعية والنضالية، هذا الأمر الذي يصبح أثراً اجتماعياً وعبرة للآخرين وبالتالي عملية تعليم للآخرين من قبل المناضلين.

المنهجية

تعتمد الدراسة منهجية البحث الكيفي من خلال استخدام أساليب متعددة تشمل: المقابلات الفردية المعمقة مع أسرى خاضوا تجربة التحقيق في السنوات الست الماضية، وتحليل مضمون المقابلات، ومقابلات مع منظري عملية الصمود في التحقيق، إضافة لمراجعة وتحليل إصدارات الفصائل الفلسطينية بخصوص الصمود في التحقيق.

العينة وطريقة الوصول إليها

اشتملت العينة على مجموعة من الأسرى، وعددهم ثلاثون أسيرا محررا. من أعمار وخلفيات مختلفة حيث شملت أربعة عشر أسيرا في العشرينات، وتسعة أسرى في الثلاثينات، وسبعة أسرى في الأربعينات من العمر، ينتمون لفصائل مقاومة مختلفة، وينحدرون من مناطق جغرافية مختلفة، قرية ومدينة ومخيم كانوا قد خاضوا تجربة التحقيق في السنوات الستة الماضية وتم الوصول للاسرى عبر مؤسسة الضمير أوعبر الاسرى أنفسهم، ومن خلال علاقات الباحث مع العديد من الاسرى كونه كان في المعتقل عدة سنوات. وكل أسير يعرف مجموعة أسرى خاضوا تجربة تحقيق، يعطي آلية تواصل معهم للباحث بحيث يمكنه من التواصل معهم ويكون حلقة وصل للباحث، إضافة إلى أنه اعتمد على شخص موثوق به بالنسبة للاسرى من البلدات التي قابل فيها افراد

العينة، مثل شخص لديه تاريخ نضالي ومعروف بشجاعته وباستقامته الوطنية، أوممثل فصائلي في بعض الاحيان. اضافة إلى شمول العينة بعض المنظرين لعملية الصمود في التحقيق.
لم يتم اختيار نساء ضمن العينة لقلة عدد النساء اللواتي خضنَ التحقيق، عدا عن غياب العديد من أساليب التحقيق أهمها العملاء وأقسامهم في التحقيق مع النساء. على الرغم من ان تجربة النساء تختلف من حيث الوسائل وطرق الضغط على النساء خاصة في حالة مجتمعنا العربي البطريركي، من جانب آخر لتوزع العينة النسائية على مجمل الوطن وقلة عددهنّ مقارنة بالذكور فحول التحقيق مع الذكور نستطيع ايجاد عشرات بل المئات من المناضلين في كل مدينة بينما نجد العشرات من النساء في الضفة المحتلة بالمجمل –مكان وقدرة الباحث على التحرك-.

طريقة جمع المعلومات

أولاً: المقابلات الفردية المعمقة مع أسرى خاضوا تجربة تحقيق: ويكون عبر أسئلة مفتوحة حول التجربة وما بعدها. وتبدأ تدريجياً بالتركيز على البيئة الاجتماعية والعلاقات الأسرية والصفات الفردية والحياة الشخصية والعامة بعد التحقيق.
ثانياً: أدبيات التحقيق، تم استخدام وتحليل العديد من الأدبيات الخاصة بالتحقيق أصدرتها التنظيمات الفلسطينية والتي شكلت مصدر ومادة أساسية للمعلومات، إضافة إلى بعض النشرات الداخلية للتنظيمات، والتي بني على أساسها ايضاً العديد من التحليلات داخل البحث.

المنهجية من جانب تأملي وتحليلي في سير البحث

قد أكون قد بدأت فعلياً في هذا البحث منذ عشرة سنوات أثناء مكوثي في المعتقل، فمسألة الصمود كانت دائماً من المسائل الهامة بالنسبة لي لفهم ديناميات المواجهة لدى المعتقلين، فلم أكن أترك أسيراً مرّ بتجربة تحقيق إلا وجالسته وحاورته وسمعت تجربته وأكاد أجزم أنني أتذكر تفاصيل غالبية من سمعت قصصهم في التحقيق. كما أذكر اللحظات الحرجة التي مروا بها، وقد كان السؤال الأساسيّ الذي يراودني: ما هو عامل الانكسار؟ وما هو عامل الصمود؟، وتحديدا آثار الصمود والانكسار على المناضلين وعلى العمل الوطني المقاوم للاستعمار ككل.
بعد خروجي من إعتقالاتي السابقة خضت تجربة تحقيق لمدة 43 يوم في زنازين المسكوبية في نوفمبر\ 2012. وكان لهذه التجربة أثر مهم في محاولة فهم تجربة التحقيق وفهم عوامل الصمود، خاصة تلك التي مررت بها. فلم انفك اتوقف نهائياً خلال أيام التحقيق عن التفكير في مسألة الصمود التي كنت أعيشها لحظةً بلحظة، وأتذكر

الجمل والمقابلات والأحاديث بيني وبين العديد من الأسرى الذين خاضوا هذه التجربة على مدار سنوات اعتقالي الأول والثاني قبل دخولي التحقيق. حتى أنه بعد انقضاء ثلاثين يوماً في التحقيق، كنت في حديث مع المحقق الصهيوني قد وعدته متحديا كتابة رواية حول تجربتي في التحقيق لأوضح ما يحدث في التحقيق وأروي التجربة التي مررت بها، لكن يبدو أن البحث في المسألة أكاديمياً كان أسهل علي وأسرع من كتابة رواية.

عند البدء بإجراء البحث كنت أعلم تماماً الصعوبات التي سأواجهها في المقابلات مع أسرى خاضوا التجربة، كون الأسير دائما ما يحاول إما اخفاء أجزاء من تجربته أوالمبالغة في أجزاء أخرى، كون إدراك التجربة بعد التجربة يختلف من أسير لآخر ارتباطاً بنتائج التجربة.

لقد سهلت العلاقات الشخصية لي إجراء العديد من المقابلات مع أسرى خاضوا التجربة من جهة، ومن جهة أخرى معرفة بعض أفراد العينة عن تجربتي في التحقيق سهلت التعاطي معي كون الأ سرى يرتاحون أكثر لمن يصمد في التحقيق، لكن هذا الامر لم ينسحب على كل أفراد العينة فهناك أفراد من العينة من الذين انكسروا في التحقيق وكان صعب بالنسبة لهم الحديث خاصة أمام باحث يعرفهم ويعرفونه وهو خاض التجربة بطريقة مختلفة عنهم أي "صمد" في التحقيق.

لكن بالتأكيد هذا ليس حال العينة ككل، فهناك أيضاً أسرى صمدوا في التحقيق وبقوا متحفظين في التعاطي معي وحاولوا اختصار التجربة بأقل عدد ممكن من الكلمات، خاصة مع غياب علاقة مع الباحث وغياب شخص معرف ما بين الباحث والأسير، وبالتالي كان الحذر ومحدودية الكلمات هي سمة المقابلة بشكل عام.

وأثناء إجراء المقابلات كان بعض الأسرى يشعرون بالضيق عند ذكر مفاصل معينة في التحقيق، مثل لحظة الانكسار، الزنزانة، إساءة معينة من المحقق. عدا عن الضيق العام عند المقابلة ككل كونها تعيدهم إلى مربع نفسي كانوا قد مروا فيه بغض النظر عن نتيجة مرورهم، حتى أنني كنت دائماً وفي كل مرة أستعيد صور التحقيق، وقد يكون التعاطي مع المسألة من زاوية بحثية قد جعلني أفهم التجربة والمشاعر الناتجة عنها بشكل جديد يختلف تماماً عن تلك المشاعر أثناء التحقيق.

هناك بعض الأسرى رفضوا تسجيل مقاطع معينة وطلبوا عدم ذكر الحديث داخل البحث فقط من أجل أن يفهم يجعلونني أفهم أكثر كيف يفكرون، أيضاً كان لمعرفتي في ظروف التحقيق الدقيقة عامل مساعد لفهم بعض التفاصيل الدقيقة التي يتحدث حولها الاسرى والتي باعتقادي أنه لا يمكن فهم هذه التفاصيل دون معرفة مسبقة بظروف التحقيق وهذا لا يحصل دون المرور بالتجربة ذاتها.

أثناء الكتابة كثيراً ما كانت تتردد كلمات وجمل لأسرى كنت قد سمعت تجاربهم في سنوات الاعتقال عدا عن الأسرى الذين قابلتهم وكنت أُدخل بعض هذه الجمل داخل النص تحديداً تلك التي شعرت بأهميتها وضرورتها، خاصة أن فترة اعتقالي كانت ضمن فترة البحث نفسه.

لكن المسألة الأكثر صعوبة تمثلت في كوني باحث يبحث مسألة تخص أبناء شعبه ولدي موقف تجاه الموضوع أساساً، فقد واجهت فعلاً صعوبة في الفصل أنني عربي فلسطيني وبالتالي أرفض هذا الكيان المعادي للأمة العربية وهذا ما قد يعتبره البعض غياب للموضوعية العلمية، من جهة أخرى أحمل موقفاً الرفض للتعاطي والاعتراف مع المحققين بل والاعتراف بوجودهم، وحتى أنني اتخذ موقف من المعترفين.

هذه المواقف كانت تتوقفني كثيراً أثناء المقابلات أوالكتابة، فأثناء المقابلات كنت كثيراً ما أحاول الخروج من ذاتي كعربي فلسطيني يحمل موقف رافض للاعتراف وأحاول فهم الأسباب الكامنة وراء الاعتراف، وقد يكون ساعدني في هذا الأمر أنني فعلاً أريد معرفة هذا الأمر لأكثر من زاوية ومن ضمنها الزاوية الأكاديمية هذا الامر كثيراً ما جعلني أثناء المقابلات وما بعدها وحتى في بعض لحظات كتابة الرسالة أتخذ موقفاً حيادياً تجاه الصمود أوالاعتراف حتى أنني أبدأ بإعادة النظر بالمعتقد تجاه التحقيق والصمود الذي اتبناه، لم أحسم امري فعلاً إلا في اللحظات النهائية في كتابة وإنجاز البحث، فهناك في النهاية موقف فردي وهناك حاجة جماعية واتخاذك لموقف أوانحيازك لموقف من زاوية بحثية أمر ضروري ومهم لشعب واقع تحت الاستعمار، ففي النهاية تقف أمام سؤال سياسي وتاريخي ووجودي، ما هو الأفضل لشعبي الواقع تحت الاستعمار؟ بالتأكيد سيكون الجواب الصمود في التحقيق.

من زاوية مختلفة في نفس السياق أجد نفسي كباحث أقف في موقف صعب عندما أحاول دراسة التحقيق الذي يمارس على شعبي، فكيف أستطيع أن أكون موضوعياً وأنا أرى كل هذا الاستخدام للعلوم والمعرفة الاجتماعية ضد أبناء شعبي وأن لا أكون منحازاً لشعبي، حاولت دائماً أن أجرد نفسي من قناعاتي وأتعامل كباحث أكاديمي وذلك للوصول لحقائق مهمة تفيد شعبي العربي الفلسطيني في الصراع مع العدو الصهيوني، وباعتقادي أن الحاجة لعلوم بحثية بمعايير أكاديمية ومنحازة معرفياً لقضايا الشعب هي مسألة في غاية الأهمية، وضرورية، لذا أن أتناول التحقيق وأدرسه أكاديمياً بشكل علمي ومن ثم أسخر هذه الدراسة لمعرفة منحازة لقضية الشعب مسألة لا يفرضها البحث الأكاديمي فقط، بل تفرضها الحاجة الموضوعية للحالة الفلسطينية والتي لا تحتاج للشعار السياسي بل للدقة العلمية بوجهة سياسية مقاومة.

وباعتقادي أن ما قمت به هو جزء من دور الباحث في المجتمع، وهو استقراء الواقع وتحويل هذا الاستقراء إلى مسائل تجريدية ومنها إلى التجريب، لخدمة المجتمع وتحقيق أهدافه، وليس الانفصال عنه، وهذا جزء من أبجديات علم النفس المجتمعي.

الاطار النظري

يتكون الإطار النظري من ثلاثة محاور أساسية، في المحور الأول نتناول الحالة الاستعمارية في فلسطين وتشكل الهوية الوطنية الفلسطينية. لقد أعاق المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني الذي فرض على الشعب الفلسطيني تطور الفلسطينيين مقارنة بالشعوب العربية المحيطة، وقد حفز الصراع الاستعماري القوى الكامنة في الشعب الفلسطيني على المواجهة لانتزاع الحقوق الوطنية على المستوى القومي الوطني بالمقاومة، وعلى مستوى التحقيق بالصمود، فالرد على القوة العسكرية الكولنيالية الصهيونية كان فعلاً بالصمود.

في المحور الثاني ننتقل إلى تاريخ الحركة الأسيرة التي ارتبطت بانطلاقة مقاومة المستعمِر الكولنيالي الصهيوني، وبالتالي كانت نشأتها عبارة عن عملية تحدي ومواجهة دائمة ساهمت بشكل كبير في تبلور الذات الوطنية الفلسطينية لمقاومة المشروع الصهيوني.

ومن ثم نلج في المحور الثالث إلى تشكل الذات الثورية في سياق استعماري عنصري كابح لأي تطور يقمع ويقتل ويستبيح الأرض والتاريخ والجغرافيا، وكيف تتبلور هذه الشخصية في خضم صراع التحدي داخل الحركة الأسيرة وداخل ديمومة العمل المقاوم، والذي يبرز فيها في نهاية الأمر شخصية قادرة على تحمل أعباء مشروع التحرر الفلسطيني.

في الاطار النظري نحاول الربط بين كون الفلسطينيين يقبعون تحت نير الاستعمار، وهو استعمار ذو طبيعة فريدة كونه لا يكتفي بالاستيطان بل وبالإحلال أيضاً، الأمر الذي أدى لتحفيز ظهور المقاومة وبالتالي تشكل الفلسطيني الجديد الذي يولد في وسط معركة التحرر بمفاهيم وقيم جديدة تشكل شخصيته، مما ينعكس حتى على السلوك الجديد الذي يمارسه الفلسطيني المقاوم في كافة الأصعدة ومن ضمنها التحقيق.

فالصمود في مواجهة التحقيق هو بالحقيقة ارتباط الفلسطيني بمقاومة عدوه، وهو الحلقة الصغرى من نمط الحياة مقاومة وليس مفاوضات، ومن هنا نستطيع تلمس السبب وراء التحول الذي حدث في التحقيق ومواجهته نتيجة التحول الذي حصل على المستوى السياسي الأوسع، فالحياة أصبحت مفاوضات بعد اتفاقية أوسلو وهذا ينعكس على فهم طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني.

إن فهم تأثير العوامل النفسية والاجتماعية المتشكلة في هذا السياق على المناضل الفلسطيني وتأثير المناضلين كأفراد في هذا السياق يؤهلنا لإدراك كيف تشكلت البنى الاجتماعية للمجتمع وتأثرت شخصية الأفراد في هذا الشرط الاستعماري بكافة مكوناته.

مفاهيم

الصمود: هي حالة الإنكار وعدم التعاطي المطلق مع المحققين في ما يتعلق بالقضية التي يتم التحقيق فيها مع الأسير أولاً، وحالة العداء المستمرة مع المحققين، فالصمود هو بجوهره حالة رفض للتعاطي نهائياً مع أي جزء من المنظومة الاستعمارية بدءاً برفض الاعتراف بها أي رفض الإقرار بالآخر وصولاً لعدم التجاوب مع آليات عنفها – التعذيب الممارس بحق الأسير- سوى بالثبات المطلق (Meari, 2015).

الذات الثورية: هو المناضل\ة في خضم عمله الجماعي للتحرر، ولا يكون المناضل ذاتاً إلا إذا كان منخرطاً في فعل جماعي للتحرر، فيخرج من فرديته كونه فرد لينتقل من ذات فردية إلى الذات الجماعية لخدمة المجموع (سمارة، 2017).

تقديم

لا يمكن إغفال طبيعة المشاريع الاستعمارية القائمة على استخدام كافة آليات السيطرة والتي تشمل العلوم الإنسانية والاجتماعية بما فيها علم النفس، لتتكامل مع المجهود العسكري-الحربي للمستعمِر، بهدف كيّ وعي المستعمَر ومن ثم ترويض سلوكه، وسلبه القدرة على المقاومة لإبقاء قبضة الهيمنة والسيطرة الاستعمارية إن لم تصل إلى حدّ الإبادة.

علم النفس كباقي العلوم من الممكن أن يُسخر للسيطرة على الناس والشعوب، وقد يستخدم لتحريرها، وهذا سنجده بشكل واضح بالمقارنة بين علم النفس الغربي العلاجي، وبين علم النفس الثوري التحرري على نمط فانون كمثال، الذي يسعى لتحرير الناس من مضطهديهم.

في علم النفس العلاجي نلاحظ الاعتماد الواسع على نظرية فرويد التي تقدم ما عُرف ب "التداعي الحر" من أجل تبيان الأسباب الكامنة وراء ما صُنّف في خانة الأمراض العقلية والنفسية وفق التصنيف الغربي للأمراض النفسية. وذلك من أجل استعادة التوازن النفسي بين عناصر النفس الثلاث وفق فرويد بهدف تسوية الصراعات المكبوتة وإظهارها حتى ينجح العلاج (Freud 2017)

تفترض هذه النظرية أن الصراعات المكبوتة في أعماق اللاوعي هي السبب في تحولها إلى أمراض نفسية تنعكس سلوكيا على المريض. وعليه فإن على الطبيب البدء في عملية انتقالية تبدأ بتهيئة وضعيات وأجواء لمرضاه لتساعدهم على الاسترخاء، ولتخفف من قدرة الحواس الشعورية والحسية التي تعمل كحواجز وموانع لاستحضار اللاوعي، ومن ثم تشجيع المرضى بشكل غير مباشر ليتحدثوا بأريحية، ليستطيع الطبيب من خلال كلام المريض معرفة المكبوتات في اللاوعي الحاضرة في تداعيه بالحديث، ليوظّفها لاحقا في مساعدة المريض بالاعتراف بما يعاني منه والتغلّب عليه (نفس المرجع).

إلا أنه، كان هناك نقد للمعيارية العلاجية الفرويدية (التداعي الحرّ) في خمسينيات القرن العشرين، يمثله ايوين كاميرن أستاذ علم النفس في جامعة ماكغيل الكندية، ودونالد هيب مدير قسم علم النفس في الجامعة، وبدعم لاحق من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA). كاميرون أسس أسلوباً يُعرف بالقيادة النفسية، فحواه أن السبيل للعلاج النفسي يكمن في توجيه المرضى لسلوكيات جديدة صحية بعد كسر الأنماط السلوكية المرضية القديمة، أي تحويلهم إلى صفحات بيضاء يتمكّن بعدها من تلقينهم المسلكيات الصحية الجديدة (وثائقي عقيدة الصدمة، 2017).

فبحسب أطروحته هنالك عاملان يتيحان للفرد الحفاظ على إدراكه بالوقت والزمان (من نحن ومن نكون) هما البيانات الحسّية التي ترد إليه والذاكرة. ولكي يصل إلى تلك المرحلة، كان لا بدّ له من إخضاع "المرضى" إلى العديد من الخطوات أولها مهاجمة الدماغ دفعة واحدة لكي يخل بوظيفته الطبيعية ويكسر الأنماط السلوكية القديمة، مستخدما في ذلك جهاز الصدمات الكهربائية بجلسات تتجاوز الحد المقرّ عليه، إلى جانب المنشطّات والمهدّئات والأدوية المهلوسة التي تلعب دورا في إزالة الكبت لدى المريض إلى حين تتراجع دفاعاته. وفي الخطوة الثانية، ينتقل إلى مرحلة القيادة النفسية بواسطة إسماع مرضاه رسائل صوتية مسجّلة يخضعون لسماعها بما يتراوح ما بين 16-24 مرة في اليوم الواحد وعلى مدار أسابيع لاحقة (كلاين، 2009).

وبسبب النتائج المُبهرة التي تمخّضت عن هذا الأسلوب بالتجربة إلى جانب تجارب هيب في ذات السياق، وفي خضم مرحلة سياسية حاسمة على الصعيد الدولي ألا وهي الحرب الباردة، لاقت تلك البحوث والأطروحات والنتائج اهتماما في دوائر وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وذلك بالتوازي مع إطلاقها برنامجا سريا للبحث عن تقنيات استجواب خاصّة وغير تقليدية (تعذيب) لتحطيم معنويات السجناء المُشتبه في أنهم شيوعيون أوعملاء مزدوجون في حينه، وإدخالهم في حالة من الضياع والصدمة بهدف إجبارهم على تقديم تنازلات رغم إرادتهم (كلاين، 2009).

ورُصد للبرنامج السري ما يقارب 25 مليون دولار، شاركت فيه ثمانون مؤسسة بما فيها 44 جامعة و12 مستشفى، بما فيهم كاميرون وهيب، توّج بإصدار كتيبان (دليلان) للتعذيب أُعلن عن وجودها في أواخر التسعينات، كما توضّح أنه تم تصديرها إلى دول تحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية في حينه، وتم تدريب المحققين على استخدامها كما هو الحال في تشيلي والأرجنتين وهندوراس (كلاين،2009). وقد جاء في إحدى تلك الكتيبات:

"ثمة فاصل –قد يكون قصيرا جدا–من تعليق للحركة؛ وهو نوع من الصدمة النفسية أوالشلل يأتي نتيجةً لتجربة صادمة أوشبه صادمة، تنسف بطبيعة الحال العالم المألوف للضحية، ونظرته إلى ذاته في ذلك العالم. ويتعرّف المستجوبون ذوو الخبرة، إلى هذا التأثير لدى ظهوره، ويُدركون أنه في تلك اللحظة بالذات، يكون "مصدر

المعلومات" أكثر قبولا للإيحاءات، وأكثر استعدادا للامتثال، مما كان عليه قبل تلقّيه الصدمة" (كلاين، 2009، ص 58).

في مكان آخر في العالم نجد الثائر والمفكر فرانز فانون يعطينا وجهة نظر أخرى حول علم النفس ودوره في تحرر المضطهَدين. فنجد في كتاب استقالته عام 1956 إشارته إلى التناقض بين الدور الاستعماري وبين أخلاقيات العمل النفسي الثوري.

اما في علم النفس الغربي نجد أن المرضى لدى فرويد يعالجون في فهم حاجاتهم الجنسية أي يتحقق وجودهم النفسي من خلال الجنس، في حالة تم العلاج أساساً، وفي حالة هيب وكاميرون استخدم علم النفس في السيطرة على البشر، أي أن دور علم النفس ينسجم مع السياق والسياسة الاستعمارية الغربية، ويركز على القيم الفردية، ويبعد العوامل الاجتماعية الأكبر من التأثير، مما يتيح لتوجيه بوصلة علم النفس باتجاهات ليست بالضرورة لصالح الشعب أوالشخص الواقع عليه الاضطهاد، بل توجه للأفراد فقط.

أما فرانز فانون فنجد أنه يرى أن اضطرابات مرضاه هي ذات بعد بيئي بمعنى السياق السياسي الاجتماعي حتى لو كان كثير من المرضى فعلاً مرضى لحالات اغتصاب، لكن علاج فانون كان في العلاج بالانخراط بالسياسة وحرب التحرير من أجل إعادة خلق الذات عبر انتمائها للوطن والأمة الثائرة، فيشفى المستعمِر والمستعمَر (فانون، 2014). وهكذا، سخر فانون علم النفس ليؤسس عليه تحليل ما هو سياسي واجتماعي في معالجة مرضاه، لقناعته بأن الهيمنة الاستعمارية هي العامل الأساس في الاضطرابات النفسية، وبالتالي إشراك المصابين في محيطهم البيئي الاجتماعي بدلاً من حجزهم في غرف مغلقة هو العلاج العلمي السليم، وهذا ينبع أساساً من إدراك فكرة حاجة الإنسان للحرية والكرامة.

هذه المعرفة وما يصدر عنها من وسائل تحررية أوسلطوية تستخدمها أيضاً المخابرات الصهيونية، فالمعسكر الاستعماري هو مترابط ويراكم على تجاربه، لذا عملت المخابرات الصهيونية منذ بدء عملها على مراكمة هذا العمل من أجل الاستفادة منه في انتزاع اعترافات من المناضلين الفلسطينين.

على صعيد كي الوعي الذي تمارسه الدولة الصهيونية على الأسرى الفلسطينيين باعتبارهم روّاد المقاومة الفلسطينية، تشير دراسة بعنوان "*واقع التعذيب في السجون الإسرائيلية وأثره على المعتقلين الفلسطينيين*" (2010)، أن إسرائيل قامت بتطوير أساليب التعذيب في السجون وفق أسس علمية لزيادة تأثيرها ونجاعتها على الأسرى وخصوصا فيما يتعلّق بمعرفة الزمان والمكان. إلا أن ما يثير الانتباه في الدراسة ونتائجها، ما تناولته حول العلاقة ما بين اضطراب ما بعد الصدمة والاستعداد النفسي للتعذيب المرتبط بتكرار الاعتقال، التي نصّت على علاقة عكسية بين توفّر الاستعداد النفسي ومرات الاعتقال من جهة واحتمال الإصابة بأعراض

اضطراب ما بعد الصدمة. فهنا الأمر لا يقتصر على معرفة ما سيواجه المُعتقل عند اعتقاله، بل يتعدّاه إلى دور العقيدة الوطنية في صياغة هذا الاستعداد.

ففي الوقت الذي تناولت فيه نعومي كلاين في مؤلفها كيفية تمكّن الأسرى في الأوروجواي ومن خضعوا للتجارب النفسية التي خاضها الأطباء من النجاة من شهور وسنوات تعرضوا فيها للعزل والتعنيف والتعذيب، بأنهم ذكروا سماع قرع جرس كنيسة أوأصوات أطفال يلعبون في متنزه مجاور أوصوت محرّك الطائرة، وهي عوامل لا شك في أنها تساهم في الصمود، ولكن ما قاله أحد الأسرى المحررين الفلسطينيين من أن الإيمان والعقيدة الوطنية لها الدور الأكبر في صمود الأسير وقدرته على الاستمرار والمواجهة، وتجاوز آثار السجن النفسية (مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب، 2010).

في سياق علم النفس المجتمعي تأتي هذه الاطروحة، ففي الوقت الذي يستخدم علم النفس لخدمة أهداف استعمارية مرتبطة بمصالح الاستعمار تلح الضرورة والحاجة للمساهمة في تكوين علم نفس تحرري ونقيض لعلم النفس الاستعماري.

حيث أن علم النفس الغربي أصبح متواطئاً مع حكوماته في استخدامه كمعرفة منهجية للسيطرة على الشعوب والمضطهَدين، وبذلك يفقد هذا العلم أساسه الأخلاقي في كون العلوم يجب أن تخدم البشر وتحررها، فيصبح هنا بالضرورة أهمية لعلم النفس المجتمعي التحرري في تشكيل حالة النقيض المغايرة المنحازة للشعوب ومشاكلها وهمومها، وتسعى لتحريرها من كافة مستغليِها.

السجون في التاريخ

ربما ترافق وجود السجون مع سقوط المشاعيات لصالح الملكية الخاصة من جهة ومن ثم تشكُّل الدولة من جهة ثانية، بما هي أداة من يملك لتطويع من لا يملك ولاحقا من يعمل. ومع الدولة/ السلطة المرتكزة على القوة المادية والجُند وضعت الدولة قوانينها لحماية مصالح من يملكون، وبالتالي معاقبة من يخالف (سمارة، 2017). لكن مصالح الدول لا تقتصر على جغرافيتها، بل تتجاوزها وصولا إلى إقامة الإمبراطوريات، وهو الأمر الذي دفع كثيرين في الربع الأخير من القرن العشرين لقول بأن العولمة قديمة قدم الإمبراطوريات (سمارة، 2017)[1].

---

[1] كتب في هذا الموضوع المفكر الاقتصادي سمير أمين، في مؤلفاته حول العولمة.

إن خروج الدولة من جغرافيتها إلى ما هو أوسع لقهر الشعوب والدول الأخرى ترتب عليه انتصارات وهزائم ومن ثم قتلى وجرحى وأسرى. فترة الامبراطورية الرومانية واليونان، واليونان استعبدت كثيرين وذه اجعلها أيضاً تهتم بتأسيس سجون لتضع بها الأسرى من الامبراطوريات الأخرى (سمارة،2016).

وعليه، تتنوع السجون/المعتقلات من حيث من يتم إلقائهم فيها، أي معتقلي النضال الطبقي أوالقومي.

تشكل الحالة الفلسطينية النموذج الأكثر وضوحا عن الاستعمار الاستيطاني الرأسمالي الأبيض، حيث تتواشج فيها ظاهرة القهر الاستعماري والاغتصاب الاستيطاني والعنصرية الثقافية المتراكبة على توظيف سياسي للدين (الدين السياسي) وجميعها تم تسخيرها لإقامة بنية رأسمالية حربية تتناقض تناحرياً مع أهل الأرض ذاهبة إلى اقتلاعهم التام أنَّ كان ذلك ممكنا.

تجدر الإشارة إلى أن مختلف حالات الاستعمار الاستيطاني الرأسمالي الأبيض ارتكزت على بلد استعماري متروبول خاص بها، (فالبلد المتروبول لأستراليا ونويزيلندا والولايات المتحدة هي بريطانيا، كما أن هولندا وبريطانيا هما متروبول الاستيطان الأبيض في جنوب إفريقيا، وفرنسا البلد المتروبول للمستوطنين في الجزائر...الخ)، إلا أن الحالة الفلسطينية اتسمت باستعمار استيطاني رأسمالي أبيض كان المركز الراسمالي في مرحلة الإمبريالية متروبوله. بل إن هذه الحالة قد تعرضت لما يقارب الإجماع العالمي لصالح الاستيطان اليهودي في فلسطين حيث جرى دعم هذا المشروع الاستيطاني ورعايته من •المركز الإمبريالي •الكتلة الاشتراكية •الاشتراكية الدولية •النظام العربي (بالتعاون والتهاون واللامباشرة) (سمارة،2015، ع3847)

صحيح أن هناك سماتاً مشتركة بين مختلف أنماط الاستعمار، وبالطبع بين حالات الاستعمار الرأسمالي الاستيطاني الأبيض، إلا أن للحالة الفلسطينية تفردها.

إن السمات الأساسية والتي تتفرد بها حالة الاستعمار الرأسمالي الأبيض في فلسطين عن غيرها هي:

1- إن البلد الأم لهذه المستوطنة البيضاء هو النظام الرأسمالي العالمي وليس بلدا واحدا.
2- وحده الذي خلق مشكلة لاجئين.
3- وحده الذي صُمِّم سلفا لإقامة دولة.
4- وحده الذي فشلت أكثر من موجة هجرات استيطانية قبل أن ينجح الاستيطان.
5- وحده الذي لا يزال يواجه مقاومة حقيقية من الشعب الأصلي أهل البلاد والعرب.
6- هي آخر حالة استيطان أبيض.
7- الكيان الوحيد الذي لا تزال الإمبريالية جاهزة للقتال من أجله لكنه الكيان الوحيد الذي أمام اية أزمة يستدعي نقاشا جديا بأن مصيره مهدداً (سمارة، 2015).

يبين هذا التشخيص كم هي الحالة الفلسطينية معقدة من جهة، كما يلقي ضوءا على تواطؤ المجتمع الرسمي الدولي مع الكيان الصهيوني على حساب الفلسطينيين من جهة ثانية، وهو ما يتمظهر في كافة مناحي حياة الفلسطينيين ولعل أشد تمظهراته هو في أقبية التحقيق.

الحالة الاستعمارية في فلسطين

كانت هولندا ومن ثم بريطانيا أول الدول الأوروبية في مرحلة الرأسمالية التجارية التي طرحت إقامة دولة يهودية في فلسطين. ثم توارثت/تشاركت دول أوروبا الغربية خاصة تبني هذا المشروع حاملة إياه من مرحلة أوحقبة الاستعمار إلى حقبة الإمبريالية حيث جسدته في دولة الكيان الصهيوني (إلمي، 2003).

وهو المشروع الذي اتخذ شكل موجات هجرات يهودية إلى فلسطين، بدأت تجريبيا في ستينات القرن التاسع عشر، وتصاعدت في بدايات القرن العشرين وصولا إلى قمة تراكم عددها البشري عام 1948 إلى 650 ألفا. والتي واجهها الفلسطينيون دائما بالمقاومة وبمشاركة من بعض الانظمة والقوى الشعبية العربية أنَّى تسنى لها ذلك (سمارة،2014).

تتشابك عدة عوامل في تشكيل هوية مجتمع ما. وهي مسألة تبدأ من الجغرافيا بما هي الحيِّز أوتجاوزاً المكان من جهة ومن ثم دور الإنسان وفعله في ذلك الحيز، أي الزمان متجسدا في نمط الإنتاج الذي يفعل به الإنسان في الطبيعة خالقا نمط حياته وثقافته ومسكنه وطعامه...الخ. فالأولية هنا هي وجود الإنسان وتفاعله مع البيئة وتأثيره فيها وتجلي هذا في المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والنفسية. وهذه جميعا، تشترك في مقاومة المؤثرات الخارجية سلبا أوإيجاباً. بمعنى الفاعل مع الخارج أومقاومته (سمارة،2016).

لذلك فإن قراءة السياق الاجتماعي الفلسطيني بتفاعلاته المختلفة تحتاج لإدراك السياق السياسي والاجتماعي بكافة جوانبه والواقع والمقاوم للشرط الاستعماري، حتى لا تصبح المعرفة المنتجة معولمة بمعنى انخراطها ضمن البنية المعرفية للواقع بل وجزء من استدخال المعرفة الاستعمارية، وتخرج خارج إطار الموضوعية العلمية كونها لا تضع الظروف بسياقها التاريخي والاجتماعي (عودة الله، 2012). " فالحالة التي يعيشها الفلسطينيون هي حالة استعمار استيطاني بامتياز بالرغم من المحاولات المختلفة لتسويغ هذه الحالة كصراع بين قطبين متوازيين ومتساويين بعلاقتهما بالمكان والزمان المتنازع عليهما" (ناشف،2011).

إن الظاهرة الاستعمارية بجوهرها الرأسمالي عنيفة. والاستعمار الاستيطاني تحديدا، هو ظاهرة إستلابية للإنسان، ظاهرة تسلب شعب ليعيش شعب آخر على أنقاضه، تماماً كما تسلب الطبقة البرجوازية الطبقة العاملة فتزداد ثراءً بينما تزداد الطبقة العاملة فقراً. وهكذا الاستعمار الكولونيالي الاستيطاني، يستلب شعب ليرفع مستواه الاقتصادي والمعيشي مقابل الحد من تطور الشعب المستعمَر. في الحالة الفلسطينية لا يقف الامر عند

هذا الحد، فالسلب هو سلب للثقافة وسلب للتاريخ وسلب للجغرافيا وسلب للعلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة فهي حالة إحلالية جديدة (سمارة،2010).

إن خصوصية الاستعمار الاستيطاني الأبيض مختلفة تماماً عن الاستعمار العسكري، فهو بالبداية استيطاني أي يجلب المستوطنين ليحلوا مكان السكان الأصليين، وبالتالي العملية هنا إحلال مستعمِر مكان مستعمَر(فانون،2014) ونستطيع تلمس ذلك في الحالات الاستعمارية كالولايات المتحدة،أستراليا، نيوزلندا، جنوب أفريقيا، وسابقاً الجزائر، والآن نجده ونلمسه بشكل مباشر في الحالة الاستعمارية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني المعادي الذي عمل على تطهير الشعب في عام 1948 وما يزال يعمل على تطهيره لو بشكل بطيء وزاحف (نابلسي، 2017)

والاستعمار الاستيطاني في فلسطين غير منفصل عن السياق الرأسمالي الامبريالي العالمي الذي تبلور في بداية القرن العشرين، فهو جزء صميمي وأساسي في هذا النظام الذي زرع جسم استعماري في المنطقة من أجل سلب موارد المنطقة ونهب خيراتها، وإبقاء الدول العربية متفرقة تحت السيطرة الاستعمارية تابعة للغرب الامبريالي(توما،1972).

في الوضع الاستعماري نجد المستعمِر والمستعمَر خطان متوازيان لا يمكن أن يلتقيا، فوجود الأول يتطلب وجود الآخر ولكن في علاقة تناحرية متناقضة، لو اختفى أحدهم بالضرورة اختفاء الآخر، فهما بحالة صراع وجودي، إحلالي، إما المستعمَر وإما المستعمِر، العلاقة بينهما قائمة على العنف، فالإحلال هو عملية عنيفة بحد ذاتها، وعملية التحرر لا تتم إلا بالكفاح المسلح، الذي يطهر المستعمَر من ويلاته المرسومة بتاريخه ويعيد له تاريخه الجديد ليبدأ بتسجيل تاريخه من جديد (فانون،2014).

يحاول المستعمِر تطهير المكان- الجغرافيا، التاريخ، الإنسان، يحاول صناعة عالم جديد، بمدن جديدة، ومسميات جديدة، وتاريخ آخر جديد، ينجح هذا بمقدار ما ينجح بالقضاء التام على المستعمَر، لكن المستعمَر يقاتل ويقاوم ويثور ويكافح في سبيل حريته وهنا فقط يبدأ باكتشاف ذاته وهويته (فانون،2014).

إذن العلاقة الاستعمارية قائمة على النفي، وبالتالي هي علاقة صراعية. فالمشروع الاستعماري يمثل الجزء الصميمي من النظام الإمبريالي العالمي الساعي لنهب الشعوب وثرواتها في مقابل المشروع التحرري النقيض لهذا المشروع الاستعماري، وهو جزء من حالة الرفض التي يعبر عنها الشعب المظلوم والمضطهد في مواجهة مضطهِده.

العلاقة الصراعية هنا هي علاقة عنيفة تناحرية، لا تنتهي إلا بإنتهاء أحد طرفي الصراع. أي بانتصار مشروع على آخر. والحرب الدائرة بين هذين المشروعين إنما هي سلسلة من المعارك التي يخوضها الطرفان في سبيل تركيع الطرف الآخر وهزيمته.إن الحالة الاستعمارية في فلسطين هي حالة كولونيالية استعمارية في مقابل حالة

فلسطينية تحررية. الاستعمار الصهيوني يسعى للقضاء على الفلسطيني والسيطرة على أرضه، والفلسطيني يعمل على مواجهته والتصدي له وتحرير أرضه.

ولكي لا تكون قراءة المشهد الصراعي في فلسطين ملتبسة، تجدر الإشارة إلى أن مقاومة الفلسطيني للغزو الاستعماري الصهيوني نابعة من الوجود الاجتماعي الثقافي الكامن للفلسطيني وجاهزيته للمقاومة. بمعنى أن المقاومة الفلسطينية ليست وليدة أوتصنيع الغزو الصهيوني، بل هي القدرة على المقاومة والتي يعود كمونها إلى غياب التحدي الوجودي حيث تتفجر في مواجهته (سمارة،2011،ع58).

وضمن هذه الثنائية الصراعية تبرز السجون كجزء من حالة الصراع والمنظومة الاستعمارية للسيطرة على المشروع التحرري الفلسطيني المواجه للاستعمار، فيكون السجن حالة قطع تام، مواتاً نسبيا للفرد ونزعه عن محيطه الاجتماعي، فيعمل على وقف تأثيره على محيطه، وبالتالي إبطال فعاليته.

أما التحقيق فهو أعلى تجلي للحالة الصراعية بين المشروعين عندما يقف الطرفان في مواجهة مباشرة، فالمناضل من جهة ومخابرات العدو الصهوني من جهة أخرى (Meari, 2015).

الحركة الأسيرة ما بين القمع والتحدي

تشكل المقاومة الفلسطينية بعد عام 1967 امتدادا للمقاومة الفلسطينية للمشروع الرأسمالي (بحقبتيه الاستعمارية ومن ثم الإمبريالية) لاغتصاب فلسطين.

وكما يقتضي البحث الأكاديمي من حيث حصر البحث في أصغر مساحة ممكنة ومن ثم الحفر فيها بأكثر تعميق ممكن، صار لا بد من البدء فقط من نضال الحركة الأسيرة بعد احتلال بقية فلسطين عام 1967.

خاضت الحركة الأسيرة العديد من النضالات منذ نشأتها مع انطلاقة المقاومة الفلسطينية المعاصرة عام 1967، حيث ارتفع عدد المعتقلين الفلسطينين بشكل كبير عقب استكمال احتلال باقي أجزاء فلسطين التاريخية وبعض الأراضي العربية المحيطة، وزجّ بالسجون أعداد كبيرة من الفلسطينين والعرب (قاسم وآخرون، 1986).

ارتبط تشكل الحركة الأسيرة بعوامل أساسية، كان أولها استكمال احتلال فلسطين وبالتالي وقوع الفلسطينيين تحت الاحتلال وهذا أدى إلى مقاومة الفلسطينيين، ثانياً: انطلاقة المقاومة المسلحة الفلسطينية أي وجود عمل مقاوم مضاد للاستعمار جعله يزج بالمقاومين في السجون، ثالثاً: تشكل حاضنة شعبية لحركة المقاومة وللحركة الأسيرة خارج السجون تطالب بحريتهم وتحتج على الظروف التي يمر بها الأسرى الفلسطينيون (أبو خضير،2017).

واجهت الحركة الأسيرة تحديات انسانية عديدة أثناء تبلورها كحركة نضالية داخل السجون. هذه الحركة ولدت من رحم التحديات التي كانت قائمة، فقد كان الأسير يتعرض للتنكيل والحرمان المستمر الهادف لقتل روح

المقاومة والصمود في داخله كجزء من العملية الصراعية التي يمارسها المشروع الاستعماري الصهيوني في سبيل تصفية المشروع التحرري الفلسطيني (القيمري، 1984).

فبدأت الحركة الأسيرة بالإضراب من أجل وقف العمل في تصنيع شبك تمويه الدبابات الإسرائيلية، وبالسماح لهم بالنوم على الفرشات، وإيجاد حمام يومي، وطعام لائق، والحصول على الكتب، وكان نتيجة هذه الإضرابات سقوط الشهداء منهم عبد القادر أبو الفحم الذي سقط أثناء محاولة إطعامه قسرياً من أجل فك إضرابه، هذه الظروف القاسية هي بالحقيقة التي ولدت الحركة الأسيرة (أبو خضير،2017).

على صعيد آخر كانت أساليب التحقيق في فترة السبعينات تعتمد على التعذيب الجسدي الشديد، من ضرب وتخليع الأكتاف وتهشيم الوجه، والشبح المتواصل، وكان قلة قليلة من الأسرى تصمد أمام هذا التعذيب الوحشي، بل كانت التنظيمات توصي أعضاءها بالصمود لمدة ثلاثة أيام أواسبوع حتى يستطيع رفقاء الأسير مغادرة البلاد خلال هذه الفترة، وقد يكون استشهاد محمد الخواجا شكل حرجاً حقوقياً للاحتلال مما جعله يعدل قليلاً من أساليبه في البطش بالتحقيق (قطامش،2011).

خلال هذه السنوات العشر أي ما بين عام 1970 وحتى عام 1980 تشكلت الحركة الأسيرة واشتدّ ساعدها وأصبحت حركة قادرة على مواجهة إدارة السجون، فبدأت بالتحول من حركة بذاتها إلى حركة لذاتها، فيما يتعلق بدفاعها عن الأسرى وحقوقهم، وفي قدرتها على التعبئة والتحشيد والتثقيف وتخريج كوادر المقاومة، وكانت تلك بداية مرحلة الشباب لتشكل الحركة الأسيرة (القيمري،1984).

ما بين الأعوام 1980-1985 كانت الحركة الأسيرة المكان الحقيقي لبناء كوادر مقاومة ومثقفة وقادرة على قيادة النضال الوطني لحظة خروجها، وهذا ارتبط بكون هذه الحركة الأسيرة واجهت إدارات السجون وقمعهم في صمود ومقاومة وإضرابات نجحت في معظمها في تحقيق مطالبها العادلة إضافة إلى إسناد الشارع الفلسطيني العالي لها (ابو خضير،2017).

في تلك الفترة أي بعد عام 1980 كانت حركة المقاومة الفلسطينية بالخارج أيضاً في طور التبلور والنمو وأصبح شعار الاعتراف خيانة هو الناظم خاصة لدى الجبهة الشعبية، فلم يعد الصمود مجرد ثلاثة أيام أوأسبوع واحد، بل أصبح الاعتراف ممنوع لأثره على البنية التنظيمية وتراكمها، وبقي هذا الشعار دارج وقوي داخل المجتمع وداخل التنظيم حتى عام 1993 (قطامش،2011).

بعد عام 1993، بدأت الحركة الوطنية الأسيرة في التراجع نظراً للتحولات على الصعيد السياسي الفلسطيني من دخول أوسلو وما أفرزه من قيم فردانية وتحويل القيم الدارجة من صمود وتحدي وتحرر للبحث عن الخلاص الذاتي والخروج من السجن مما أثر بشكل كبير على حال الحركة الأسيرة.

استمرت هذه الحالة بالانحدار المستمر، وتواصل الانحدار مع فشل إضراب عام 2004 الذي كسر الحركة الأسيرة مما أدى إلى سحب إدارة السجون العديد من إنجازات الحركة الأسيرة التي حققتها على مدار سنوات طوال في النضال، وازداد هذا الانحدار أكثر وأكثر في عام 2007 عندما حصل الانقسام الفلسطيني، الذي تجلى بالسجن من خلال فصل أسرى حماس عن أسرى فتح مما سهل لإدارة السجون اللعب على التناقضات بين أطراف الحركة الأسيرة.[2]

طبعاً الصعود والتراجع داخل الحركة الأسيرة ارتبط أيضاً بصعود وتراجع الحركة الوطنية، فما يحصل في الخارج ينعكس بالضرورة على ما يحصل داخل السجون، كما ينعكس على عملية المواجهة في التحقيق.

الذات الثورية المقاومة

عملت فصائل المقاومة منذ تأسيسها على بناء الذات الثورية بطرق عديدة، من مهام، وتثقيف، وتعبئة سياسية وأيدولوجية حتى يصبح العضو قادراً على التأثير في المجتمع، وقادراً على قيادة النضال الوطني وجزءاً مؤثراً فيه.

والذات الثورية، هو المناضل حامل المشروع التحرري والذي يربط نفسه في هذا التحرر من الاستعمار وبالتالي يكرس حياته للنضال ضده، وهنا يكتسب المناضل تصرفاتٍ وسلوكاً جديداً مختلفاً عن السلوك الذي كان يحمله من قبل باكتسابه المعرفة الثورية.

يحدد علي شريعتي (٢٠٠٧) طرقاً أساسيةً لبناء الذات الثورية في كتابه بناء الذات الثورية، حيث يحدد العبادة كأول وسيلة في بناء الذات وتقربه إلى الله كونها تطهر نفسه من الأمراض والشوائب. والعمل هي الوسيلة الثانية. وهنا يبين شريعتي أنه لا يفصل البناء عن العمل فالعمل يصنع الإنسان باللحظة نفسها التي يصنع الإنسان الشيء الجديد. فثورة الأفكار والوعي تسبق العمل، وهذا يأتي بالكتب، وبالوقت ذاته نجد أن العمل مصدر من مصادر المعرفة فالخبرة العملية تضيف على الخبرة النظرية وتغربل الشوائب الموجودة بالكتب وما فيها من أفكار غير سليمة والتي تتوضح فقط عند التطبيق.

واخيراً يكون النضال الاجتماعي، الانخراط بين الناس وهمومها أساساً في تربية الإنسان، فالحكومات دائما تنزع إلى إبعاد الناس عن السياسة من أجل أن تبقى مسيطرة عليهم وبالتالي يبقون خارج حيز التأثير السياسي والاجتماعي (شريعتي،2007).

---

[2] حوار ما بين الباحث وبعض قيادات السجون أثناء مكوثه داخل السجن

النقطة الهامة عند شريعتي هي دمجه لهذه المفاهيم الثلاث سوياً في بناء الشخصية، فالعبادة هي حالة تعبئ الشخص بالأفكار التي يؤمن بها، والتي نستطيع إطلاق عليها عملية الأدلجة بالمعنى الحزبي أي أن يمتلك المناضل البعد العقائدي للنضال، فالمؤمن بعبادته يزداد عقائدية، تماماً كما الشيوعي كلما ارتقى في فكره النظري يزداد إيماناً بأفكاره التحريرية للمجتمع والبشرية، بينما يأتي العمل والذي يمكن الإنسان من نقل هذه الافكار إلى حيز الممارسة العامة ومن ثم إلى النضال الاجتماعي داخل المجتمع، تماماً كما يؤكد ماركس أن السياسة فعل شمولي. وهنا اتفق مع شريعتي بالأنساق الثلاث بشكل عام وإن اختلفت بربطها بالبعد الديني، فالشيوعيين بالتاريخ مثلوا لنا تجارب مذهلة كان ذلك في الثورة البلشفية أوالفيتنامية أوالصينية أوحتى محاولات التحرر الفلسطيني وهذا نجده في مؤلف قطامش (2011) في التنظيم الثوري السري.

في كتابه (لن ألبس طربوشكم) يشير أحمد قطامش (1998) إلى أن الصمود في التحقيق ليس مسألة لحظية أوعابرة بل هي كائن حي ينمو "..فقرار التحدي ينمو داخل الإنسان سنة بعد سنة، وبالإيمان بالأهداف العادلة للشعب ينمو سنة بعد سنة، والموقف الأخلاقي المتمرد على الإهانة والجور ينمو سنة بعد سنة، والعقائد الأيدولوجية التي تتطلع لتحرير البشرية وبناء خالٍ من الاستغلال والاضطهاد تنمو سنة بعد سنة، مثلما أن قرار التردد وعدم الوضوح والاستعداد للرضوخ والمساومة تنمو سنة بعد سنة، وتجربة الزنازين ليست سوى المحك والامتحان لقرار ما قبل الاعتقال.." فهنا يشرح قطامش أن المسألة هي بالأساس مسألة عقائدية تنمو مع تطور النضال وتطور وتصلب وتبلور شخصية المناضل في هذا السياق التاريخي. طبعاً لا يتوقف قطامش عند هذا الحد في فهم تشكل ذوات المناضلين بل يأخذ منحىً اجتماعياً وإن لم يتوسع به كثيراً باشارته بأكثر من مكان في الرواية إلاّ أن التربية التي يتلقاها الفرد في أسرته تلعب دوراً مهماً في جعل الفرد يواجه أويهرب من المواجهة، ويفرد في ذلك تفصيلاً في روايته عن علاقته بوالدته ووالده.

وهو في ذلك يتوافق مع فكرة علي شريعتي أن النضال الاجتماعي والعمل أمران مهمان في بناء الذات الثورية، كون المناضل ينمو في غمرة النضال، أوكما قال جيفارا (١٩٩٨) في مذكراته عن الحرب الثورية: "تعلمنا الماركسية في الجبال" أوالبراكسيس بلغة جرامشي.

في كتاب فلسفة المواجهة، وهو كتاب تثقيفي داخلي أصدرته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1980 كإصدار داخلي يهدف بشكل أساسي لأدلجة الصمود والحثّ عليه، وتوضيح وسائل التحقيق وكيفية مواجهتها. وفيه يوضح أن هناك أسساً تربويةً مهمةً في دعم عملية الصمود داخل زنازين العدو، وهي بالأساس أسس في بناء الذات الثورية، حيث حدد وجود تربية حزبية داخلية لأعضاء الفصيل، وتعريف المناضل على الخيارات التي سيواجهها وكيف يواجهها من خلال عملية التثقيف، إضافة إلى نوعية المناضل وخلفيته الأسرية والطبقية،

وأخيراً طبيعة التنظيم العقائدية، فالتنظيم المؤدلج هو أكثر قدرة على تربية أفراده بطريقة يستطيعون من خلالها تحمل عواقب النضال.

مع هذه الحقيقة ينسجم فكر فانون "...إننا نعتقد أن الكفاح المنظم الواعي الذي يخوضه شعب من الشعوب لاسترداد سيادة الأمة هو أكمل مظهر ثقافي ممكن، ليس نجاح الكفاح وحده هو الذي يهب للثقافة قيمة وصدقاً وقوة، بل إن معارك الكفاح نفسها تنمي، في أثناء انطلاقتها، مختلف الاتجاهات الثقافية وتخلق اتجاهات ثقافية جديدة، فالكفاح لا ينمي الثقافة أثناء اندفاعه، وكفاح التحرير لا يرد إلى الثقافة الوطنية قيمها وأطرها القديمة، ولا يملك ما دام يهدف إلى إعادة تنظيم العلاقات بين البشر إلا أن يبدل الأشكال والمضامين الثقافية للشعب، إن التحرير لا يزيل الاستعمار فحسب، بل يزيل المستعَمر أيضاً". وهكذا يلتقط فانون حقيقة الصراع بأنه إذا كان هناك خلقاً من طرف فهو خلق للآخر بشكل متبادل (فانون، 1970).

أما الباحثان كناعنة ونتلاند (2003) فقد حاولا وضع إطار نظري نقدي يرتكز للسيرة الذاتية في فهم تشكل الذوات الخاصة للفلسطينين في إطارها الاجتماعي وكيفية بناء ميكنزمات الدفاع والقدرة على مواجهة العنف والبطش الإسرائيلي. فالصمود في وجه العنف والاضطهاد من قبل الفلسطينيين ما بين الانتفاضتين، والقدرة على تحمل المآسي والبطش المستمر هو " محصلة لكل ما مر به ذلك الإنسان من تجارب في حياته، منذ لحظة ولادته إلى لحظة العنف ذاتها، وكل ما انتقل إليه من تجارب آبائه وأجداده وأصبح جزءاً لا يتجزأ من ذاته المدركه. فنوعية إدراك الذات لحدث العنف وردها عليه تحددهما ماهية الذات المدركة في لحظة الإدراك، وماهية الذات المدركة في لحظة الإدراك هي مجمل تجاربها في كل لحظات الحياة، وهذا المجمل يختلف من فرد إلى آخر، ففيه الكثير من أوجه الاختلاف والخصوصيات، وفيه الكثير من أوجه الشبه والتجارب التاريخية المشتركة، وأوجه الشبه تؤدي إلى أنماط، أما أوجه الاختلاف فتؤدي إلى اختلاف الأنماط" (كناعنة ونتلاند،2003، 9).

هذا الفهم لكناعنة ونتلاند يقودنا لمحاولة تفسير عملية الصمود داخل أقبية التحقيق كعملية تاريخية للفرد لا ترتبط بلحظة التحقيق ذاتها بقدر ما ترتبط بسياق تشكل الفرد وصقل شخصيته وهويته بما يحمل من أفكار وعقائد وإدراك وارتباطات، وما مر عليه من تجارب شخصية، اجتماعية أونضالية. هذا الفهم الذي يستطيع ان يفسر لنا كيف يصمد آخرون ويعترف آخرون رغم وجودهم في ذات البيئة، ويساعدنا في تفسير وجود اثنين من نفس البيئة فيصمد واحد ويعترف الآخر.

هذا الأمر أيضاً أكدته نتائج البحث الحالي، فالذات لا تتشكل من خلال عامل واحد بقدر ما تتشكل من خلال عوامل عديدة متداخلة مع بعضها بترابط وثيق. فالعامل الأيدولوجي والإيمان بالمشروع التحرري والدور فيه لا ينفصل عن العامل الاجتماعي ودور المجتمع في تربية الصمود، ولا ينفصل عن سمات الشخصية

وخصائصها الفريدة، والذي يرتبط بسياق نمو وتطور الفرد وطبيعة الصعوبات التي يواجهها، وهو وثيق الارتباط أيضاً بمصلحة الأسير بالصمود وفي بعض الأحيان بمسار التحقيق.

وبالتالي عندما نتطرق إلى التحقيق وطرق المواجهة، لا نرى الأسير كلحظة منعزلة زمنياً عن سياقه التاريخي الشخصي وطور تكونه ونموه، بل نرى أن تلك اللحظة وإدراكها وردود الفعل عليها هي نتاج هذا السياق الطويل والمتشعب. لذا تصبح عملية الصمود أوالانكسار ليست منفصلة، بل هي امتداد لسياق تاريخي شخصي واجتماعي ونضالي في آن.

فالصمود هو لحظة تراكمية اجتمعت فيها عوامل عديدة لتصل بالذات الصامدة إلى لحظة الصمود في زنازين العدو. هذا وتحاول الدراسة الحالية رصد هذه العوامل المترابطة.

مراجعة الأدبيات

الكتابات حول تجارب الأسر

هناك العديد من الأدبيات الأكاديمية التي تتناول قضية الأسر في السياق الفلسطيني. مايا روزنفيلد (٢٠٠٤، ٢٠١١) قامت بدراسة التحولات على طبيعة ومركزية الحركة الأسيرة ومساهمتها في النضال ضد الاحتلال ما قبل وبعد أوسلو، بينما قام آرام بورنشتاين (2010) بدراسة الصراع حول تعريف الأسر ما بين تعريفات السجانين، والأسرى، وعائلات الأسرى، ومؤسسات السلطة الفلسطينية. اسماعيل الناشف (2008) درس الانتاج النصي للمعاني، وبناء مجتمع الحركة الفلسطينية الأسيرة في سجون الاستعمار الإسرائيلي. وأما ليزا حجار (1997) فقد ركزت دراستها على نظام المحاكم العسكرية الإسرائيلية كموقع\وكنتاج للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. أما جولي بتيت (1994) فقد درست الممارسات العنيفة وعمليات اعتقال الفتية في الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت عام ١٩٨٧، وكيف تمت عملية إنتاج معاني هذا العنف من قبل الفتية ومجتمعهم بطريقة مناقضة لأهداف الاحتلال. دراسة فراس جابر (2010) تطرقت لمفهومي الزمان والمكان في السجن وكيفية تعامل السجناء مع هذه المفاهيم بين التطويع والتمرد. وهناك قلة من الدراسات الأكاديمية التي تتناول التحقيق بشكل خاص، كدراسة لينة ميعاري (٢٠١٤) والتي سنتطرق إليها لاحقاً.

من جهة أخرى، هناك الكثير من المؤلفات ذات الطبيعة السياسية والتعبوية كمؤلف "السجن ليس لنا" (قيمري،1984) الذي يتحدث عن السجن والتحقيق ببعد سردي لتاريخ الحركة الأسيرة وتطور نضالاتها، وأهم الإضرابات وطرائق التحقيق التي كانت دارجة مع بداية الحركة الوطنية الأسيرة داخل السجون.

أما الأسير وليد دقة فيحاول في دراسته التي أعدها من معتقله (صهر الوعي) إعادة فهم وتعريف التعذيب بالمعنى الجديد الذي تمارسه أجهزة قمع السجون بحق الأسرى، فالأدوات القديمة في تقييم التعذيب وفي تقييم عملية تفريغ الأسرى أصبحت من الماضي. فالاستعمار الصهيوني يمارس أشكال جديدة من التعذيب تركز على كي الوعي الوطني وبناء وعي مختلف لدى الأسرى في السجون، يكون ذلك بإجراءات التعذيب الممنهجة بحق الأسرى، وبالسيطرة الناعمة عليهم داخل السجون (دقة، 2017).[3]

في كتاب آخر للأسرى المناضلين، مروان البرغوثي وعاهد أبو غلمة وعبد الناصر عيسى تحت عنوان *مقاومة الاعتقال* (2010). يقدم المؤلفون تعريفاً عاماً للسجن والاعتقال والعمل السياسي تحت الاحتلال، بداية من الإجراءات الوقائية لتجنب الاعتقال، ومن ثم العرج إلى أساليب التحقيق المستخدمة في زنازين المخابرات،

---

[3] تستطيع قراءة الدراسة كاملة هنا :
http://www.safsaf.org/12-2009/asra/walid-dakkah.htm

وانتقالاً إلى حالة المحاكم الصهيونية الظالمة، وصولاً للآثار المترتبة للاعتقال على المناضل وعلى عائلته (البرغوثي، ابو غلمة، عيسى، 2010).

بينما يلخص بشكل سريع الأسير المحرر عبد الرازق فراج في مقالته المنشورة في مجلة الدراسات الفلسطينية العدد (106) في عام (2016) تحت عنوان *3000 ليلة وحكاية من وراء القضبان*، طبيعة التحديات والصراعات التي يواجهها السجناء داخل السجن، وكيف تختلط بداخلهم المشاعر والانفعالات داخل الاسر في لحظات الاعتقال أوالمكوث في السجن أوفي لحظات الاعتقال والتحدي مع الجلادين أوفي الاضرابات الفردية أوالجماعية عن الطعام، ففراج هنا يوضح صورة الأسير المناضل كأنسان وما يختلجه من مشاعر إلى جانب كونه إنسان مناضل من أجل عدالة قضيته وكيف تختلط بداخله الأفكار مؤمناً بعدالة قضيته وبالوقت ذاته منتمياً إلى عائلته وأحبائه (فراج، 2016).

في سياق آخر بحثي داخل السجون يفرد الكاتب حسن عبد الله دراسة تحت عنوان حضن الجماعة الدافئ وعصاها الغليظة: علاقة الفرد بالجماعة في تجربة المعتقلين الفلسطينين (2003)، صفحات طويلة في الحديث عن حياة المعتقلين الجماعية داخل السجن وكيف ينظم الاسرى حياتهم، وما هي الإجراءات المتبعة من أجل الحفاظ على القوانين، وما هي النظم الديمقراطية داخل السجن، وكيف تنعكس هذه في جعل الأسير يحمل قيم ومواقف معينة من داخل السجن إلى حياته الخاصة (عبد الله، 2003).

في كتاب صدر عن مركز جدل للثقافة والتنمية: مؤسسة لجان العمل الصحي. (2004) تحت عنوان *الأوضاع الصحية للمعتقلين الفلسطينين والعرب في السجون الإسرائيلية: كما يرويها الأسرى من وراء القضبان*. يوضح طبيعة التحديات الصحية والإنسانية التي يعانيها الأسرى في سجون الاحتلال أوغرف التحقيق من أهمال طبي ورعاية صحية ردیئة، حيث يتطرق الكتاب لروايات العديد من الأسرى القابعين خلف القضبان في حينها، ليحكوا حكاياتهم خلف القضبان وطبيعة الانتهاكات الصحية المستمرة بحقهم والتي تعبر في مضمونها عن طبيعة السياسات اللاإنسانية داخل السجون (مركز جدل للثقافة والتنمية، 2004).

على صعيد عربي نجد العديد من المؤلفات حول تجارب السجون والتحقيق في السجون، كان ذلك على شكل سيرة ذاتية أوعلى شكل قصص وروايات مشهورة، حول التعذيب والسجون والصعوبات التي تواجه المناضلين في أماكن نضالهم.

من ضمن هذه الأدبيات المتعددة السيرة الذاتية للدكتور يعقوب زيادين أحد مناضلي الحزبي الشيوعي الأردني وأحد المؤسسين الأوائل للحزب، حيث يروي في كتابه حجم الآلام التي عاناها داخل السجون إن كان على صعيد التحقيق في مراكز التحقيق التابعة للمخابرات الأردنية والممولة من الأمريكان أوعلى صعيد السجون نفسها كتجربته في سجن الجفر. يروي زيادين من ضمن ما يرويه، كيف كان الشيوعيين يحرضون بعضهم

البعض على الصمود وعدم الاعتراف بمهامهم أمام الجلادين، بينما كانت المخابرات تسعى باستمرار إلى انتزاع الاعتراف بانتمائهم للحزب الشيوعي ونشاطهم فيه ضد الحكومة من جهة، ومن جهة اخرى كانت المخابرات تدأب باستمرار على مطالبة الشيوعيين بتوقيع البراءة من الحزب والخروج منه في مقابل الإفراج عنهم من السجن، حيث رفض الشيوعيين هذه الأساليب واعتبروها تحدياً لنشاطهم وكانوا ينبذون كل من يقوم بمثل هذا السلوك ويعتبرونه خائن لصالح النظام (زيادين، 1981).

بينما نجد في وثائق الحزب الشيوعي العراقي للرفيق فهد وهو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي وأهم كادراته في فترة الأربعينات، كيف تعامل الشيوعيون مع الأسر واعتبروه جزء من محاولة النظام القضاء عليهم، ورغم قساوته لم يستسلم الشيوعيون ورفض العديد توقيع البراءة مثل باقي الشيوعيين في المنطقة، كشكل من رفض الاعتراف بشرعية النظام القائم، وكيف دأب الحزب على السرية في العمل وربط بين السرية في العمل والحفاظ على الاسرار من جلادي النظام آنذاك (يوسف، 1975).

في بلد عربي آخر نجد تجربة الشيوعيين المصريين في السجون كان قد وثقها الكاتب طاهر عبد الحكيم (1978) في كتابه (*الأقدام العارية): الشيوعيين المصريين: خمس سنوات في السجون ومعسكرات التعذيب*. حيث يوضح الكاتب صنوف العذات التي تعرض لها الشيوعيون من قبل جمال عبد الناصر وكيف كانت وسائل التعذيب عبر حكايات وقصص واجهت الكاتب داخل السجن، وبالوقت ذاته التطرق للعديد من الحكايات داخل السجن ووسائل التعذيب داخل السجن أثناء الاعتقال (عبد الحكيم، 1978).

أما في سوريا فنجد هناك العديد من لروايات التي تتحدث عن فظاعة التعذيب الحاصل في زنازين النظام والقمع تجاه الشيوعيين، فمثلاً نجد رواية القوقعة التي تتطرق لتفاصيل أليمة جداً في التحقيق داخل زنازين المخابرات السورية أوفي حياة السجن الداخلية، ويروي المؤلف قصصاً عديدةً عن تفاصيل تجربته كونه شيوعي ودخل السجن وعاش بين إسلاميين (مصطفى، 2010).

ونبقى في سوريا حيث ينقلنا الكاتب نبيل سليمان في روايته بين السجن والتحقيق والعمل السري والحب، في روايته لتجربة أحد المناضليين الشيوعيين في أحدى المنظمات المناضلة وكيف تم الإمساك بها، وما هي وسائل التعذيب التي تعرض لها ، وكيف يستطيع المناضل تحمل صنوف العذاب رغم كل الألم الذي يعانيه في التحقيق فقد كان للحب دوراً مهماً في تحمله العذاب، وكيف حاول جهاز المخابرات العرض عليه توقيع البراءة مقابل الإفراج عنه، لكنه يرفض وينتقل للعيش في سجن المزة ليعيش تفاصيل العذاب اليومية التي لا تتوقف بعد التحقيق بل تستمر في السجن أيضاً (سليمان، 1982).

كل هذه التجارب في السجون والتحقيق التي عايشها المناضلون الفلسطينيون أوالعرب مع اختلافها بجهة ان المعتقلين الفلسطينين هم أسرى حرية في مواجهة الاستعمار الصهيوني بينما المعتقلين العرب هم معتقلو رأي

في مواجهة الأنظمة المستبدة، تدلل على حجم البطش والقمع الذي مارسته الانظمة العربية والكيان الصهيوني ضد كل من يقف امام سطوتها، فالسجان في كل مكان يريد كسر إرادة المناضلين ويريد تيئيسهم وردعهم للقيام بأي عمل في سبيل تحرر أوطانهم على المستوى الوطني أوالاجتماعي.

أما على مستوى عالمي فيظهر لنا الفيلم الشهير (HUNGER) النضالات داخل السجون البريطانية للمناضلين الشيوعيين الايرلنديين ودخولهم الإضراب عن الطعام مقابل الإفراج عنهم وتحسين ظروف حياتهم، فيبين حجم التعذيب اليومي المستمر لهم من جهة، فمن خلال هذا الفيلم الدرامي جداً يعيش المشاهد ساعتين من آلام العذاب النفسي لمشاهدة حجم الفظاعة التي كانت تمارس بحق الايرلنديين في السجون والتي يوثقها قائد الإضراب داخل السجن (بوبي ساندز) في مذكراته تحت عنوان *كتابات من السجن* (2016) تقديم جيري آدامز وترجمة محمد الحموي (ساندز، 2016).

الكتابات حول تجربة التحقيق

الأدبيات الموجودة حول التحقيق تندرج في غالبيتها تحت بند التثقيف الحزبي في التنظيمات السياسية، وتشمل: كتاب **"فلسفة المواجهة خلف القضبان" و "مثلث الصمت المقدس"**، وهي إصدارات داخلية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، تم التأسيس فيها لعملية المجابهة والصمود في التحقيق بناءً على البعد الأيديولوجي، فالصمود هو من منطلق تناقض مشروعين، مشروع تحرري بصبغة اشتراكية ومشروع استعماري صهيوني، وبالتالي يحمل الصمود هذه الصبغة الفكرية الخالصة والتحدي والمجابهة تعلو باتجاه تناقض ايدولوجيتين وصراعهما الوجودي. طبعاً لم تكتفِ هذه المؤلفات بإبراز البعد الأيديولوجي بل أمتدت لتمأسس الصمود بدرجة ثانية بناء على الانتماء للهوية الجماعية\الحزبية. فالصمود يسعى في نهاية الأمر لحماية البنية التنظيمية من الضربات والاعتقالات والتصفية، وهذا يفرض على المعتقلين الصمود من أجل الاستمرار في الفعل الثوري خارج السجن بعيداً عن تصفية وجوده، وهنا يصبح التفريط بالأسرار عملية خيانة لهذه الجماعة والقيم الجماعية من انتماء وتضحية في سبيل حمايتها. هذا إضافة إلى شرح وسائل التحقيق وكيف يمكن مواجهتها وما هي الأساليب الأكثر شيوعاً المستخدمة بحق المعتقلين الفلسطينيين، ويمثل هذا النمط في الأدب الكاتب أحمد قطامش (1998) بروايته "لن ألبس طربوشكم".

بينما نجد العامل الديني من إيمان واستذكار هو محور عملية الصمود في الأدبيات الخاصة بالحركات الإسلامية مثل كتاب أمني صدر عن حركة حماس يتناول موضوعة التحقيق (صراع في الظلام)، وهو كتاب تثقيفي لمواجهة التحقيق حيث يركز على شرح أساليب المواجهة وكيفية مواجهتها دون أخذ موقف حاسم وواضح من المعترفين على عكس ما جاء في كتاب فلسفة المواجهة أوكتيب مثلث الصمت المقدس والذي حدد بشكل واضح

الموقف من الاعتراف والصمود. وهذا ما نستطيع استنتاجه في بداية الكتاب عندما نقرأ "والتحقيق جزء من المعركة التي يخوضها المجاهد ضد أعدائه، وهذا الجزء يمثل المرحلة السلبية التي يكون فيها المجاهد تحت ضغط العدو دون أن يمتلك من وسائل المواجهة سوى إرادته العارية وقدرته على ضبط نفسه والصبر حتى تمر هذه المرحلة بأقل قدر من الخسائر، يعني بأقل قدر من المعلومات المنتزعة من جانب المحقق"(صراع في الظلام، ص21)

مثال آخر للرؤية الدينية لموضوعة التحقيق تتجلى في رواية "ستائر العتمة" (2003) للكاتب وليد الهودلي وهي رواية من جزئين الأول والثاني، نجد أن الكاتب ركز خاصة في الجزء الثاني على محاولة لتأسيس فهم نظري للصمود يرتكز على الإيمان الديني، من خلال وضع الأحاديث والأذكار في القرآن والأحاديث التي تحث على الصمود وتحمل مشاق التحقيق.

أما من زاوية أكاديمية تناول موضوع التحقيق الباحثة لينة ميعاري في رسالتها للدكتوراة وكذلك في مقال بعنوان "الصمود: فلسفة المواجهة في السجون الاستعمارية"، حيث أسست لفهم ممارسة الصمود من زاوية المقاومة وليس من زاوية حقوق الإنسان والصدمة النفسية التي ينتهجها بالعادة أصحاب خطاب القانون الدولي والمؤسسات النفسية، وهذا في رأيي انحياز معرفي لقضية الصامدين. كما وربطت الباحثة بين الأيدولوجيا والممارسة الثورية المتحققة على الأرض بالصمود داخل التحقيق، ففكرة الصمود ليست منفصلة عن العمل النضالي خارج السجن وما يتطلبه العمل من سرية ومهام مستمرة تصقل شخصية المناضل قبيل دخوله التحقيق وبالتالي يكون الصمود هو النتيجة الطبيعة لبنية الذات المرتبطة بممارسة جماعة ثورية (Meari, 2014).

توضح ميعاري أن الصمود لا يرتبط فقط بالتحقيق، بل هو جزء من حياة الفلسطينين فصمود الفلسطيني على أرضه ومقاومة الاستعمار هي أيضاً صمود، والصمود في التحقيق هي حالة ارتباط مع الصمود الموجود أصلاً لدى الشعب الفلسطيني، من جهة أخرى الصمود يضع الفلسطيني في سياق مختلف عن سياق الجلاد-الضحية، فالصمود هو فاعلية الفلسطيني في العمل السياسي وهذا يخلق وجود الفلسطيني (Meari, 2014).

والفلسطيني الصامد الموجود لا يمثل نفسه كفرد بل هو يمثل سلسلة أشخاص وعلاقات أي هم ذوات جمعية وكجزء من مشروع أكبر، وجزء من صيرورة ثورية وجودية مستمرة في الخارج أساساً (Meari, 2014).

نلاحظ فيما سبق التركيز على البعد الأيدولوجي للصمود أوالاعتراف في أدبيات الجبهة الشعبية ورواية "لن البس طربوشكم"، وربطها في تناقض مشروعين في مواجهة مباشرة، والتركيز على البعد الديني في الصمود في أدبيات الحركات الإسلامية ورواية "ستائر العتمة"، والتركيز على الربط بممارسة ثورية متحققه لدى الباحثة لينة ميعاري.

ولكن على الرغم من ذلك فهناك فقر أكاديمي واضح في دراسة ظاهرة التحقيق والمواجهة في التحقيق، رغم كونها ظاهرة يعاني منها عدد كبير من الفلسطينيين. فالدراسات الصادرة حول ذلك تركز في غالبيتها على الجانب السياسي في التحقيق وربطه بالبعد الأيدولوجي أوالجماعي التنظيمي، كما وتعالج الدراسات الأكاديمية هذه الزوايا غالباً، بما يوحي بنقص شديد في دراسات تعالج الموضوع من جوانب اجتماعية ونفسية.

جل هذه الأدبيات لم تتطرق بشكل معمق إلى البعد الاجتماعي والشخصي للصمود والاعتراف في التحقيق ودور الثقافة المجتمعية والبيئة في جعل المناضل يصمد أوخلافه، أوحتى الأخذ بعين الاعتبار السمات والصفات الشخصية للمناضل ودورها في تعزيز صموده هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تتطرق الأدبيات إلى المناضل ما بعد التحقيق، فهل يبقى كما هو؟ أم يتغير بشكل كلي ويعاد ولادته من جديد. أي كيف يتفاعل النفسي مع السياق العام –السياسي- الاجتماعي؟

هذا عدا عن وجود تحولات واسعة حصلت في أساليب التحقيق في السنوات الأخيرة على عدة مستويات: المستوى الأول كون أشكال وطرائق التحقيق قد تغيرت وأخذت نمطاً وطرقاً اكثر احترافية مما كانت عليه سابقاً تعمل تحديدا على العوامل النفسية-الاجتماعية للأسير، وهذا التحول يتعلق أكثر بعمل جهاز "الشاباك" الذي يسعى باستمرار إلى تطوير أساليبه للإبقاء على نجاعتها العالية، ومن جهة أخرى التحول الحاصل على ثقافة التحقيق والتحدي التي كانت شائعة قبيل تراجع الحركة الوطنية، فمع تراجع الحركة الوطنية وتراجع القيم التي كانت تحملها، تراجعت القيم حتى على صعيد أفراد الحركة الوطنية وفي كيفية ادراكهم لعملية التحقيق ومواجهة المحقق وهذا أثر بشكل كبير على ثقافة الصمود والاعتراف وكيفية التعامل معها. هذه التحولات لم تدرس حتى الآن بشكل معمق بما يسمح لفهمها ووضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي وانعكاس هذا السياق في عملية مواجهة المحقق وكيف يدرك الأسير الفلسطيني عملية التحقيق، والعوامل التي تجعله يصمد أويسقط في مثل هكذا مواجهة.

هذه الأدبيات تقودنا إلى إشكالية البحث حول أهمية ودور العوامل النفسية والاجتماعية في المواجهة داخل زنازين التحقيق والتي لم تتطرق لها بشكل واضح الأدبيات السابقة والتي ركزت على السياسي بشكل أكبر رغم أن العامل السياسي وثيق الارتباط بالنفسي والاجتماعي، خاصة أن السياسي لا يفعل فعله داخل المجتمع إن لم يكن يعيد هندسة المجتمع وفق المفاهيم الثورية الجديدة.

الفصل الثاني

أساليب التحقيق المستخدمة في السنوات 2010- 2017

طرأت تحولات عديدة على أساليب التحقيق خلال الأعوام الماضية، فالمخابرات الصهيونية تبدل وتجدد وتطور أساليب تعاملها مع الأسرى باستمرار، بل وسخرت العلوم الغربية وعلى رأسها علم النفس الغربي لهذه الغاية، فأصبح علماً استعمارياً في استعمالاته بدلاً من أن يكون علماً تحررياً، وبالتالي فقد مصداقيته الأخلاقية، هنا تأتي الحاجة لعلم نفس يكون على الطرف النقيض ليحاول فهم سياسات المستعمِر ومواجهتها وتمكين الناس من الوقوف أمام عنجهيته والتصدي له وإبداء المقاومة لأجل التحرر.

في هذا الفصل سنتطرق لأساليب التحقيق المستخدمة من قبل أجهزة المخابرات الصهيونية من خلال عرض الأساليب ومحاولة تصنيفها، ووصف كيفية استخدامها، وتبيان الهدف المنشود من كل أسلوب، وتحليل الأثر الذي يتركه الأسلوب على نفسية الأسير في محاولة السيطرة عليه وإخضاعه، وسنبدأ بالأساليب المتبعة في غرف التحقيق وصولاً إلى الزنزانة وغرف العملاء وأقسامهم. تعتمد المعطيات في هذا الفصل على المقابلات مع الأسرى ومنظري الصمود في التحقيق. كما تعتمد على الكتيبات المنشورة حول أساليب التحقيق.

العامل الأساسي للتعامل مع أساليب التحقيق هو نجاعة الأسلوب في انتزاع المعلومات من الأسرى، هذه الأساليب وتطورها لم تتطرق لها دراسات أكاديمية منذ فترة طويلة، خاصة أن غالبية الأدبيات التي تتعامل مع أساليب التحقيق قديمة ولم تتعرض للتغيرات التي طرأت على التحقيق وأعطت تحليلات جزئية حول كيف تؤثر هذه الأساليب على مسار التحقيق. فمثلاً نجد أن أكثر الكتيبات حداثة هو كتيب صغير يحتوي على عدد محدود من الأساليب "مثلث الصمت المقدس" (2014) هذا الكتيب الذي لم يشمل كافة أساليب التحقيق، اضافة إلى كتيب "صراع في الظلام"(2004)، هذان الكتيبان صدرا عن تنظيمات فلسطينية وليست كتيبات أكاديمية، واستخدما الأسلوب الوصفي بعيداً عن التحليل وربط الأساليب، وبالتالي تكمن القيمة المعرفية لهذا الفصل من حيث الأهمية في متابعة الأساليب الجديدة والمستخدمة حديثاً، خاصة في السنوات الأخيرة (آخر ستة سنوات) وفهم كيفية تأثيرها على مسار التحقيق.

<u>أساليب التحقيق المستخدمة من قبل جهاز المخابرات الصهيوني</u>

قال، أترى هذه؟ وأشار إلى مسبحته..وقام بفرطها فجأة لتقع كل حبيبات المسبحة على الأرض وتملأ الأرض بها... وقال أول كلمة " آه بعرف" تعني إنفراط المسبحة[4].

في هذا المثال، يشرح أحد المناضلين لمناضل آخر قبل دخوله معترك الحياة النضالية وما سيواجهه من تحديات، وأهمها التحدي في زنازين التحقيق وكيف يصمد!. يشبه التحقيق هنا بالمسبحة في حالة الاعتراف يكون قد قطع عقدة المسبحة والتي سرعان ما تتساقط حبات المسبحة، فكلمة أعرف معناها أن كل ما أعرفه سيتساقط رويداً رويداً حتى تصبح المسبحة فارغة من كل الحبيبات أي يصبح المناضل فارغ من كل المعلومات بحيث يكون قد أعطاها جميعها للمحقق.

هنا يحاول المناضل الإيضاح للمناضل الآخر أن التحقيق هو صمت مطلق حول كل المعلومات، وبالتالي الصمود يجب أن يكون حول كل ما يعرفه الأسير فلا يجوز للأسير أن يقدم أي معلومة مهما كانت صغيرة حتى لا تنفرط عقدة المسبحة. وهذا توصيف دقيق، فكثيراً ما يقوم البعض بتقديم بعض المعلومات للمحققين ولكن سرعان ما يجدوا انفسهم تورطوا بالمزيد من التنازلات فيصبح النهوض أصعب كثيراً من البقاء في مكان الرفض، فالمحقق يعلم تمام العلم أن من يتكلم يمكن أن يتكلم مرة أخرى.

تتعدد أساليب التحقيق بهدف انتزاع المعلومات، والتي يجري تطويرها باستمرار، ولربما هنا لا نغالط الشك في القول أن المخابرات الصهيونية في هذا المجال تراكم على ما تنتجه مخابرات أخرى في العالم بهدف تطوير أساليبها، وعلى رأسها وكالة الاستخبارات الامريكية التي أنتجت دليل كوبارك[5] للتحقيق مع المعتقلين.

وتطوير الأساليب يستهدف انتزاع المعلومات من الأسرى وكسر إرادتهم وهز ثقتهم بأنفسهم وبمشروعهم الوطني، مما يؤدي لهزيمتهم وإخراجهم من خندق النضال. عدا عن أهمية المعلومات بالنسبة لجهاز المخابرات والتي تعزز قدرته بالسيطرة على التنظيمات الفلسطينية وقمعها وتصفية وجودها من خلال اعتقال أوتصفية أعضائها.

في الحديث عن أساليب التحقيق وجد الباحث العديد من الأساليب المتبعة في التحقيق وترتكز على أساس هو التعاون وكسر المناضل وتصل المخابرات لهذا الأساس من خلال وسائل عديدة تستخدمها للسيطرة على المناضل وضرب صلابته النفسية في مواجهة المحققين لتصل به لمرحلة الانهيار.

---

[4] مقابلة مع أحد الأسرى

[5] للاطلاع على الدليل :
http://nsarchive.gwu.edu/NSAEBB/NSAEBB122/CIA%20Kubark%201-60.pdf

لكن كيف تتدرج المخابرات في هذه الأساليب؟ وكيف تتعامل مع المناضل؟ وكيف تسعى للسيطرة عليه؟ هوالسؤال الذي تجيب عنه نظرية التحقيق كما توصل اليها الباحث من خلال الدراسة.

نظرية التحقيق

تقوم نظرية التحقيق لدى المخابرات الصهيونية بشكل أساسي على مبدأ خلق التعاون وكسر المناضل داخل التحقيق، فأن يتحول المناضل من معادي للمخابرات وكيانها وايدولوجيتها إلى محايد أومتعاون مع المخابرات هو أمر مهم بالنسبة للمخابرات، حيث في هذه الطريقة تسقط حلقة من حلقات النضال في ألا تعاديها مرة أخرى، وبالتالي إبعاد خطرها أو إيقافه نهائياً.

من زاوية أخرى، تعمد المخابرات الصهيونية إلى كسر المناضل وانتزاع الاعتراف، والكسر لا يهدف بالضرورة إلى انتزاع معلومات نوعية جديدة دائماً، فكثير من حالات التحقيق لم يكن المناضل يقدم معلومات إضافية على ما تم تقديمه من قبل آخرين، لكن مسألة أن يخرج المناضل معترف لو باعتراف جزئي كانت مهمة بالنسبة للمخابرات من أجل هز ثقة المناضل بنفسه وكسره داخلياً، حتى لا يعيد التفكير مرة أخرى بالنضال.

فالتحقيق هو عملية انقضاض على ذات المناضل وبنيته الفكرية والمعنوية والمادية المتشكلة في غمرة الحياة والنضال، ومحاولة تحطيم هذه البنية عبر تفكيك أجزائها ومحاربتها فرادى ليسهل كسرها وبالتالي انهيار المناضل.

كسر المناضل وخلق التعاون هو المبدأ الأساسي الذي يحرك كافة أساليب التحقيق، والتي نستطيع إجمالها بخمس قواعد رئيسية تستعمل في التحقيق وتندرج كافة الأساليب تحت هذه القواعد الخمسة.

أولاً: كسر حالة العداوة.

ثانياً: تفكيك المعتقدات والأفكار.

ثالثاً: تعزيز الخلاص الفردي وسلخ الفرد عن الجماعة بالعزل.

رابعاً: الخداع.

خامساً: الإرهاب والإرهاق.

سيكون تنظيم الفصل اللاحق من خلال محاولة رصد ما هي الأساليب المستخدمة حسب ارتباطها في القواعد الخمسة للتحقيق، بحيث تصنف الأساليب بناءً على ما هو مركزي بالأسلوب، فهناك العديد من الأساليب المستخدمة التي تحوي أكثر من قاعدة في نفس الوقت وهذا أمر طبيعي، فالتحقيق وأساليبه كل متكامل ومتداخل يهدف في النهاية إلى انتزاع المعلومات وكسر المناضل، لكن تركيزنا على ما هو المركزي أو الرئيسي في الأسلوب وليس الثانوي.

تعد الطرائق النفسية أكثر رواجاً واستخداما في أقبية التحقيق، وسنجدها داخل البحث في كافة الأساليب باستثناء الإرهاب والإرهاق، ليس لأن المخابرات الصهيونية تتعامل بإنسانية مع الأسرى الفلسطينين بل لسببين رئيسيين، الأول وجدت المخابرات الصهيونية أن الطرائق النفسية أنجع في انتزاع الاعترافات من الأساليب الجسدية من جهة، ومن جهة أخرى في 6 أيلول عام 1999 أصدرت المحكمة العليا الصهيونية قرار بمنع التعذيب، حيث رفضت تقرير لانداو حول التحقيق البدني وأصدرت حكماً يحدد التعذيب البدني في حالات معينة تتعلق بالمساس بأمن "إسرائيلين". وكان ذلك اليوم يوم تحول على مستوى أشكال التحقيق، فأصبح التحقيق يعتمد بالأساس على التحقيق النفسي، ولكن بالوقت نفسه قامت المحكمة المذكورة بتشريع التحقيق الجسدي العنيف في حالات ما يسمى بالقنبلة الموقوته، أي الحالات التي يتعاملون معها على انها عسكرية.

نظرية المواجهة

ترتبط نظرية المواجهة في التحقيق ارتباطاً وثيقاً بنظرية التحقيق ذاتها، فالتحقيق هو كما ذكرنا في السابق عملية تفكيك بنية المناضل وذاته الثورية، وبالتالي تعمل نظرية المواجهة على الحفاظ على هذه البنية\الشخصية الثورية وتمتين ارتباطها في كافة مفاصلها من أجل الصمود في وجه الضغط والإرهاب والخداع والتفكيك الذي تتعرض له بنية المناضل.

ونظرية المواجهة أيضاً تستند على خمسة مفاصل أساسية في التصدي للمحققين داخل أقبية التحقيق وهي كالتالي:

أولاً: تعزيز انتماء المناضل وارتباطه بالشعب والقضية، فكلما اقترب المناضل من شعبه وعبر عن هموم شعبه وتطلعاته وامتلأ بالحقد على كل من يستلب الشعب حقوقه ارتفعت نسبة الحقد والرغبة في المواجهة وتحرير الشعب من هذا الاستلاب والقهر والظلم والاضطهاد، وبالعادة الشعوب الواقعة تحت الاستعمار ممتلئة بالحقد على من يسلبها حقوقها، لكن حتى هذا الحقد يتراكم ويتضاعف عندما يخوض أبناء هذا الشعب ممارسة ثورية في سبيل تحريره فهم بذلك يلتحمون بشكل مباشر في الناس وبالتالي تصبح حتى شخصية الفرد الخاصة مرتبطة بذكريات وأفكار وعواطف مع الشعب.

لذا تكون الممارسة الثورية المستمرة أهم عامل من عوامل بناء الصمود في التحقيق.

ثانياً: أدلجة المناضل وتعزيز ارتباطه بالمشروع التحرري: من المهم جداً أن يحمل المناضل أفكاراً وعقائداً أيدولوجية تضيف المعنى لسبب النضال، فارتباط النضال في بعد أيدولوجي يعزز من قدرة المناضل على المواجهة ويعطي بعداً اضافياً للمناضل كي يصمد في زنازين التحقيق، فالمسألة عندما يواجه فلسطيني عدوه

الصهيوني تأخذ بعداً إضافياً إذا كان يحمل عقيدة اشتراكية أودينية تشجع على الصمود من منطلقها الأيدولوجي.

في جانب آخر من المهم تعزيز ثقة المناضل بمشروعه التحرري وأخذ دورٍ مهمٍ فيه، فالثقة التي تعطى للمناضل من قبل أعضاء نفس المشروع –المرتبطة بالإنجاز والنجاح طبعاً- تزيد من ثقة المناضل في نفسه وبمشروعه وتعزز لديه فكرة الشراكة في المشروع، فالمناضل الذي يشعر نفسه غير شريك في المشروع التحرري وإنما يتم استخدامه مجرد استخدام لن يكون بكل تأكيد منتمياً بشكل حقيقي وفعلي إلى هذا المشروع ومستعداً للتضحية في سبيل نفسه لحماية المشروع.

إضافة لذلك من المهم أن يتحمل المناضل مسؤوليات داخل المشروع النضالي الذي ينغمس في النضال فيه، وكلما كان المناضل أكثر ارتباطاً بشعبه ومشروعه تقدم دوره وزادت أعباؤه التنظيمية وهذا كثيراً ما يكون عامل قوة في اضافة بعد مهم للمواجهة كون المناضل يصبح مدركاً أن هناك العديد مرتبطون فيه وأن بقاء فعالية المشروع مرتبطة فيه في مكان تواجده مما يضيف ابعاد جديدة للصمود.

في نفس السياق قد يكون الخيار الذي وضعه فرانز فانون في (معذبو الأرض) خياراً استراتيجياً للمناضلين المحترفين والاستراتيجيين، حيث أشار فانون إلى أهمية أن تقطع أي طريق للرجعة في النضال مما يجعل المناضلين أمام خيار المواجهة والجذرية دائماً فخيارات الرجعة انتهت وبالتالي لا خيار سوى الصمود والمقاومة.

ثالثاً: بناء الشجاعة والثقة في الذات: المناضل الشجاع والذي لا يهاب العدو لكثرة ما جربه في مواجهة فردية وجماعية يصبح لا يخشى هذا العدو فهو يدرك جيداً أن العدو جبان، وأنه هو صاحب الحق وأن انتزاع الحق بالضرورة يجب أن يرتبط بالاستعداد للتضحية، فالمناضل الحقيقي المحترف يعلم تمام العلم أنه يناضل في طريق محفوفة بالمخاطر فخيار الموت دائماً يكون ماثلاً أمامه، والموت هنا ليس بغرض الانتحار بل بهدف النصر والحرية، وهذا العامل في حالة ترسخه في وجدان المناضل يصبح قوة جبارة للمواجهة والتصدي وكسر كافة الصعاب والمخاوف، بل يجعل من المناضل واثقاً شديد الثقة في خياراته الخاصة، مما يصنع منه ثائراً حقيقياً لا يخشى الموت ولا يخشى العدو بل يندفع باتجاهه دون خوف أو وجل.

رابعاً: المعرفة والوعي بالتحقيق: من الضروري أن يكون المناضل مطلعاً على كافة أساليب التحقيق التي تمارس داخل زنازين التحقيق، ومواكبة تجددها لدى المخابرات، وذلك من أجل التحلي بالمعرفة فيها وتخطيها، فدائماً ما تعمل المخابرات على تطوير أساليب تمارس الخداع ضد المناضلين لجرهم لزوايا الاعتراف والسيطرة عليهم، لذا من المهم أن يكون المناضل مطلعاً باستمرار على كافة الأساليب وتجددها.

لننطلق من البداية في تفصيل أساليب التحقيق وما تهدف اليه:
في البداية لا تكشف المخابرات أوراقها، حيث تكون الاسئلة عامة من أجل فتح كل الاحتمالات "...احنا بنحقق على اشي بنعرفه وأشي ما بنعرفه..عشان هيك احنا بنخلي الموضوع عام..."[6] لذلك لا يقوم ضباط المخابرات بتحديد طبيعة التهمة التي يتم التحقيق عليها في بداية التحقيق وذلك لتخوفهم من وجود أشياء لا يعرفونها.

<u>كسر العداوة</u>

يقوم هذا الأساس على فرضية كسر العداوة بين المحقق والمناضل بحيث تصبح العلاقة طبيعية بين الاثنين وليس مواجهة بين ضدين متنافرين تماماً، فالمناضل الذي يحمل العداوة ضد عدوه قائمة على استثارة الحقد ضد مستعمِره، فالمستعمِر هنا بالنسبة للمناضل هو من يقتل ويعتقل ويسفك وينتزع أرض وشعب المناضل، وهو سبب كل مآسي المستعمَر وبالتالي لا بد من القضاء عليه للعيش بكرامة.
المخابرات الصهيونية تدرك جيداً هذا البعد في عقلية المستعمَر، وخاصة الذين يقفون في الخندق الأول في النضال، لذلك تسعى دائماً في بداية التحقيق لكسر هذه العداوة وتطبيع العلاقة على أساس أن ما يحصل هو نزاع بين اثنين من البشر لا يحمل هذه الأبعاد السياسية والتاريخية والأيدولوجية والاجتماعية.
من أهم الأساليب التي يمارسها المحققون:

كسر الحواجز وخلق التعاون

يعتمد هذا الأسلوب على حوار اجتماعي بعيداً عن كل قضايا التحقيق، فيبدأ المحقق بسؤال الأسير عن حياته الخاصة وعائلته وعمله ودراسته وعلاقاته، وسؤاله هل يريد شرب شاي قهوة أوأكل شيء معين أو التدخين، طبعاً هذا يترافق مع فك قيود إحدى أيدي الأسير أوقدميه بشكل لا يوحي ابداً أنه يحقق معه تحت شعار التعارف. فمثلاً "شوف أنا قرفان وبديش أحقق بصراحة هات نحكي بقصص تانية" [7] أو"قلي عن حياتك شو بتعمل بحياتك"[8] " خلينا ندردش بقصص غير التحقيق شو أكتر أكلة بتحبها"[9] .
لكن هذا الأسلوب في الحقيقية يكون ذا هدف وهو خلق حالة تعاون وتجاوب ما بين المحقق والأسير، وتحييد فكرة العداء ما بين المحقق والأسير والتي تعد من أهم القضايا التي تجعل الأسير يواجه المحقق.

---

[6] مقابلة مع اسير
[7] أحدى المقابلات
[8] نفس المرجع
[9] مقابلة مع أسير

ومن خلال إقامة علاقة طيبة مع الأسير يبدأ المحقق بالسعي لانتزاع اعتراف تحت عنوان إنني أريد مصلحتك\احببتك\ وأريدك أن تخرج بسرعه من هنا وغيرها من الكلمات اللطيفة والتي سرعان ما تتحول لعنيفة عند إدراك الأسير هذا الأسلوب والكثير أعترفوا وباتوا يخجلون من عدم التجاوب مع المخابرات "للطافتهم" من جانب آخر يهدف هذا الأسلوب إلى التعرف على شخصية الأسير ووضع تقييم اولي عنها ودراستها ومعرفة الثغرات التي يمكن من خلالها الدخول إلى أعماق ذاته الإنسانية.

تفكيك معتقدات وأفكار المناضل

وتعتمد هذه الأساليب بشكل أساسي على تفكيك معتقدات المناضل وتشتيت تركيزه بالاستناد عليها، وجر المناضل من دائرة كونه مناضل أيدولوجي إلى فرد دون أفكار وأيدولوجيا نضالية ليسهل الإحاطة به والسيطرة عليه مع ضغوط التحقيق، أي تحويله من ذات ضمن إطار أيدولوجي إلى فرد دون أي اطار أوخلفية أيدولوجية.

التشكيك في المعتقدات، الرفقاء، القيادة

جملة من الممارسات تهدف إلى عزل المناضل عن ارتباطاته المختلفة، عزله عن مبادئه، قيمه، رفاقه، نضاله، وحزبه، بحيث يبدأ المحققون بتكسير هذه المنظومة المتشكلة لدى الأسير في دماغه تمهيداً لحشره وحيداً بهمه الخاص ودفعه إلى الاعتراف.(فلسفة المواجهة)

يعتمد أسلوب التشكيك على زعزعة الثقة ما بين الأسير ومعتقداته أولاً، بحيث يعمد المحققون إلى نقاش الأسير في البعد التاريخي للمنطقة وحول أحقية دولة الكيان في الوجود ويبدأ بوضع معلومات مغلوطة عن التاريخ، أوالحديث عن مدى قوة الكيان الصهيوني مقابل ضعف العرب الذين ينهزمون دائماً امام جيشهم، وبالتالي جعل تفكير الأسير على المستوى التاريخي ينحصر في الهزائم التي يكبدها العدو ليس ضد المقاومة الفلسطينية فقط بل وضد العرب أيضاً، وأحياناً يدخل المحققون في الحديث حول تخلف ثقافة العرب والفلسطينيين وكيف هم شعوب غبية وشعوب متخلفة في محاولة منه لجعل صورة شعبه ومعتقداته وتصوراته عنه منحطة.

في مجال آخر يبدأ المحقق بتشكيك الأسير برفاقه، فمثلاً يبدأ بالقول " بتفكر الكل صامد، صحابك فلان وفلان هيهم عنا وكلهم عم بحكوا....وهم أساساً الي سلموك"[10] أو" بتفكر كيف جبناك؟ من صحابك يا عزيزي"[11] أوالتشكيك أن ما حصل معه هو نتيجة فيلم أعدته المخابرات وأن الجميع متعاون مع المخابرات الإ أنت ولم

---

[10] مقابلة مع أسير
[11] حدث مع الباحث

يتبقَ سواك لم يتكلم، وقد يضعون بعض رفاقه أوزملائه في التحقيق بوضعيات مريحة ويجعلون الأسير يراهم حتى يصدق كلامهم في أن رفاقهم قد اعترفوا عليه "اخدوني وحطوني اطلع على واحد معاي بالقضية من عين الباب في التحقيق فكانوا فاكينه وكان يشرب شاي..فقلي شايف هيو معترف ومتعاون منيح معانا ومرتاح فانت لازم تعترف..فأنا فكرت وقلتله طيب أنا امبارح كنت اتعشى عندكم بالغرفة شو بكون معناتو"[12]

وأيضاً يقوم المحققون بالتشكيك في جدوى النضال أساساً ضد المشروع الصهيوني! فكيف تناضل ضد مشروع لديه قنابل نووية وهو أقوى جيش بالمنطقة! "بتفكر في الكلشن الي حاملينه راح تهزمونا!"[13]

وتعمد المخابرات إلى التشكيك بالقيادة وصمودها والتي تشكل قوة النموذج للأسير في التحقيق فكثيراً ما يقول " هدول الي بحكوالكم اصمدوا في التحقيق بضحكوا عليكم لأنكم صغار ولا هم كلهم بعترفوا وبحكوا كل اشي"[14] والهدف من هذا الأمر هو جعل الأسير يشكك بكل شيء حتى بنماذجه النضالية مما يجعله يفكر بالخلاص الذاتي وعليه، فالتشكيك يشمل أهم أركان الصمود لدى المناضل.

أما إذا كان الأسير واعياً لهذا الأسلوب فإنه لا يتجاوب معه ويعلم جيداً أنه مجرد أسلوب يتبعه المحقق لانتزاع الاعتراف من فم الأسير، في مقابل ذلك هناك من اعترف أمام هذه الأساليب بعد ما خدعته المخابرات الصهيونية.[15] وهناك العديد من الأسرى الذين لم يتجاوبوا مع هذا الأسلوب وأظهروا لضباط العدو أنهم لا يبالون بكل ما يقولون.

استفزاز العواطف والقيم الاجتماعية

تدرك مخابرات العدو الصهيوني طبيعة المجتمع العربي الفلسطيني تجاه القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية ومن ضمن الثغرات التي يدركها ويستخدمها رجال المخابرات الصهيونية استفزاز الأسير بعائلته، في التهديد باعتقالهم وجرهم للتحقيق، أو الاعتداء على والدة أو والد الأسير أو الأخوات والاخوة في بعض الاحيان، والتلميح إلى مسألة الشرف في أنهم " سيتعرضون لعرضه" في حالة لم يستجب لهم، أو يأخذون بتحليف الأسير على القرآن في أقواله، أو يضعون القرآن فوق رأسه ويطلبون منه قول الحقيقة، أو أن تقترب محققة من أحد الاسرى المتدينين وهي تفتح قميصها قليلاً ليظهر جزء من صدرها.

---

[12] مقابلة مع اسير
[13] مقابلة مع أسير
[14] حدث مع الباحث
[15] حدث معي في التحقيق أن أحد رفاق التحقيق كان قد اعترف في أسلوب مماثل لهذا

أوأحياناً يبتزون بعض الاسرى الذين لهم علاقات خارج إطار زوجاتهم بفضحهم بحالة عدم اعترافهم، أو ايهامهم بتلفيق تهم لهم تتعلق بأنهم اعترفوا وأنهم سلموا بعض الناس في اعترافاتهم بالتحقيق، كل هذا وغيرها من الممارسات التي تمس عقائد المجتمع المحافظة.

"جابولي صور كانوا طايلينهم عن تلفوني مع وحدة مش مرتي، وهددوني بنشرهم.. وبعدها اعترفت مقابل ما ينشروا"[16] " كانوا يسألوني شو بتعرف عن فلان وانا أقول بعرفش اشي ..بالآخر قلي أسمع ولك فلان الي بنيك فلانة ..وفلانة كانت قريبتي... انا صرت اعيط واعيط...."[17].." قربت علي وصدرها مبين شوي منه وبلشت تستفز بمشاعري الدينية..وبلشت استغفر الله وصرت أقول راح احكيلك كل شي بس ابعدي عني"[18]

والمهم هنا، ان متطلبات الصمود تتطلب تجاوز "القيم والعادات الاجتماعية القائمة" الذي يتحول لسلاح في أيدي المخابرات.

"جاوبوا امي على زنزانة وفرجاني اياها بكميرا كيف هي موجودة عندهم وكيف عم بتجاوب كيف كان يسألوها..وصار يقول راح نخليها عنا ونطلع اشاعة انو انت اعترفت عليها.. فأنا صفنت وقلتله هاي مش امي وانا فش الي أم انا امي ماتت من زمان"[19] ....."كنت تعبان وبآخر الليل وبلش يحكي المحقق قصص عن واحد دخل تحقيق وابوه انجلط وهو بالتحقيق من الخوف عليه وبلش يحكي باستمرار عن قصص بتتعلق بالآباء وكيف بخافوا على ولادهم ..وبعدها بلش يحكلي ابوك يا..ابوك اكيد بفكر فيك..فانا اطلعت فيه وقلتله اسمع ابوي فخور فيّ بس اكون صامد مش معترف..بعدها بطل يرجع للموضوع"[20]...

في هذه الامثلة نلاحظ كيف أن القيم والعواطف الاجتماعية يستطيع أسرى تجاوزها لادراكهم أنها مجرد أساليب للضغط على الأسير

إن مواجهة هذا النمط من الأساليب مرتبط أساساً بمدى استعداد الأسير للمواجهة فمن يقرر المواجهة في أقبية التحقيق فهو لن يسقط في مثل هذا الأسلوب الرخيص، بينما من يفتقد للاستعدادية سيسقط في هذا الأسلوب ويدلي بما في جعبته للعدو.

---

[16] مقابلة مع أسير

[17] حكاية أسير روى تجربته في السجن

[18] اسير يروي تجربته في التحقيق

[19] مقابلة مع أسير

[20] مقابلة مع اسير

الحرق السياسي والتشهير

أسلوب تحاول المخابرات من خلاله الإيحاء للأسير أنه متعاون معهم، أي الطعن في انتمائه الوطني (فلسفة المواجهة).

"شوف احنا بدنا واحد صامد في الخلية تبعتكم، عشان الحكاية تكتمل..انو كيف هاي المجموعة تسلمت وانمسكت؟ ...واحنا عنا ناسنا الي بوصلو فكرة انو الي صمد هو فعلياً معترف بس احنا طلعناه صامد لانو بشتغل معانا...شوف بدك تحرقني احرقني مش فارقة ...لا شو احرقك..لا احرقني؟؟ بالمعنى السياسي انو اطلعني عميل..مش فارقة بكتب على الحيطان احذروا العميل فلان الفلاني..وبطلعلك بيوتيوب كمان وبنزل بيان في حالي...اه يعني انت بتشتغل معانا؟...ولك فشرت عين ربك اشتغل معاكم بس تفكرش باسلوب التافه هاد راح تهز ثقتي وتخليني احكي ...انا الي عندي احكيته من أول يوم وغيره فش اشي عندي..انت ما احكيت شي..ههه لانو فش عندي شي"[21]

يستخدم المحققون هذا الأسلوب للضغط على الأسير من أجل هز قناعاته وهز ثقته وبالتالي جعله يحاصر داخل قوقعه وهذه الأساليب لا تستخدم عادة مع جميع الاسرى، فأحياناً يتم تركيزها مع الأسرى الذين يحملون سمعة وطنية عالية وبالتالي يحاولون التشكيك بانتمائهم بين أفراد شعبهم.

طبعاً هذا يضاف إلى بعض الحركات التي يحاول الضباط تلفيقها من خلال جلسة مريحة بين الأسير وضباط المخابرات ومن ثم تصوير هذه المشاهد وعرضها على الأسير، أو الإفراج عنه بهدف تشويهه سياسياً، وفي بعض الاحيان يستمر التشويه والحرق للأسير بعد خروجه من السجن من أجل حرقه مقابل إخفاء دور عميل لهم، وهذا يعزز شكوك الناس بمناضل حقيقي مقابل غياب الشك عن بعض العملاء، طبعاً هنا سيحاول المناضل الدخول من جديد إلى السجن من أجل إثبات وطنيته وبالتالي يعترف على نفسه حتى يثبت للجميع مدى انتمائه لشعبه (فلسفة المواجهة).

<u>تعزيز الخلاص الفردي وسلخ الفرد عن الجماعة بالعزل</u>

تعتمد هذه الطريقة على فردنة تعامل الذات المناضل مع المحققين بحيث تفصله عن ذاته الجماعية، وتجعله يبقى محصوراً داخل نفسه بالتالي عزله عن ارتباطاته النضالية والاجتماعية تمهيداً للسيطرة عليه وإخضاعه.

[21] مقابلة مع أسير

العزل

يأخذ العزل هنا المعنى الواسع للكلمة، فالتحقيق هي عملية عزل للأسير عن بيئته الاجتماعية والنضالية كونه ينتزع فجأة دون سابق إنذار إلى مكان آخر دون أي تواصل مع العالم الخارجي، وهي عملية عزل عن الزمان والمكان ففي أقبية التحقيق لا يعرف المناضل ما هو الزمان وإن سأل عن الوقت قد يأخذ إجابتين مختلفتين تماماً من أكثر من سجان يفيد أسير أعتقل في عام 2012" احنا بنعرف الوقت من خلال وجبات الطعام، يعني الصبح على 7 بيجي الفطور، وعلى 12:30 الغدا، وعلى 6:00 العشاء.." فالمحققون يحاولون قدر الإمكان تغييب عامل الزمن حتى يصبح جزء من أدوات المحقق كي يشعر الأسير في حالة ضياع، كون حالة الضياع تخلق حالة توجس داخل الأسير من المجهول.

هذا عدا عن مرحلة الاعتقال التي لا يوضح فيها أي شيء حول الجهة التي يذهب المناضل إليها وحتى لو سأل لا يجيب الجنود كجزء من الأوامر، فالمجهول هو ما يترك للمعتقل أن يفكر فيه، ويبني عليه أفكاراً وتوقعات وتهيئات قد تلعب دوراً سلبياً.

ويكون العزل أيضاً في الزنازين كونها "أشد أنواع العزل أيلاماً"[22] والتي تهدف إلى حصر المعتقل مع أفكاره وحيداً. إضافة إلى نظارات سوداء سميكة للتنقل بين الزنازين أو بين الزنزانة وغرفة المحققين حتى لا يتعرف المعتقل على المكان فيبقى جاهلاً بتفاصيله، كون الجهل يولد شعوراً بالرهبة.

عندها " بتصير تيجيك أفكار إنك بدك تطلع من هون تروح على السجن بأي وسيلة أو بأي طريقة "..."داخل قبر، بتصير تفكر في كل اشي سلبي، بتصير تفكر انك راح تموت هون، أو في حدا من أهلك مات أو في اشي كبير صار برا..هيك شعور تلقائي بصيبك"[23]

في هذا الوقت تحديداً يبدأ الأسير إما بالاستعداد للمواجهة وترويض المكان والزمان كصيرورة استكمالية لما كان عليه في خارج السجن وإما الانشداد نحو الذات والخلاص الفردي، وهنا تلعب عوامل عديدة في توجيه الأسير إلى إحدى هذين الاحتمالين، فقد يحمل أيدولوجيا الصمود والمواجهة والتي تربى عليها في العمل النضالي، أو تلعب العوامل الاجتماعية والنفسية المختلفة دوراً في توجيهه نحو الصمود أو الاعتراف.

الزنزانة

"..الجدار الفارغ أمامهم كشاشة السينما، لم تتمكن كل منتجات العالم أن تخرج أفلاماً مثل التي تعرضها عيون المتهمين على الجدار، بانتظار استجواب جديد، بانتظار التعذيب والموت، هي أفلام الحياة كلها، لم تكن تفاصيل

---

[22] أحدى المقابلات
[23] أحدى المقابلات

الحياة الصغيرة أفلام الأم والزوج والأطفال، صور العائلة المخربة المشردة والوجود الضائع، فيلم الرفيق الشجاع والخيانة فيلم هذا الانسان الذي سلمته وريقاتي الصغيرة؟ والدم السفيح بعد من قبضة يد قوية تضمن الامانة، أفلام ملؤها الخوف والحزم، الحقد والحب، والقلق والأمل"(فوتشيك، دون سنة نشر).

يشبه فوتشيك الحياة في زنازين التحقيق كما السينما يعود فيها الأسير إلى استذكار تفاصيل حياته التي نسيها منذ زمن بعيد، تعود اليه في غمرة التعب والضغط والجهد والألم، في غمرة من المواجهة التي تفرض عليه لا إرادياً التفكير في كل شيء خارج عالم التحقيق كي ينجو بنفسه من ويلات وآلام التحقيق، نعم في الزنازين كما يقول فوتشيك هي أفلام الحياة كلها.

قد لا نجد تشبيهاً أفضل من "القبر" لزنازين التحقيق، تبلغ الزنزانة بشكل عام عرض متر ونصف المتر، وطول مترين وارتفاع مترين، يوجد بها حمام عربي في زاوية الزنزانة وبجانبه مغسلة صغيرة، وفرشة وبطانيتين، يستطيع ان يمشي فيها الأسير خطوتين للأمام وخطوتين للوراء في حالة قرر المشي داخل الزنزانة، في أعلى السقف هناك مضخة للهواء النظيف الجديد وشفاط لسحب القديم.

إذا كان بمفرده أما إذا كان مع آخرين فتنعدم فرص المشي، درجة الحرارة تميل للبرودة وبذات الوقت صوتها مزعج، إضاءة الزنزانة إنارة صغيرة صفراء تتعب الاعصاب، لا يوجد بها أي شباك، الباب من طبقتين من الحديد السميك لا يمكن أن تسمع ما يدور في الخارج فأنت في الزنزانة داخل قبر حقيقي.

ألوان الجدران رمادي غامق، والقصارة خشنة يوجد على الحيطان كتابات من أسرى سابقين وهناك كتابات تكتبها المخابرات على الحيطان.

وتعد الزنزانة مكان للعزل، عزل الأسير عن كل ارتباطاته بالحياة في محاولة لجعله مقيد محاصر الافكار، فهو لا يرى الشمس ولا يدرك الزمان بتاتاً إلا من "خلال وجبات الطعام كنا نعرف تقريباً الوقت"[24] فيبقى وحيداً بين أربعة جدران.

هو بالحقيقة ليس وحيداً تماماً بل هو وحيد مع أفكاره والتي كثيراً ما يسعى المحقق إلى أن يجعله منفرداً معها في وضع نفسي ضاغط، فيرى حياته أمامه ويرى القضية أمامه أو كما يوصفها يوليوس فوتشيك في كتابه تحت أعواد المشانق بأنه مكان يجعلك ترى حياتك على جدران الزنزانة مثل السينما، فالتعذيب يحصر أفكارك بما هو سلبي خاصة مع التشكيك والتهديد المتواصل، فتنحصر في زاوية سلبية.

"كان ينزلني على الزنزانة يقلي إنزل فكر...لا اراديا صرت أفكر بمين سلمني وكيف سلمني وشو بعرفوا وشو ما بعرفوا، الزنزانة بتحصرك بخانة المحقق بحطك فيها." [25]

---

[24] مقابلة مع اسير

[25] مقابلة مع أسير

وقد تداهم الأسير افكاراً سوداوية، "صابني شعور اني راح موت هون، وصرت افكر كيف الناس راح تعرف اني متت هون"[26] أو أفكار حول المرض " صرت افكر كل وجع بيجيني بالتحقيق انو في معاي مرض خطير"[27].

هذا الشعور قد يضعف البعض، الضعفاء اصلاً "ما كان يفرق معاي اقعد مع المحقق يومين ورا بعض بس ما يرميني بالزنازين لحالي"[28]..."للحظة بتحب المحقق ينادينك تطلع عنده فوق..تصير نفسك تشوف ضو ابيض تشوف حدا تحكي معاه تطلع تغير الزنزانة"[29].

هنا يدخل الأسير في حالة صراع مع الزنزانة إما ان يستكين لها وإما أن يواجه هذا العزل ويخرج من إطار التفكير الذي يضعه له المحقق " في الزنزانة يا هي بتروضك وبتأدبك وبالتالي بتعترف يا إما انت بتروضها وبتصير مكان تتعايش معاه" [30]، هذا الخيار مرتبط بخيارات المناضل في التحقيق بشكل عام.

وفي بعض الاحيان يتبع رجال المخابرات بعض الحيل داخل الزنزانة لإرهاب المناضل مثل إطفاء الإنارة عليه، وبالتالي لا بستطيع أن يرى اي شيء حتى لو وضع أصبعه امامه، وحينها قد يشعر الأسير أنه قد أصيب بالعمى " وأنا نايم كنت أصحى ألاقي الضو رايح أول ما بتفكر إنو صار عندك عمى لانك ما بتشوف ولا اشي في الزنزانة لانو الابواب عليها جلد كانك في الثلاجة"[31]

كثيراً ما كان الأسرى يتخذون أموراً بسيطة من أجل ملء وقت الفراغ وترويض الزنزانة في التحقيق، فمثلاً "كنت فاتح اذاعة صوت الزنازين FM وابلش كل ما اشعر حالي بلشت انخنق أواشتاق لحد أو بدي اضعف اغني اغاني وطنية وهاد كان يساعدني ويرفع معنوياتي"[32]

بينما يقوم أسرى آخرون بممارسة الرياضة " كنت العب رياضة فكانت نفسيتي تتحسن"[33] ويذهب آخرون للمشي داخل الزنزانة ذهاباً واياباً "كنت أمشي ساعات بالزنزانة عشان اضيع وقت"[34].

بينما يشكل عامل الخيال والأفكار تجاوزا لشروط المكان، فالايحاءات التي يطلقها عقل الأسير تحسم المسألة "ما كنت أفكر إلا بأشياء ايجابية وبأشياء خارج التحقيق، لأنو أول يومين فكرت بالتحقيق وبأسئلة المحققين

---

[26] مقابلة ع أسير
[27] مقابلة مع أسير
[28] مقابلة مع أسير
[29] مقابلة مع اسير
[30] مقابلة مع أسير
[31] مقابلة مع أسير
[32] مقابلة مع أسير
[33] مقابلة مع أسير
[34] مقابلة مع أسير

فصرت بدي اعترف فقررت افكر باشياء ايجابية ومنيحة وكانت هاي عامل أساسي إني اتعايشت مع الزنزانة"[35].

وفي حالات اخرى "وقت الزهق كنت اطبل على الباب اطلب اي شي، أو اصير افتت خبز للنمل المهم لازم اتسلى."[36]

لكن هناك نمط ثانٍ المقيتة "كانوا يخلوني احياناً اسبوع بالزنزانة..كنت افقع..وكنت امسك ايدي الف مرة باليوم ما ادق على الباب واقلهم بدي اعترف..كل ما اشعر اني بضعف ارجع اتذكر صحابي"[37] .

يحاول بعض الأسرى كتابة بعض الكلمات على الجدران من أجل تذكير أنفسهم بأنهم يجلسون في تحقيق مع العدو فيقومون بكتابة بعض الكلمات على الجدارن "كنت اكتب في كل مكان الاعتراف خيانة.عشان اضل اذكر حالي واذكر كل واحد بيجي وراي انو ممنوع اعترف."[38]

وبالمقابل قد تعمل المخابرات على كتابة بعض الأسماء على الجدران التي يريدون أن يضعوا بها مناضل ويذكروه في أسماء معينة كي يعترف عليها " بس خلصت تحقيق اجاني كثير ناس كانوا بنفس الفترة وقالولي اسمك ملان بالزنازين، وانا فعلاً كنت رافض اكتب اسمي لاني برضو بديش حدا يتذكرني، وبعدين فهمت انو المخابرات كانت كاتبه اسمي بزنازين معينة واجا عليها هاي الغرف ناس معترفين والهدف انو يحكو علي."[39]

الزنزانة من أصعب مراحل التحقيق وأهمها، فيقول آخر حول الزنزانة "ليست المسألة بان تناضل فقط، بل المسألة في أن تحمي ما تناضله في عزلتك داخل الزنازين فهي المرحلة الأصعب."[40]

<u>الخداع</u>

تعتمد هذه الأساليب بشكل رئيسي على خداع المناضل، واستغلال جهله بالعديد من قضايا التحقيق من أجل خداعه وسحب الاعترافات منه، وبالتالي تستند بشكل أساسي على قلة وعي المناضل وجهله بالعديد من أساليب التحقيق.

---

[35] مقابلة مع أسير
[36] مقابلة مع أسير
[37] مقابلة مع أسير
[38] مقابلة مع أسير
[39] مقابلة مع أسير
[40] مقابلة مع باحث وأسير

تبسيط وتسفيه القضية

وهي من أكثر الأساليب شيوعاً وتستخدم مع جميع الأسرى، بإيهام الأسير أن قضيته غير مهمة وأنها من القضايا البسيطة التي تمر على التحقيق مقارنة بغيرها من القضايا.

فمثلاً يبدأ المحقق بالقول " شو يعني عليك تنظيم، طيب عنا هون في ناس عليها اطلاق نار وتفجير عبوات"[41] أو " يا زلمة قصتك كلها 6 شهور ان طارت، خلص احكيها وريح حالك مش مستاهله كل هالتعب الي بتتعبه عشانها بالتحقيق"[42]. أو " شو يعني ضرب حجار.. اساساً بطلنا نحكم عليها هاي احكيها وريح حالك"[43]... أو " شوف احكيت أوما احكيت التنظيم هاد بنعرفه ومش هون قصتنا، قصتنا بشي تاني".[44]

وأحياناً يصار إلى تبسيط الأسير نفسه وتبسيط خطورته، وأنهم يركزون على الأسرى الخطرين أما القضايا البسيطة فهذه يفرجون عن أصحابها لكن بعد أن يقولوا ما فعلوه على شرط أن لا يعودوا إلى هذا الامر ثانيةً، طبعاً هنا يقع بعض الأسرى في سذاجة تصديق المحققين ويدلون باعترافاتهم.

وهنا قد يخطئ البعض ويدلي بالمعلومات التي لديه، لكن بالعادة أغلب من يدلون على غير دراية في العمل النضالي[45]

أما الأسرى الذين لديهم بعض الاطلاع على التحقيق والسجون، فيرفضون التعاطي مع المحققين في هذا الأمر.

تضخيم وتهويل القضية

وهو عكس التبسيط تماماً حيث يعمد المحققون إلى إظهار القضية على أنها كبيرة وخطيرة أكثر مما هي في الحقيقة مما يجعل الأسير يفكر أنه لم يقم بهذا الأمر الكبير فيلجأ للهروب من حالة الإنكار لحالة دفاعية عن الذات نتيجة التوتر والقلق الذي يصيبه، وهنا يخيل للأسير أن اعترافه على ما قام به أفضل بكثير من القضية التي توجه له ، لذا يتزعزع داخلياً خوفاً من التهمة الموجهة.

فمثلاً، جاؤوا بأحد الاسرى وقالوا له "نحن لا نريد كل ما نتكلم فيه معك منذ أول يوم هذا لا يعنينا، ما نريده أن نعلم من اين أستطعت أن تأتي بالسلاح؟ وكيف أطلقت النار على حاجز عوفر؟ وكيف تدربتم على اطلاق النار؟ وأين تتدربون"[46] مع العلم أن القضية التي كان يحقق بها المحققون لهذا الأسير طوال الاسبوعين الماضيين هي عمل طلابي داخل الجامعة.

---

[41]مقابلة
[42]مقابلة
[43] مقابلة
[44]مقابلة
[45]فلسفة المواجهة
[46]مقابلة مع أسير

وفي مثال آخر كان أحد الأسرى قد تم التحقيق معه على قضية مساعدة مطلوبين، بعد أسبوع تم تغيير المحقق الذي استلم الملف ، ودخل محقق آخر عليه وبدأ بذكر الإنجازات التي حققها المحقق والأسرى الذين خاضوا نضالات عسكرية وحقق معهم، ثم قام إلى اللوح وكتب عليه "عمليات ضد جيش الدفاع، إطلاق نار، زرع عبوات، حيازة أسلحة وذخيرة، تفجير آليات عسكرية" وقال للأسير " اقرأهم جيداً سأذهب الآن لاحضر قهوة لتقل لي بعدها ما لم تفعله من هذه القائمة، لأن قضيتك خطيرة وكبيرة كثير وجأتنا معلومات جديدة عنك"[47].

عند هذه المفاجأة يدخل الأسير في صدمة داخلية فمن مساعدة لمطلوبين إلى تحمل قضايا عسكرية كبرى، هذه الصدمة تخلق في نفس الأسير صراع " فأنا كل الي علي مساعدة، صرنا بعمليات عسكرية وتفجير عبوات وكواع"[48] فعلاً وهنا يبدأ مسلسل الاعترافات. بينما لو كان الأسير واعيا لهذا الأسلوب يرفضه ويرفض التعاطي مع الأمر برمته.

إن العامل الحاسم في المواجهة هنا هو دراية الأسير أن كل ما يقوم به المحققون هو مجرد وسائل من أجل انتزاع اعترافات وحسب.

الصفقة

أسلوب يحاول من خلاله ضابط المخابرات عقد اتفاق تعاون ما بينه وبين الأسير على أن يدلي الأسير بالمعلومات التي يعرفها، مقابل الافراج عنه أو تخفيف حكمه، أو تخفيف التحقيق وعدم إعلان أنه اعترف في التحقيق.

(تعاون معنا سنكتم كل شيء...مش راح نعتقل حدا بس احكيلنا مين الي بالتنظيم...راح نخفف عنك حكمك ...راح تروح من التحقيق بس تحكي كل اشي وهي وعد..الخ من الجمل المعسولة والمليئة الكذب من أجل جر الأسير إلى مستنقع التعاون مع الاحتلال).(فلسفة المواجهة)

بما يصاحب ذلك من وسائل أخرى كالتشكيك بالنضال والمناضلين.

و"..دخل على الزنزانة الجمبي ابن قضيتي.. وبلش يحكيلي انو اعترفت عليك واحكيت كل اشي بعرفه عن السلاح الي بينا وما ضل اشي اخبيه وقلتلهم عن الخلية العسكرية الي بينا...طبعاً بس كان يحكي أنا كنت مصدوم لأنو اول شي جد ما في بينا شي..بس بعدين فهمت منو نفسه انو المخابرات كانوا ضاغطين عليه "اذا بدك تطلع على السجن لازم تتعاون معنا بهيك امور" وفعلاً أثر علي يومها"[49]

---

[47] مقابلة مع أسير
[48] نفس المرجع السابق
[49] مقابلة مع أسير

وأضاف أحدهم: " قالولوي انو احكيلنا مين كان معك...فاحكتلهم بعدها قالولولي بدنا نهد بيتكم ونعتقل اهلك فانا خفت قلتلهم لا انا ما عملت شي، فقالولي طيب شو رايك تعطينا كمن معلومة ونروحك تشوف اهلك وتصير تروح وتيجي على الكنيون جوا وتصاريح..فانا وافقت "[50]

كثير من أساليب المخابرات تنجح مع المعتقلين خاصة الصدفيين بسبب جهل الأسرى بهذه الأساليب ومن ضمنها أسلوب الصفقة، فالمخابرات تدرك أنها أحياناً تخيف بعض الأسرى بهذا الامر، بينما تدرك أن البعض الآخر سيحاول التذاكي عليهم من خلال الموافقة على شروطهم ولكنه سرعان ما يجد نفسه في فخ أكبر من اعتقاده، فان يوافق على الحديث مقابل تخيف حكمه أو يوافق على الاعتراف مقابل عدم ذكر اسمه سيجد أن الامر مجرد لعبة من المخابرات للإيقاع به. وهذه كلها محاولات إما تحييد أو إسقاط للأسير.

جهاز كشف الكذب

هو جهاز أو آلة وظيفتها قياس وظائف عدة بالجسم مثل دقات القلب، درجة الحرارة، التنفس، جهاز الومضات العصبية، الإفرازات العرقية، اختلافات الحرارة.

لكن محققي المخابرات تروج أن هذا الجهاز يقرأ أفكار الأسير ويحللها ويعرف خفاياها وما هو حقيقي وما هو كذب.

كثيراً ما يعرض هذا الأسلوب في المراحل الأخيرة من التحقيق والهدف من ذلك هو إما تمديد فترة أخرى بالتحقيق أوالتأكد من صدق قوله، ولكن حتى مبدأ قبول أو عدم قبول ذلك قانونياً يحق للأسير الموافقة على هذا الأسلوب أو رفضه، والأفضل رفضه كأحد تمظهرات عدم التجاوب.

"هذا الأسلوب إذا أنت مش موافق بقدروش يقعدوك عليه،لأنو أساساً مش اشي ملزم قانونياً، وحتى نتائجه مش ملزمة قانونياً"[51]

" قالي في طريقة وحدة نعرف فيها إنك صادق أو كاذب، قلتله شو هي..قلي في عنا جهاز بنقعدش أي حدا عليه بس بنقعد الي إحنا شاكين أنو يمكن يطلع صادق وهو بقرأ الأفكار وبيين الكذابين..هلأ أنا هون ضحكت خاصة إني سامع عن الجهاز وبعرف منيح شو آلية عمله، قلتله بدك جهاز بقيس القلب والحرارة والضغط والاعصاب يقرأ أفكاري ...قال : لا مش صحيح..قلتله: صحيح ونص وعفكرة هاد جهاز بيولوجي وبقدر

---

[50] اعترافات متعاون مع الاحتلال

[51] مقابلة مع أسير

ببساطة ابطل مفعول عمله بمجرد احرك اي عضلة بجسمي هذا عدا عن أنه مش ملزم قانونيا لا القعدة عليه ولا نتائجه."[52]

بالتالي يحق للأسير رفض الجلوس عليه وعدم التعاطي مع الضابط في هذا الأمر، بينما في حالة الموافقة قد يؤدي ذلك للضغط أكثر على الأسير.

"عرضوني 3 مرات على جهاز كشف الكذب كل مرة يقولولي كذاب إنت ويرجعوني تحقيق جدي من أول وجديد وارجع اطلب الجهاز عشان اقلهم اني خلصت كل اشي عندي، وحتى اجاني مرة تمديد من المحكمة بحكم وصايا الضباط على عمل الجهاز وكيف طلعت كذاب، بعد ما خلصت تحقيق فهمت انو كان بقدر ارفض وما اطلع عليه، بس بعد شو ...بعد كل البهدلة."[53]

الاستدراج خلف الحصن

بالعادة ما يكون من الوسائل الأخيرة في التحقيق بعد العجز معه في كل الأساليب، حيث يقف المحقق ويقر أنه عجز في جعل الأسير يدلي بالاعتراف ولكن يريد أن يريح ضميره ويقول أنه شارك بأنشطة عامة مثلاً جماهيرية، والتي يبدأ من خلالها باستدراج المناضل خطوة خارج القلعة النفسية التي يتحصن بها الأسير الصامد من أجل جره للاعتراف.

"اجاني آخر أيام وقلي بتعرف إنو أنا عندي قناعة انك مش راح تعترف وأنا فعلياً وطاقم التحقيق واصلين لهاي القناعة، شوف أنا بصراحة بدي أنهي معاك التحقيق بس أنت قلي أنك شاركت بأي نشاط بدون ما تكتب عند الشرطة أو عندي ووعد مني اخلص تحقيق"[54] وفي مثال آخر "شوف بدكش تحكي بلاش الاداري بستناك، والله إلا نهريك في الإداري أو بتقول أنا عملت دون ما تعترف بس عشان نتأكد" [55].

التنصت

يعتمد هذا الأسلوب بشكل أساسي على الزنازين بحيث يضع رجال المخابرات أسير بزنزانة ورفيقه بالنضال بزنزانة أخرى قريبة، بحيث يوفر لهما فرصة للحديث من خلال ماسورة يوجد بها جهاز تسجيل، بحيث يعطي رجال التحقيق للاسير حريته بالحديث بينه وبين رفيقه إلى أن يتم مواجهته فيما قال بغرف التحقيق مع تسجيل.

---

[52] مقابلة مع أسير
[53] مقابلة مع أسير
[54] مقابلة مع أسير
[55] مقابلة مع أسير

"دخلوني على زنزانة قديمة شعرتها في زاوية المسكوبية، بس وصلت جواها قعدت اطلع فيها لقيت في "ماسورة" بتوصل بين هاي الزنزانة وزنزانة تانية ما فهمت ليش..بعد يومين دخلو واحد جمبي وبس بلش ينادي على السهير انا عرفت انو هاد ابن قضيتي، ففهمت انهم بدهم منا نحكي بسهولة وبعدها يسجلولنا بهاي الماسورة."[56]

ومن جهة أخرى تعمد أجهزة المخابرات إلى وضع أسرى اثنين من نفس القضية بذات الزنزانة وتركهما يتحدثان سوياً حتى يجمعوا المعلومات " في كل مكان في تنصت بالزنازين وبكل زنزانة لو ما بتشوفها بس انا على قناعة في تنصت وفي تصوير كمان ببعض الزنازين، هم بدهم يضلوا مراقبينك طول الوقت."[57].

يدرك العديد من الأسرى هذا الأسلوب القديم جداً، فهو لا ينطلي على الأسرى المعتقلين سابقاً "حطوني بزنزانة أنا وإبن قضيتي قدرنا وقتها إنهم بدهم إيانا نحكي مع بعض بموضوع القضية وشو صار وكيف صار، فاحنا غمزنا بعض وقضيناها طول اليوم نحكي عن الطبايخ وعن النسوان..بالآخر دخل علينا المحقق قال اسمعوا واحد فيكم عامل القصة واحد فيكم لازم يعترف على الاقل..فأنا فهمت انهم فعلاً كاننوا حاطين تسجيل بالزنازين."[58]

الصدف/الشرك

تعمد المخابرات احياناً إلى ان تقوم بوضع مواقف معينةأمام الأسرى بطريقة تظهر على أنها حدث صدفي غير مخطط له، بحيث يبدو الحدث فعلاً أمراً طبيعياً دون تخطيط، مثل أن يلتقي أسيران في الممر، أو بذات الزنزانة، أو بزنازين قريبة، أو تدخل على غرفة تحقيق بالخطأ.

" كل شيء مرسوم بدقة في الداخل، لو حطوك بزنزانة إعرف انهم عارفين ليش حطوك بهاي مش بزنزانة تانية، لو خلوك تشوف حدا وبعدها حاولو يبينولك انك ممنوع تشوف حدا اعرف انها برضو مش صدفة ما في اشي صدفة جوا التحقيق كل اشي مرسوم ومخطط اله، الزنازين، التحقيق، الاسئلة بالتحقيق، المعلومات، كيف يبلش..ما في صدفة هناك."[59]

يهدف هذا الأسلوب إلى زعزعة المناضل أحياناً بإدخاله إلى عميل يتكلم عن اعترافه ومدى التعب الذي يشعر فيه بالتحقيق من أجل تهبيط عزيمة المناضل، أو عميل آخر يحاول نقل اخبار اصدقائه في التحقيق بشكل غير

[56] مقابلة مع اسير
[57] مقابلة مع أسير
[58] مقابلة مع أسير
[59] مقابلة مع أسير

مباشر، أو أن يقوم عامل المردوان (عميل متخفي بهيئة عامل) بتهريب بعض السجائر للأسير ومن ثم الحديث مع الأسير وتقديم له نصائح هي بالحقيقة تفيد سير عملية التحقيق.

"فاضت مجاري الغرفة عندي صرت أطبل على الباب أجا السهير قلي شو مالك، فقلتله انو المجاري فايضة فراح قلي شوي انقلك من الغرفة، غاب ورجع نقلني عند واحد وقلي اقعد هون مؤقت لاشوفلك زنزانة تانية..هلأ بالحديث وانا قاعد معاه صار يحكيلي مين شاف بالتحقيق وشو اوضاعهم وذكر من بينهم ابن قضيتي.. انا قدرت انو عصفور وانو الي بصير عم بحاولو يفتعلوا احداث عشان تبين الامور صدفة وفعلاً أكثر من مرة عملوا في هيك.. ومرة دخلوني على واحد من ولاد قضيتي، وقال بالصدفة اجا المحقق وشافنا مع بعض وبلش يصرخ بالسهير كيف بحطنا مع بعض وممنوع يحطنا مع بعض وعصب ..دراما العادة."[60]

لماذا قد ينجح هذا الأسلوب؟ في الأسر يحاول الأسير حثّ صديقه على الصمود أو عدم الحديث ببعض المواضيع أو تحذيره من بعض القضايا أو استفهام ماذا حصل بالخارج، كون الأسير يكتشف العديد من نقاط قوته وضعفه بالتحقيق لذلك يسعى لتحصين زملائه بتحذيرهم من بعض التفاصيل والقضايا. (صراع في الظلام). وأفضل حال للتعامل مع هذا الأسلوب هو التصرف وكأن الشخص الآخر غريب ولا يمت بصلة للأسير بشيء.

التسجيل/الفبركة

لا شيء صدفة فعلاً، فأن يقوم المحقق بسؤالك عن تفاصيل وعن قضايا وطريقة السؤال وإعادة السؤال لأن المخابرات لديها دائماً مخططات في التحقيق في محاولة كسر إرادة الأسير وانتزاع اعتراف منه.

من الأساليب الحديثة هي تسجيل كلمات للأسير من أسئلة مختلفة وإعادة إنتاجها لدى مهندس صوت بحيث يتم قصقصة بعض تفاصيل الحديث وتركيب كلمات أخرى من إجابات الأسير على أسئلة أخرى ليخرج لدينا في النهاية مقطع يوضح اعتراف الأسير بالتهم المنسوبة له، ومن ثم يعرضون هذا التسجيل على اصدقائه ورفاقه كي يصدقوا أن صديقهم ورفيق دربهم اعترف.

"انا سمعوني صوت ... وهو بحكي آه أنا جبت السلاح عشان نخطف فيه..وطبعاً هاد كان أول يوم تحقيق، فأنا صدقت إنو اعترف فاحكيت، وبعد أسبوع اكتشفت أنو هو مش حاكي وأنا بس الحاكي عن هاد الموضوع..بالسجن فهمت قصة إعادة تركيب الأصوات"[61] هناك أسرى أدركوا هذا الأسلوب مباشرة فلم يتجاوبوا معه وهناك أسرى آخرين وقعوا في هذا الشرك.

---

[60] مقابلة مع أسير

[61] مقابلة مع أسير

" سمعوني واحد من ولاد المجموعة عم يعترف شعرت للحظة أنو في غلط، وقدرت فعلاً وقتها ليش كانوا يسألني كثير أسئلة مختلفة وتفاصيل دقيقة اجتماعية.. يعني كانوا يسألوني أنت ومين رحتوا على العرس اقله أنا وفلان..يقلي طيب وفلان وين راح وأنا اجاوب على أساس انها شغله اجتماعية بتحبسش وبضرش، فشعرت وقتها انهم كاينين بدهم يجمعوا أكبر عدد ممكن من الكلمات عشان يركبوا جمل ويعرضوها على التانين..طبعاً ااا أنكرت لأني متأكد أنو الي معاي برضو بعترفوش وبس خلصنا تحقيق والتقينا اعرفت كمان انو عاملين مع البقية زي ما عاملين معاي."[62]
الثقة برفاق النضال، واتخاذ قرار الصمود سبب رئيسي بعدم تقديم الاعتراف أو التجاوب بأي شكل من الأشكال.

العصافير في زنازين التحقيق من أخطر الوسائل

تتعدد مهام العملاء داخل السجون، في بعض الأحيان يكون هؤلاء أسرى سابقين وارتبطوا بالاحتلال وهربوا من أقسام الأسرى المناضلين بعد اكتشاف أمرهم وبعضهم يدعي العمل في الداخل المحتل ولكنه يعمل في زنازين التحقيق، وبعضهم الآخر يعمل في الزنازين بعدما هرب من بيئته عندما انكشف أمره.
وعلى أيدي هؤلاء سقط في فخ الاعتراف آلف الأسرى من السذج والمدعيين. والعملاء يظهرون بألف قناع وقناع، مرة قادة ومره مسؤولون أمنيون ومرة التغرير بالأسرى وتصيّدهم. والقول الفصل هنا (لسانك حصانك، إن صنته صانك) فلا ثقة بأحد في الزنازين ولا كلمة واحدة تفشي من أسرار العمل داخل الزنازين والسجون عامة ومن وسائل العملاء:

كسب الثقة

إن اكتساب ثقة الأسير من قبل العميل هو المدخل الرئيسي، وهي تحتاج لوسائل عديدة ممكن أن يؤديها العميل. فقد يدعي العميل الصمود وأنه يواجه ضباط المخابرات بشجاعة ويعود لتشجيع الأسير على الصمود، فيظهر بمظهر البطل الصامد، فينقل حالة من الانبهار إلى الأسير ويكسب احترامه، وبناء على هذا الأمر قد يمرر العميل عدة أمور أهمها انه مثلاً يستطيع ان يمرر اعتراف جزئي أو اعتراف ليغطي على شيء آخر، أو يرهب الأسير بأساليب التحقيق عندما يعدد العميل الأساليب التي قد تمارس عليه(صراع في الظلام).

---
[62] مقابلة مع أسير

وقد يذهب العميل لاستخدام معارف الأسير بالحديث عنهم وعن تفاصيل تتعلق بهم في الزنازين لكسب ثقة الأسير، فيشعر الأسير بالاطمئنان وبالتالي يتطرق لقصص وحكايات قد تفيد ضباط المخابرات، أو ينقل مثلاً اعتراف بعض من زملائه لتحريك فكرة الاعتراف في رأس الأسير.

وربما يأخذ العميل شكلاً آخر يدعو للشفقة والظهور بمظهر الخائف المرتعد من التحقيق والذي لا يعرف ماذا سيحصل معه، وبذلك يضمن شعور الأسير بالمسؤولية تجاه العميل وهذا يعني أن الأسير سيعمل على نصح العميل والتخفيف عنه وسيلجأ إلى تثقيفه أمنيا من أجل حمايته وبالتالي يعرف العميل مدى سعته الأمنية ومعارفه، وقد يكشف جزء من معارفه دون أن ينتبه الأسير إلى ذلك في سياق تشجيع العميل على الثبات، عدا عن كونه يعكس للعميل عن وضعيته النفسية صلبة أم ضعيفة متماسكة أم هشة.

"إذا سويت اشي أو ما سويت تحكيش اشي وصار يقولي كيف بتخلص تحقيق وأنا اتفاعلت معاه لأنه الواحد بتشتت بالتحقيق..وكملي شرح عن كيف بتكون غرفة العصافير وقلي تحكيش عندهم ولا اشي.."[63]

فالعميل والمخابرات يدركون جيداً أن هناك حاجة للإنسان أن يتكلم مع غيره ويفضفض لغيره عن ما يجول في خاطره أو عن الصعوبات التي يواجهها، وبالتالي يستغل ضباط المخابرات هذه الحاجة لتكون مدخل للعلماء في الحديث مع الأسرى.

وأحياناً يعمل العملاء في أقسام العار على كسب الثقة من خلال حث المناضل عدم الثرثرة والتفوه بأي أسرار لأي أحد " ما تحكي اي شي لحد هون، في عنا ضربة برا ولازم نفحص ونتأكد بدون ما حد يعرف ..لازم نحمي البنية التنظيمية."[64]

وأحياناً يأتي العملاء على كسب الثقة بأساليب مختلفة تماماً "اجا علي زلمة شيخ بتخيل عمره فوق ال 70 سنة ولحيته بيضا وكلامه حلو وهو عصفور طبعاً ، دخل علي بارك الله فيك ويمزح معاي بطريقة لطيفة جداً ، وحكا معي باشياء اجتماعية جداً وما احكا اي شي سياسي وكان يسأل وين ساكن شو درست عندك استعداد تساعد الشباب بالسجن بمحو الامية."[65]

بالتأكيد هذه الأساليب لا تنطلي على الأسرى المجربين وأصحاب الوعي الوطني المجربين، فهؤلاء الأسرى يدركون أن كل ما في داخل التحقيق من أشخاص ليس من أجل الصداقة بل من أجل التحقيق وهم بشكل أو بآخر مرتبطون بالمخابرات، وإن لم يكونوا كذلك فغالبية الزنازين مجهزة بأجهزة تنصت ومتابعة لذا لا يجب الوثوق بأحد داخل الزنازين.

---

[63] مقابلة مع أسير
[64] مقابلة مع أسير
[65] مقابلة مع أسير

تحديد امكانيات الأسير وقدراته

1- حيث يعمل العملاء على معرفة نقاط قوة الأسير ونقاط ضعفه ونقل هذه الامور لضباط المخابرات من أجل القدرة على استخدامها في التحقيق " بس العصفور الي هو بدخلو واحد عندك مباشرة عشان يدرس نفسيتك من أول التحقيق المستمر بتدخل عند شخص مثلا بعطيك انو تقريبا نفس عملك بعمل بس منطقة بعيدة مش رح تعرفها مثلا واحد بيقلك من بردلة جنين شو بعرفني فيها أومحمد عندو تلسكوبات وبواجر طيب انا شو بعرفني فيه شو هالتصادف وانو سلم سلاح ومش عارف ايش بقولو طيب نيالو الي عندو اشي يسلمو ويخلص وبحاول يهيالك الامور انها سهلة وانا مسجون اكتر من مرة فهو بحاول يشوف أنت تعيس محبط مش محبط بدك تحكي أولا في امكانية تحكي كيف حياتك بعرفش كيف هم يعني شو الي بوخدوه."[66]

2- معرفة تفاصيل علاقاته وحياته الاجتماعية ومدى ارتباطه بالأسرة بالاصدقاء ومحاولة التقاط أي نقاط ضعف في هذا المجال وتعزيز نقاط الضعف "قلنا العصفور الاول بيجيبوه عشان يشوف حالتك بس في عصفور تاني جابوه هاد بقول انا من الخليل بيكون كبير في العمر بلحية هاد دوره شغله وحدة انه يدخل في مخك هواجس وما بيعرفك بشخص يعني انه رح يصير معك كدا لا هو بحكي قصه عن نفسو هاي وظيفتو يعين مثلا انا عندي انا واخي شركة في كل شغلنا وحياتنا في عدتنا مجرد ما دخلت على هاد العصفور اول ما احكى قصة بس مختصرة انو هو انسجن قعد فترة في الزنازين والتحقيق لانو قعد الفترة هاي طبعا السجنة مش نفسها انو اخوه بهدلو وحياتو اتدمرت وراحت المصاري وباع الغنمات والتركتور وروح ما لقى اشي ومش معطي عيالو اشي فاهم كيف يعني ما ضل اشي واخوه اخد كل اشي بس هاي وظيفتو"[67]، بالطبع هناك من يدرك هذا الأسلوبالأسلوب ويتصدى له بكل بساطة ففي ذات المثال يكمل الأسير " يعني والله زي قصة اخوي بس بريحني لو يوخدو كلو بديش وتعبان من هالشغل برجعش عليه خلص."[68]

3- الأساليب التي تؤثر على الأسير، ما هو أكثر أسلوب يكرهه الأسير؟ ما هو الأسلوب المكشوف والمحروق لديه "قلي يا زلمة ما وقفوا تحقيق معي على كرسي الشبح ليل نهار ويا دوب يريحوني بالزنزانة، وشكلهم بدهم ينزلوني تحقيق أعلى..بصير معاك زي؟ ولا بس شكلي لحالي هيك؟"[69]

---

[66] مقابلة مع أسير
[67] مقابلة مع أسير
[68] مقابلة مع أسير
[69] مقابلة مع أسير

4- معرفة علاقة الأسير بدرجات الحرارة من أجل محاولة محاصرة الأسير بيولوجياً "شكلها زنزانتك باردة كثير ولا أنت مش حاسس؟ ليش ما ادق عليهم تقلهم يخففوه عشان نعرف انام!"[70]

5- معرفة قدرات وفهم الأسير الأمني لمراحل التحقيق وكيفية سير عملية التحقيق، فكثيراً ما يأتي العميل ليحاول ان يسأل ويستشير الأسير عن مراحل التحقيق وماذا يحصل معه أو يحاول أن يخبره ببعض المراحل ليكتشف معرفته عن التحقيق وبالتالي ليحدد ضباط المخابرات التكتيكات القادمة الممكنة.

التشكيك بإمكانية الصمود لدى الأسير

يعمل بعض العملاء على هز قناعة وارادة الأسير في الصمود بوجه المحققين، وأن مسألة الاعتراف هي مسألة وقت لا أكثر، وبالتالي على الأسير أن يعترف لأنه بالنهاية سيعترف، لذا الأفضل توفير وقته وجهده، ويعمل العملاء في هذا المجال بعدة أساليب وطرق أهمها:

1- تعزيز فكرة الخلاص الفردي عبر طرح نماذج انهارت بالتحقيق واعترفت في النهاية رغم مرتبتها التنظيمية، أو أن أصدقاء الأسير قد اعترفوا في الزنازين الأخرى، ويكون ذلك عبر أحد العملاء بالزنازين، "كنا بنحكي انو مين شاف بالزنازين وبلش يحكيلي عن ناس التقى فيهم دخل من بين 5 اسماء اسم اثنين ولاد قضيتي، وحكالي انهم اعترفوا وخلصو تحقيق..جابها بطريقة ما شعرت انو بوصلني رسالة."[71]

2- تقديم عميل نفسه على أنه أسير مناضل منهار ومعترف رغم صموده سابقاً "انا خلصت كل اشي علي، صمدت 3 اسابيع بس بعدين شعرت انو فش أمل فأحكيت كل اشي وهلأ خلصت وراح اروح على السجن."[72]

3- تهويل قدرة المخابرات في معرفتها كافة المعلومات، وإمكانية تمديد الأسير فترات طويلة داخل التحقيق وإمكانية الإدانة القانونية وأهمية أن يعترف حتى لا يحكم فترة طويلة "شوف اذا هم بحكولك قصص ثابتة أوفي عليك اعتراف فإنك تعترف افضل عشان يجي حكمك أخف لأنو اذا ما احكيت بضاعفوا الحكم."[73]

---

[70] مقابلة مع أسير
[71] مقابلة مع أسير
[72] مقابلة مع أسير
[73] مقابلة مع أسير

لكن العديد من الأسرى الفلسطينيين يتجاوزون هذا النوع من العملاء ببساطة فخدعهم لا تنطلي عليهم بأساليب عديدة " بس كان يحكي معاي الزلمة بالزنزانة والي انا متأكد ما بدخلو علي غير واحد عميل معاهم، كنت اشوف قدامي فعلياً ضابط مخابرات عم بوصلي معلومات أو بدو يعملي شغله فأنا اعمل حالي مش فاهم انو عصفور بس اكون فاهم رسالته وفاهم كيف المخابرات بتفكر، كنت بفكر دايماً انو اذا بصمد وبحكيش بحمي صحابي ....وكنت بتذكر كثير ناس صمدت بالتحقيق وهاد خفف التحقيق وبخفف الحكم بعدين.. يعني بس تسمع العميل بالزنزانة كنت احاول دايماً ما احصر حالي بأفكاره"[74].

وضع الأسير بخانة العمالة

يدرك جهاز الشاباك جيداً أن خطورة اتهام فلسطيني بالعمالة ومدى تأثيرها على شخصية الفلسطيني، خاصة بحالة كان الفلسطيني مناضل ومتحمس لقضيته، فهذا الاتهام بالعادة يفقد أي شخص توازنه وثباته ومقاومته الداخلية، خاصة في حالة الزنازين، هناك عملاء بالبداية ينتزعون ثقة الاسرى بهم ومن ثم يبدأون في عملية توحي بالشك بالأسير بأنه عميل لدى جهاز المخابرات "اسمع انا زهقان حالي ومارر علي زيك كثير اقعد هناك بالزاوية وما تحكي ولا كلمة ماشي مش ناقصني..فاهملكم منيح انا"[75] .

هذا الأسلوب قد ينهار أمامه الأسير غير الواثق بذاته ويفصح عن ما لديه من معلومات حتى يثبت للعميل أنه إنسان وطني.

في بعض الأحيان يرى ضباط المخابرات أن الأسير يتأثر في هذا الأسلوب فيبدأون بالضغط عليه وإطلاق الإشاعات في التحقيق، ومن ثم ينقلون الأسير إلى اقسام العصافير الذين يتعاملون على أنهم مناضلين وأسرى بأحكام طويلة وأنهم سمعوا قصصاً مثل هذه عن الأسير لتستمر حكاية التخوين للأسير حتى يبدأ بالدفاع عن نفسه بكشف أسرار العمل.

العميل لانتزاع المعلومات أو إيصال معلومات أو رسائل

وهذا النوع من العملاء يكون دوره انتزاع معلومات من الأسير وهناك مقدمات ضرورية لذلك.

في البداية يدخل عميل إلى الزنزانة ينام ويصحو باكراً يأخذوه للتحقيق ثم لا يعود إلا متأخراً للنوم ويبدو عليه الإرهاق الشديد لا يتحدث كثيراً، وقد يبقى أياماً مع المناضل يذهب ويجيء على أنه ما يزال في التحقيق فترات

---

[74] مقابلة مع أسير

[75] على لسان عميل، مقابلة مع أسير

طويلة، حتى تأخذ الألفة صدر الأسير وتزرع الثقة بينهما على أنه أسير مثله، ثم تبدأ عملية الاستدراج البطيء في الأحاديث العامة والاجتماعية حتى يصل رويداً رويداً إلى قضيته فيأمنه الأسير كما يبادله العميل الأمان وعند الحديث بتفاصيل نشاطاتهم يكون جهاز التسجيل يسجل في الزنزانة أو بملابس العميل أو من خلال نقل المعلومات شفاهةً للمخابرات ليكتشف الأسير انه كان عند عميل للمخابرات وليس مناضل.

وقد يكون دور هذا العميل معرفة حجم المعلومات عن التحقيق لدى الأسير " اجا علي واحد وبعد كم يوم اجا كمان واحد الاولاني ما كان يحكي يضل يطلع على التحقيق ويرجع اما التاني باليوم التاني صار يغني عصفور طل من الشباك وقلي يا نونو وبعد فترة اخدوه، فالعميل الاولاني سأل شو هاد، قلتله انا انو هاد عصفور..فقلي شو يعني؟ فبلشت اشرحله وكنت شاعر انو اسير وبعرفش بس هو فعلياً كان يحاول يعرف اديش انا بعرف."[76]

وقد يكون دور العميل إدخال فكرة إلى رأس الأسير بناءً على رؤية المخابرات "قبل بيوم قعد معاي ليلة كاملة العصفور يقلي اذا شاعر انو عندهم معلومات اكيدة عنك أواعترافات بتقدر تعمل صفقة عشان تخفف الحكم انو تحكي مقابل تخفيف الحكم، طبعاً تاني يوم المحقق عاد نفس الحكي."[77]

أو يقوم العميل بتأليف قصة قريبة على قصة المناضل ويوضح فيها أن مصالحه تضررت وأنه يريد الاعتراف، وفي بعض الاحيان يحاول رجال المخابرات إيصال رسائل لبعض الأسرى باعتقال أحد أقاربهم أو قريباتهم من خلال إيصال رسالة عن طريق العملاء "اسمع يا زلمة جايبين هالبنت يحققوا معها هان المسكينة، شفتها هيك بيجي عمرها 24 سنة والله شفقت عليها...طبعاً انا طول التحقيق بهددوني يجبوا اختي وهون لخمت"[78]

التهيئة لمرحلة أقسام العار/العملاء

يتم تهيئة الأسير نفسياً للانتقال إلى غرف العملاء، تتم بعملية طويلة يشارك فيها طاقم التحقيق والعملاء وإدارة مركز التحقيق (الشاباص) وإدارة النقل (النحشون).

فقد تبدأ بأن يقول المحقق أن التحقيق معك –للأسير- انتهى وستنتقل للسجن، فيأتي الشرطي ويأخذ البصمات وينقل الأسير إلى العصافير التي تكون في مراكز التحقيق أو في السجون وهذا النمط الأول.

أما النمط الثاني فيبدأ بدخول العميل إلى زنزانة الأسير وكسب ثقته ولا يتطرق إلى القضية أبداً ولا يثير أي سؤال يولد الريبة للأسير، بعد الثقة يحاول العميل وصف السجن للأسير وتبيان الفارق مع قسم أو غرف العملاء حتى يتحكم العميل في مخيال الأسير.

---

[76] مقابلة مع أسير
[77] مقابلة مع أسير
[78] مقابلة مع أسير

يُنقل الأسير إلى هذه الغرف ويرى ما كان يقوله له العميل بأنه غرف عصافير وعملاء، فينكر أمامه أي شيء، فيعود للتحقيق فيدرك مصداقية العميل الذي كان معه بالزنزانة. أو ينقل مباشرة لقسم العملاء بمواصفات مختلفة. وتشاء المخابرات أن يعودان من جديد ليلتقيان، وهناك سيشكر الأسير العميل على نصحه، ومن ثم تعاد الكرة ولكن هذه المرة يذهب لقسم العصافير الذي وصفه العميل على أنه السجن وهناك يكون قد وثق بالعملاء الذي ينتحلون صفات مناضلة ويبدأ باعطاء المعلومات إلى العملاء على انهم مناضلين. تحت صفة مسؤولين أو قادة سجون!

الأسير الذي يقع عند العملاء بكون قد نسيْ أبسط القواعد الأمنية وقد استغفله هؤلاء بصرف النظر عن طريقة استغفاله، سواء التقى بهم في البوسطة أو المردوان أو الزنزانة أو في حجرة محامي.

ولن يسهب البحث في آلية اتصال العملاء بأسيادهم المخابرات فثمة أكثر من آلية، ولن تعدم المخابرات تأمين شروط الاتصال بعملائها.

أقسام العار

وهي عبارة عن أقسام كاملة مثل أقسام الأسرى مليئة بالعملاء الذين يكملون دور المخابرات في التحقيق بانتزاع الاعترافات وهي جزء من أساليب التحقيق الرئيسية التي تعتمدها المخابرات في انتزاع الاعترافات من الاسرى الفلسطينيين.

بالعادة تلحق هذه الاقسام أو الغرف في مراكز التحقيق (المسكوبية، عسقلان، الجلمة، بتاح تكفا) أو في سجون الاحتلال في الداخل المحتل عام 48 والتي لا يوجد بها مراكز تحقيق مثل سجن السبع أوعسقلان أو مجدو.

من الخطأ وضع تصور ثابت لشكل أقسام أو غرف العملاء في السجون أو مركز التحقيق لأن ذلك يضع إطار عام يجعل كل ما هو جديد بهذا الجانب فعال في التعامل مع الأسرى، فمن الممكن أن تبنى أقسام وغرف جديدة في أقسام جديدة أو سجون جديدة أو تبنى مخيمات للعملاء كما حدث مع أحد المناضلين عندما أوهموه بأنه نفي إلى لبنان في عهد الثورة وجاء إلى معسكر للمقاومة وشككو به فبدأ يعترف عن مسؤوليته ليتكشف بعد ذلك أنهم مجرد عملاء وأن هذا المعسكر مصطنع من قبل المخابرات[79].

وأيضاً لا يوجد زمان محدد للمكوث مع العصافير فقد يكون يوم واحد وقد يكون أياماً طويلةً أو عشرات الايام، ولا يوجد شكل محدد للغرف أو الأقسام، فدائماً هناك تجديد بما يتناسب مع التغييرات الحاصلة عند أقسام الأسرى، ولا يوجد عدد ثابت فالعدد متذبذب مرات قلة ومرات كثرة، أما بخصوص انتماءاتهم التنظيمية فسنجد

[79] أحد الروايات الشهيرة في التحقيق، يعرفها الباحث من خلال تداولها في السجن.

هناك كل التنظيمات وسنجد هناك شخصيات مختلفة وسنجد هناك المتدين وغير المتدين المهم هو "لا يحق لأحد أن يسألك عن شي ما احكيتوا عند المخابرات، واذا سألك اعرف انه عميل."[80]

وللعملاء أساليب عديدة في أقسامهم منها

1- ***الاستقبال:*** بالتأكيد سيشعر الأسير براحة عندما يتحرر من ضغط التحقيق يجري استقباله وتعريفه على "الأسرى" وعلى نظام السجن والنظام الإداري والتقاليد والأعراف الاعتقالية وسيجد هناك ممثلين عن الفصائل المختلفة، ونجد هناك أشخاص لديهم اطلاع على قضايا سياسية وثقافية، والعملاء هناك هم بالأساس فلسطينيون انتقلوا إلى المعسكر الآخر ويتقنون التمثيل جيداً فأحدهم يمثل دور الشيخ التقي الورع وآخر مسؤول أمن وآخر ثالث أمير أو مسؤول المنظمة وآخر مسؤول عن العمل الثقافي ...ألخ

أما كيفية استقباله فقد يكون استقبال حافل ويقولون له لقد سمعنا أنك بالتحقيق وكنا ننتظرك ونتوقع ان تأتي عندنا وبالتالي يضعون الأسير في خانة مميزة تسر نفسه وتريحه. أو يتم تعيين الأسير بمكان إداري أو تنظيمي كما حدث مع العديد من الأسرى في هذا المجال وبالتالي يصبح الأسير يعمل معهم ويخدم أهدافهم دون علمه وقد يقوم احياناً بدور الموجه الأمني، أو عند دخوله القسم يخرج كل القسم لاستقباله كما يحدث مع بعض الاسرى عند اعتقالهم (صراع في الظلام).

وفي بعض الأحيان يكون الاستقبال بطريقة مسرحية مدروسة بعناية في أن يدخل مثلاً إلى قسم العملاء فيجد أن هناك شخص يتم التحقيق معه، ومن ثم يوضحون له أن هذا عميل وتم اكتشافه بين الاسرى فانتبه لتعاملك معه، طبعاً هنا ليس القصد تحذيره من التعامل معه بل الهدف الأساسي ان يجعل الأسير يخشى أن يوجه له سهام الاتهام بأنه عميل فيقوم ويتحدث لهم عن بطولاته وعن مدى وطنيته (صراع في الظلام).

وقد يذهبون بطريقة أغرب بأن يدخل عليهم وهم مضربون عن الطعام ويتم التوضيح للأسير أن السجن يخوض إضراباً عن الطعام، وهكذا يكسبون ثقة الأسير في التحدث معهم براحة (صراع في الظلام).

وأحياناً يصار إلى أن يقول رئيس القسم أو الموجه الأمني للأسير إرشادات وعدم التحدث لأحد عن قضيته أو قصته مما يجعل الأسير يثق بهذا العميل الذكي رويداً رويداً.

2- ***إقناع الأسير بأنهم معتقلون:*** إن من أهم المرتكزات لنجاح العملاء هو أن يثق بهم الأسير ويصدق أنهم أسرى مثله، لذا يقوم العملاء بأدوار عديدة لإثبات ذلك. مثلاً نجدهم بقسم كبير مع أسرى آخرين وقد يكون من بينهم مدنيين وقد يكون من بينهم أسرى يعرفهم الأسير وذلك بغرض إراحته اذا وجدهم هناك فيعلم أنه ليس وحيداً. وللعملاء قوانين تنظيمة وجلسات نقاش سياسية وغيرها، وسنجد لهم

[80] مقابلة مع أسير

مسؤولين وفق ترتيب السجون، ونجد بينهم من ينتحل أسماء وشخصيات يسمع عنها المناضل الجديد دون أن يعرفها مباشرة ولكنه لا يعرفها في الوجه، قد يكونوا متدينن جداً أو يفهمون بالفكر الماركسي، وقد ينصحون الأسير بعدم التجاوب مع من يسأله عن ملفه الأمني إلا الموجه الأمني، وقد يجد كراسات تنظيمية حتى عن العصافير أنفسهم، ويحظى باهتمام واحترام.

3- ***اللجنة الأمنية*:** وهي عبارة عن لجنة يفرزها العملاء على أساس أنها لجنة تتكون من المسؤولين داخل القسم من أجل متابعة الملفات الأمنية للأسرى. بعد مدة من مكوث الأسير في أقسام العصافير تتوجه إليه اللجنة الأمنية أو الموجه الأمني ليجلس مع الأسير من أجل كتابة ما يطلق عليه التقرير الاعتقالي والذي يفترض أن يحتوي كل ما حدث بالتحقيق التي اخفاها وهل هناك أناس تريد تحذيرهم من أجل أن يأخذوا احتياطاتهم أو توجيهات للقيادة من أجل تحسين العمل التنظيمي في الخارج! تحت هذه المسميات يدخل الموجه الأمني أو اللجنة الأمنية إلى صدر المعتقل ويحاولون كشف الأسرار التي يخفيها عن جهاز المخابرات. "اجو قالولي بدك تقعد مع اللجنة الامنية، لأنو لازم تخلص معاهم قبل لا يحولوك على السجن فوق، وهاي اللجنة بتفحص الاسرى اذا نظاف أولا "[81] طبعاً عملية انتزاع الاعتراف إما أن تكون بشكل شفوي أو يطلب منه كتابة شيء على أوراق، أو هم يكتبون وهو يتكلم وبالنهاية يوقع، أو يخفي العملاء بجيوبهم آلة تسجيل من أجل تسجيل ما يتحدث به الأسير وبالتالي تسجيل الاعتراف وإدانة الأسير" هم بيجو للواحد حسب كيف حذره يعني واحد شاكك شوي بقولوش اكتب بقعدوا يسألوه وهو يجاوب وبتوقع بيكون في مسجل بجيوبهم.."[82].

4- ***الرسائل المكتوبة*:** تعتمد المخابرات في أقسام العملاء أحياناً على أساليب ملتفة لإقناع الأسير المناضل بأنه متواجد عند أناس شرفاء ومناضلين. فمثلاً تأتيه رسالة من الأهل أو أصدقاء أو شركاء الأسير تطمئنه أنه قريباً سيصل إلى اقسامهم وأنه الآن في المعبار وأن الأسرى من حوله هم أناس جيدين وعليه التعاون معهم، طبعاً قد يرسل مع هذه الرسائل بعض الملابس أو الكتب أو أي شيء يجعل الأسير يشعر فعلاً أنه جاء من أقاربه فمثلاً "جابولي رسالة من إلي كان معي بالتحقيق الي هو ...بقلي انو أنت هلأ عند الشباب وهم شباب مناح كلها كمن يوم وبتيجي عنا على القسم" وهناك حالات أخرى لا تأتيها رسائل من الأهل بل رسائل من التنظيم كأن يصل إلى الأسير وهو عند العصافير كبسولة مقفلة على أنها رسالة من التنظيم مكتوب عليها أنهم يريدون معرفة بعض التفاصيل كي يوقفوا تأثير الضربة بالخارج أو ما شابه ويريدون منه بعض المعلومات من أجل لملمة الأوضاع وترتيب الأمور التنظيمية

---

[81] مقابلة مع أسير

[82] مقابلة مع أسير

وقد تختتم بختم التنظيم أو بتوقيع أحد القادة التنظيميين أو العساكر.
"وصلني رسالة مختومة بختم تنظيمي، يمكن لو أنا ما كنت بحبسة قبل كان صدقت عنجد إنها من التنظيم بس بالسجن فش هيك اختام"[83] كل هذه الحيل يمكن التغلب عليها بعدم تحريك اللسان وعدم إمساك القلم.

5- ***المدة الزمنية:*** تعمد المخابرات أحياناً إلى وضع الأسير فترة زمنية طويلة قد تمتد لبضع شهور قبل أن تسأله عن قضيته ويكون الأسير في هذه الحالة قد اطمئن على أنهم ليسوا عملاء لأنه بالعادة لا يمكث المناضلين عند العملاء فترة طويلة وهذه حالات نادرة، أو قد تعمل المخابرات على إرسال الأسير منذ اليوم الأول إلى العصافير. "..خلصت تحقيق أول يوم قالولي إحنا جبناك بس هيك نتأكد ولا كل اشي عليك جاهز وبكرا طالع على السجن صحابك كفوا ووفوا..تاني يوم اجاني نقل ودوني على سجن السبع..فأنا فكرت حالي بالسجن عنجد قعدت فترة اشك بواحد انو عصفور رحت شكيت لمسؤول القسم قلي تقلقش احنا مراقبين هاد الشب وشاعرين هيك وما تحكي معاه أي معلومة، بدك تحكي أي معلومة احكي عند المسؤول الأمني بس، انا آمنت وبعد كم يوم جاني المسؤول وطلب مني يفهم شو صار معي بالتحقيق، فأحكيلته وبلش يسأل اسئلة تانية عن اشياء مش حاكيها فانا احكيلته لانو ما شعرت انهم عصافير لانو من اول يوم نقلوني عليهم"[84]بينما يقوم أسلوب آخر على نقل الأسير بعد التحقيق أوبدون التحقيق لسجن حقيقي يمكث فيه بضعة شهور، ثم يأتيه نقل إلى سجن آخر ويكون السجن الآخر في الحقيقة هو قسم للعملاء " اعتقلوني ورحت بس استجواب شرطة واعطوني اداري وبعدها حولوني على سجن عوفر وبعدها انتقلت للنقب.. على الشهر الخامس قالولي اجاك نقل على مجدو، فأنا فكرت انو رايح على السجن وبعرفش سجن مجدو كيف.. فدخلت على القسم زي الاقسام العادية بفرقش بعد ما اتعرفت واخدت على الشباب باسبوع قعدنا سوا وبلش الشباب كل واحد يقعد يخرف بطولاته برا، فانا صرت أحكي كمان شو كنت أعمل برا قعدت هيك يومين وبعدها أجاني نقل ..هيك قالولي.. فلقيت حالي رايح على المسكوبية وكنت انا عند عصافير وأنا مش عارف"[85] .

6- ***استخدام المناضل:*** قد تنحو المخابرات أحياناً إلى استخدام المناضل ذاته من أجل العمل مع العملاء دون أن يدرك ذلك، حيث يوهمه العملاء أنه مناضل مهم وأن لديه قدرات في إدارة الشأن التنظيمي فيوضع في أحد المهام التنظيمية في قسم العصافير ليصبح هو من يمثل العملاء ويستجوب المناضلين

---

[83] مقابلة مع أسير
[84] مقابلة مع أسير
[85] مقابلة مع أسير

الآخرين ويكون هو مصدر الثقة لأسرى آخرين ليفشوا أسرارهم بالخارج كونهم يعرفون الأسير ويعرفون تاريخه النضالي. " مرة شغلوا واحد عضو قيادي في أحد الاحزاب الفلسطينية مع العملاء وهو مش عارف، وصار هو الموجه الأمني تبعهم وصار هو يوخد إفادات المناضلين، وبعد شو لاكتشف!! بعد ما في ناس كانت جايه على قضايا دم واعترفت هناك على هاي القضايا"[86]

أحياناً يستخدم المحققون زملاءً للأسير في إقناعه أنه ليس عند عملاء فهم بدورهم مخدوعون دون أن يدركوا ويحاولون إقناع الأسير أنه عند أناس مناضلين وبذلك يكونوا مصدر أمان للقادم الجديد أو لأبن القضية في أن يتكلم فهو سيثق بأصدقائه، لكن هذا لا ينطلي على الجميع فهناك أسرى يدركون المسرحية ويقفونها. من المفيد هنا التذكير أن التحقيق لا ينتهي إلا عندما يحول الملف من المخابرات إلى النيابة داخل المحكمة، وحتى لو انتهى ينبغي استبقاء الأسرار طي الكتمان.

7- ***استخدام الهاتف الخليوي:*** يستخدم العصافير أحياناً البلفون من أجل جعل الأسير يكشف خيوط اتصالاته، حيث يدعي العملاء أن هذا البلفون مهرب ويجب أن لا يكشف للإدارة، ويحيطون الأمر بأجواء سرية من أجل تهويل الموضوع للأسير ويمدونه بالجهاز من أجل الاتصال بأهله أو بإعضاء مجموعته.

طبعاً الهاتف الخلوي مراقب، وكثيراً من الحالات التي اتصلت عند العصافير اتصلت بأعضاء مناضلين بالخارج لتحذيرهم أو غيره من الأمور ليتم لاحقا اعتقالهم ومن معهم. " قالولي بدك تحكي مع اهلك أو توصل شي لبرا في يوم بالاسبوع هون بنهرب تلفون" [87]من المفيد هنا أن لا يتصل الأسير بحالة وجد هاتف سوى بأهله ، والتذكر أن كل أجهزة الاتصال مراقبة فما الحال داخل السجن.

8- ***الغرف المحروقة***: وهو أسلوب آخر من أساليب المخابرات، تعطي المخابرات صورة أن التحقيق انتهى ولا توحي له انه سيذهب إلى اقسام أوغرف العملاء، وتوحي للعملاء أن يكشفوا انفسهم للاسير بطريقة غير مباشرة، ويدرك الأسير أنه عند العملاء فيلتزم الصمت وسرعان ما يعود للتحقيق.

يسأله الضباط لماذا عاد إلى التحقيق، وبعد يومين ينزل الزنازين، فيكون هناك عميل يدعي أنه شخص وطني وتبدأ مسرحية من جديد. وعندما يذهب الأسير المناضل إلى الأقسام الجديدة للعملاء يلاحظ الفارق بين المرة الأولى والثانية وهنا يثق أكثر بكلام العميل في الزنازين وقد يجد نفس الأشخاص الذي قال له العميل أن يوصل لهم السلامات والتطمينات، مما يريح الأسير المناضل في مثل هذه

---

[86] مقابلة مع أسير
[87] مقابلة مع أسير

الاجواء. وهنا تبدأ المرحلة التانية التي يأتي فيها الموجه أو المسؤول الأمني ويطلب معرفة ما قام به المناضل الذي يكون قد اطمأن للعملاء دون دراية فيعترف بما لديه، أما الأسير ذو الفطنة الأمنية فهو يعرف أنه ليس من حق أحد أن يعلم ما لديه من أسرار (صراع في الظلام).

9- ***الزعيم أو اللجنة الملثمة:*** وهي أسلوب يقوم على الادعاء للأسير أنه سيقابل مسؤول أمني مهم أو اللجنة الأمنية السرية والتي لا يعرفها سوى أمير القسم أو الموجه الأمني وبالتالي يجب أن تبقى ملثمة حتى لا تنكشف ويتم قمعها من السجن، وأن هذا الاجتماع مهم، وهنا لا يطلب من الأسير الكتابة فقط أسئلة من قبلهم وأجوبة من قبلك، طبعاً الهدف خلق هالة ضخمة حولهم وبالتالي إشعار الأسير بهيبتهم وباهميتهم.يبدأ الحديث على طاولة أو أحد الأبراش من خلال الهمس فهم لا يتحدثون على حد قولهم حتى لا يعرفهم الأسير من صوتهم، بعد الانتهاء من الأسئلة والإجابات إما يطلبون من الأسير الخروج من الغرفة وهم يخرجون خلفه، أو يميطون اللثام عن وجوهم ليكتشف الأسير المناضل أنهم مجرد محققي الشاباك أنفسهم الذين يحققون معه أو احياناً من ذات العملاء الموجودين في قسم العملاء، ويكونوا قد سجلو المقابلة كاملة ليدينو الأسير.(صراع في الظلام)

10- ***الاستبيان الاعتقالي***: وهو استبيان شبيه جداً بالاستبيان الاعتقالي يحتوي على مجموعة من الاسئلة التي تخص قضية الأسير والذي يهدف إلى جعل الأسير يعترف على ما فعل بطريقة توحي له ان الامر طبيعي. ولكن هناك فروق جوهرية ما بينه وبين الاستبيان الاعتقالي، حيث الاستبيان الاعتقالي عام جداً وأسئلة عامة ولا يطلب منك الحديث عن اي شيء تخفيه على المخابرات على عكس الموجود بغرف العملاء وتسعى لاستدراج معلومات واسرار. "اعطوني ورقة عليها اسئلة زي التقرير الاعتقالي الي بطلبوه أول ما تدخل السجن، هلأ انا كنت سامع عنه برا بس إلي كان مختلف فيه هاد انو في اسئلة زي هل معك عضوية؟ ما هي نشاطاتك الكفاحية في الخارج؟ وهاد خلاني اشك بالتقرير وما اجاوب.."[88]

11- ***عزل الأسير ووضعه في دائرة الشك:*** وهو أن يقوم العملاء بعزل الأسير ومقاطعته داخل الغرفة لأنه لا يتجاوب معهم، تحت حجج أنه لا يحترم التقاليد النضالية ولم يتعاط مع القوانين العامة وقد يصار إلى ايقاف الجلسات تحت حجج أن الوضع الأمني مريب. وقد يصدرون بياناً تشهيرياً بالمناضل حتى يضعوه في زاوية الاتهام وبالتالي تبرئة نفسه والحديث عن ما فعل أو أنهم يبدأون بالحديث بصوت عالٍ ومسموع للأسير أنهم يشكون فيه وأنهم يريدون التحقيق معه لأنه لا يتجاوب

---

[88] مقابلة مع أسير

معهم.

أو قد يأخذون عدة إجراءات مثل منعه من النزول عن البرش وجعله يأكل وحيدا وأحياناً إغلاق برشه ببطانية حتى يعزلوه عن الغرفة.كل هذه الأساليب تجعل الأسير المناضل يتشتت ويضعف في حال عدم ادراكه أنه احد أساليبأساليب العملاء فيفقد القدرة على التركيز ويبدأ بالدفاع عن نفسه واثبات انه وطني وأنه مناضل في الحديث عن ما فعل في الخارج. وقد يرهبونه بالضرب أو الضرب البسيط أو أنهم سيشفرونه بالشفرات من أجل إخافته دون أن يحصل طبعاً، وقد يصفعونه بضع صفعات لكن لا يتعدى ذلك إلى الضرب المبرح."بس دخلت عليهم شكيت فيهم وما تعاملت معاهم، فحسسوني إني عميل وصاروا يتعاملوا معي على هاد الأساس، فأنا بصراحة كنت مقرر بديش احكي فصاروا يهددوا في ينزلوني زاوية هلأ انا مدرب كراتيه فوقفت بنص الغرفة وهددتهم إني أنا بدي اشفرهم واكسرهم اذا حدا بقرب واحكتلهم كلكم عصافير، بعد نص ساعة طلعوني من الغرفة ورجعوني تحقيق"[89]

12- ***حلقات الدردشة العامة:*** وهي عبارة عن حلقات نقاش عادية بين المناضل وبين العملاء دون سؤاله عن أي من مواضيع القضية. ففي البداية يأخذون ثقة المناضل وإقناعه بأنه بين رفاق النضال ومن ثم جره لحوارات بالعادة تكون تكميلية أو أولية أو عامة، وهنا يأخذ العملاء معلومات وتقييمات حول المناضل أيضاً أفكاره معلوماته ومواقفه السياسية ومدى تطرفه أو اعتداله بالنسبة لهم ومدى اتساع ثقافته بمختلف المجالات. "اجا من أول يوم وانا عند قسم العصافير واحد وكان يهتم في وما كان يسألني عن أي شي صار معي، وصرنا نقعد بالساحة ندردش دردشات عادية وصار شوي شوي يحكلي عن ناس بعرفهم وقصص عنهم وانا فكرته عنجد بعرفهم وبلشت احكي وجرنا الحديث فلقيت حالي بحكي معاه كل اشي بدون احس..وبعدين بس اجاني نقل ونقلوني على التحقيق فهمت اني كنت عند عصافير."[90]

13- ***استخدام الاعلام من أجل انتزاع الاعترافات:*** حيث تعمْد أجهزة المخابرات أحياناً إلى تحويل المناضل إلى اقسام العملاء ولكن العملاء لا يتحدثون معه حول القضية، وبعد عدة أيام يجد المناضل خبراً على التلفاز يقول أنه تم إمساك أفراد قاموا بعملية مثلاً أو أن شخص ما استشهد وهو على علاقة مع المناضل الموجود أو يجد خبر ما يتحدث عن قضية المناضل على جريدة يفيد ببعض التفاصيل مما يجعل الأسير يتفاجأ أو يقول ما يعرف عن هذا الأمر وهنا سنفرد بعض الأمثلة. " قعدوا فترة طويلة يحققوا معاي على قصة اطلاق نار وانا بنكر، بعد فترة حولوني على اقسام

---

[89] مقابلة مع أسير
[90] مقابلة مع أسير

العصافير على اساس اني رايح على سجن، وهناك ولا حدا اوحالي اني عند عصافير كانوا يعني ولا غلطة، وفجأة لقيت على التلفزيون خبر عن انو في شخص هو شريكي بالقضية استشهد واغتالوه الاسرائيلين، هلأ انا طبعاً ضليت اعيط، وراحوا عملوا بيت عزا يومين، وبعدها اجاني الموجه الامني وبلش يحكيلي عن انو في خرق امني ولازم نعرفه ونعرف كيف وصلوا للشهيد، وانا طبعاً بلشت احكي واقول وين كان يروح الشهيد ووين كان يتخبى على اساس اني بدي اكشف الخرق وين... بعدها رجعوني على التحقيق وفهمت انهم ضحكوا علي ومسكوا الشب صاحبي وجابوه على التحقيق من هبلي"[91]وفي قصة أخرى وجد أحد الأسرى خبر هدم بيته ووفاة والده بعد هدم البيت على إحدى الصحف التي أدخلت إلى قسم العملاء فانهار الأسير نفسياً وبعدها أعيد إلى التحقيق وهناك تحت التشتت والانهيار اعترف بما فعل[92] ومن هنا ندرك أن المخابرات أحياناً تقوم ببعض الحيل التي قد لا تخطر على بال المناضلين من أجل إيقاعهم في شراكهم وانتزاع الاعترافات.

14- ***أوهام إنهاء التحقيق:*** يقع العديد من الأسرى ضحية شغفهم بانتهاء التحقيق، حيث يعمل الأسير على إقناع نفسه أنه في سجن أسرى أمنيين ومناضلين شرفاء وليس عند عملاء.

"انا اجت براسي ممكن يكونوا عصافير بس صرت احكي لحالي لا يا زلمة هدول مناضلين"[93] "بتصير تحاول تقنع حالك وتبرر لحالك انك مش عند عصافير"[94] قد يكون هذا الامر نابع من عدة أمور، الأولى أن الأسير يفتقر للثقافة الأمنية في معرفة العملاء وهو بذلك يقع ضحية نواياه الطيبة، الأمر الثاني يحاول بعض الاسرى إقناع أنفسهم في أنهم عند مناضلين شرفاء حتى يقولوا ما في جعبتهم من معلومات وبالتالي يرتاحون من الضغط الواقع عليهم من قبل المخابرات ويقولون لقد تم التغرير بنا. وهذا يجعلهم يزعمون انهم كانوا صامدين ولولا العملاء لما اعترفوا.

الإرهاب والإرهاق

تعتمد هذه الأساليب بشكل أساسي على إخضاع المناضل بالقوة النفسية أو المادية، من خلال بث الرعب فيه، وإرهاق جسده وحواسه العصبية، بالتالي يصبح المناضل تحت تهديد نفسي وجسدي في آن يهدف إلى انتزاع المعلومات وكسر المناضل ومن أهم هذه الأساليب.

[91] مقابلة مع أسير
[92] مقابلة مع أسير
[93] مقابلة مع أسير
[94] مقابلة مع أسير

طريقة الاعتقال

تعمل المخابرات الصهيونية على استغلال كل لحظة من لحظات الاعتقال لتدعيم أوراق القوة لديها كأنها مبارزة ومن يسجل نقاط أكثر يكسب المعركة في نهاية الأمر، ومن هنا تعمل المخابرات على البدء بمعركة التحقيق من لحظة الاعتقال من البيت أو الشارع أو المقهى أو...الخ، حيث يسعون أحياناً إلى إرهاب الأسير ومفاجأته في طريقة الاعتقال من أجل كسر معنوياته وترهيبه وجعله يتراجع أمام تقدمهم (البرغوثي، عيس، ابو غلمة، 2010).

ومن أكثر الأساليب شيوعاً هو التنكيل بالأسير لحظة الاعتقال وهذا يعطيهم أفضلية في عملية التحقيق " كنا نايمين اجوا على الدار خلعوا الباب ونتشوني عن التخت وبلشو ضرب ويسألو شو اسمك وبضربوا ويسألو اسئلة عامة ويضربو استمر هالحكي ربع ساعة "[95]... "دخلو على البيت واعتقلوني وطلعو كل العيلة برا وجابو مهدات ودخلو وبلشوا يهدو بالبيت على اساس انهم فعلاً بهدوه.. هلأ هم فعلياً كسروا كل جبصين غرفة النوم، بس انا طول التحقيق كنت افكر انهم هدوا جزء من البيت"[96]

فالمخابرات هنا هي صاحبة المبادرة وليس الأسير، وهذا يجعل الأسير طوال فترة التحقيق في موقف دفاعي وبردات فعل دون التركيز جدياً على التحقيق بشكل ندي، فهو حتى الآن لم يستوعب الصدمة التي وجهت له.

بعض الأسرى يتعاملون مع هذه الصدمة بطريقة مختلفة فيمتصون الصدمة "بس بلشو يضربوا ويفتشوا ويهينوا في وفي اهل البيت بتحس انو فش اشي الواحد يخاف عليه فبتصير فعلياً اذا كان فيك خوف من شغله فهو راح مع الخوفة الاولى الي هم نفسهم كسروها"[97] وبالتالي تعتمد طريقة التعاطي مع الصدمة أو المفاجأة الاولى على وعي المناضل وطبيعة إدراكه لهذه اللحظة في تحويلها من لحظة تهدف إلى إرهابه إلى لحظة ترفع من استعداديته وهي أن أقصى ما يمكن أن يقوموا به هو الضرب وها هم يضربون إذن كسرت كل الحواجز، وهذا يحيلنا إلى فكرة أن هناك أساليب يكمن بداخلها بذور فشلها كون الأسرى شخصيات مختلفة وردود فعلها مختلفة للمواجهة، فهذا الأسلوب الذي يردع البعض قد يكون عاملا معاكساً للبعض الآخر.

---

[95] مقابلة مع أسير
[96] مقابلة مع أسير
[97] مقابلة مع أسير

كرسي الشبح (أسلوب نفسي وجسدي في آن)

وهو الكرسي الذي يجلس عليه الأسرى أمام المحقق، وهو كرسي بلاستيكي مثبت بالأرض ويقيد أقدام وأيدي الأسير على الكرسي، حجمه مماثل للكرسي العادي، ولكنه مصمم يؤلم فثمة نتوءات غير ملحوظة تهدف إلى إيلام الأسير، ظهر الكرسي مائل للأمام مما يجعل الأسير لا يرتاح بالإتكاء عليه في ظهره.(مثلث الصمت)

"بكون الكرسي بلاستيك والقعدة عليه بتوجع هو ببين انو مستوي بس تقعد عليه بتحس في اشياء طالعه منه ومع طول القعدة بصير الوجع يضرب ضرب فيك"[98]

يعمل هنا المحققون على استنزاف الأسير جسدياً في الجلوس على الكرسي لساعات طويلة من أجل إيصاله لحالة من التعب المتناهي الأمر الذي يفقد الأسير السيطرة على جسده وهنا تبدأ الآلام بالظهور ويتحول الضغط الجسدي إلى ضغط نفسي مع قلة النوم والضغط المتواصل.

بالعادة يواجه الأسرى الجلوس على الكرسي بطلب الذهاب إلى الحمام، أو بتحريك الجسم وتحريك الأرجل، ووضع اليدين إلى أسفل المؤخرة.

قد يعمل ضباط المخابرات على إشعال المكيف على درجة حرارة متدنية لتزيد من شعور الأسير بالضعف بسبب برودة الجسم وهي جزء من آليات ضغط نفس-جسدية، لعدة أيام مع السهر المتواصل بما يفضي إلى إرهاق الأسير لدرجة قصوى وهنا كثيراً ما تصبح زلات اللسان مقدمة لاعترافات. أي يحاول ضابط المخابرات العمل على نظرية، إرهاق – تطويع- تعاون.

التطويع

وهي عبارة عن أساليب هدفها الأساسي كسر أي دافع داخلي لدى المعتقل لرفض التعامل مع المحققين والامتثال لأوامرهم، من خلال ترهيب المعتقل ببعض التفاصيل الجسدية والمعنوية، فمثلاً يحددون للمعتقل كيفية جلوسه على الكرسي فممنوع وضع القدم فوق الآخرى، أو يقترب المحقق بشكل كبير من وجه المعتقل، أويضع المحقق قدمي المعتقل بين قدميه، أويقترب كثيراً من المعتقل بحيث يجلس بين قدمي المعتقل مباعداً بين فخديه، والصراخ أوالبصاق بوجه المعتقل، أوالطلب بإنزال اليدين عن الكرسي وضم القدمين، أوالصراخ بوجه المعتقل وطلب ترديد بعض العبارات خلفه.[99]

"مرة كنت حاطط رجل على رجل دخل باليوم الثاني بالتحقيق دخل المحقق فجأة على الغرفة وصار يصرخ فيّ انو كيف حاطط رجل على رجل، وصيح عشان انزل رجلي فأنا نزلت رجلي ورديت عليه، وبعدين حكالي

---

[98] مقابلة مع أسير

[99] مثلث الصمت المقدس

شيل اديك عن الكرسي فنزلتهم، فرد حكالي سكر اجريك...انا هون شعرت انو فعلاً صار بدو يسيطر علي، فقلتله بديش ..قلي بدك تسكرهم، قلتله مش مسكرهم، فصار يصيح وسأل ليش فأنا فهمت انو بدو يسيطر علي وبلش يفقد القدرة على السيطرة بعد ما رديت عليه مرتين والثالثة وقفت..فقلتله بيضاتي كبار بسكرش رجلي وانا بقعد هيك بالبيت وبالجامعة وبالقهوة وبكل مكان حتى هون...."[100]

هنا يقف المعتقل امام أولى المواجهات فإما أن يطوعه المحقق وإما أن يتمرد على المحقق، بينما يأخذ البعض خيار أكثر حياداً في أن يجلس جلسة لا تلزم المحقق أن يذهب لمثل هذه الأمور، لكن سرعان ما يلقى طريقة للتطويع مهما كانت طريقة جلوسه "كنت بحاول أقعد عادي عشان ما اضطر ادخل في مواجهة..بس كان بالاخر يصير يصيح، فاصير مضطر أرد"[101]

بالعادة يستخدم المحققون هذا الأسلوب في بداية التحقيق بشكل مكثف رغم أنهم يواصلون أستخدامه ولكن ليس بذات الدرجة كما البداية، ويزيد استعماله عند الأسرى الذين يشعرون أنهم يتفاعلون إيجاباً معهم بعد هذا التمهيد، خاصة الأسرى الذين يخوضون التحقيق للمرة الأولى، فهم لا يدركون بعد كل هذه الأساليب.

من جانب آخر في بداية التحقيق تقوم إدارة السجون (الشاباص) بالتفتيش العاري للأسير، بحيث يخلع كل ملابسه ويفتشونه وهو عارٍ تماماً، وذلك بهدف الشعور بالدونية وأنهم يسيطرون عليه كأن يرجو أن المناضل قد اعترف أو يجعلون اسيراً آخر يراه وهو يتحدث وكأنه يعترف أو يزورون إفادة وتقديمها لأصدقائه أو بطاقة عميل مكتوب عليها اسمه، أعتمادً على فكرة أن الجسد عار في الثقافة العربية، وبالتالي اكتسبوا نقطة سبق على الأسير الفلسطيني في عملية التحقيق وتندرج هذه تحت بند التطويع.

الصديق الطيب والوحش الإرهابي

أسلوب يقوم على أن يؤدي المحققون أدواراً مختلفة مع الأسير، فالمحقق الأول يلعب دور الوحش أو المتسلط الذي يبدأ بالصراخ والشتم والسباب والتهديد والوعيد، وأنه لا مجال له لإنهاء التحقيق دون الاعتراف وقد يمارس بعض الإيذاء الجسدي المترافق بالهزّ والطرق على الرأس لكن بشكل محسوب، وبينما يستغرق في هذا الدور يدخل المحقق الآخر الغرفة ويدّعي الطيبة والإنسانية والرقة ومن ثم يبدأ بالحديث مع المحقق العنيف أن يخرج إلى الخارج وأنه غير إنساني ولا يفهم نفسية الأسير، ومن ثم يبدأ بالتودد إلى الأسير ومخاطبته بطريقة لطيفة.

---

[100] أحدى المقابلات
[101] أحدى المقابلات

"كان يدخل واحد ويبلش يسب علي ويهدد ويخوف في، فجأة بعد شوي بدخل واحد تاني وبتلاقي هادي وبصير يطاوش معاه عشان ما يسب وانو ال هاي مش اخلاق محقق..وبس يطلع بصير يدردش معي عمصلحتي عشان اطلع من التحقيق وانو هو بدو يحميني وبدو مصلحتي"[102]

تعتمد هذه الطريقة بشكل اساسي على حصر الأسير في زاوية من الضغط الشديد ومن ثم فتح كوة صغيرة له من خلال محقق يدعي الإنسانية والذي قد يجعل من الأسير غير المدرك لهذا الأسلوب أنه الملجأ الذي يبحث عنه بعد تعنيفه نفسيا ولربما جسدياً من قبل الوحش، وهنا يحاول المحقق فتح احاديث اجتماعية وصولاً إلى الأحاديث التي تتعلق بقضية الأسير ولكنها في الحقيقة مجرد مد جسور تطويعية للاعتراف.

وهذا الأسلوب حالما يكتشفه الأسير يتحول المحقق الطيب إلى دوره الطبيعي كوحش من وحوش التحقيق، أنه تبادل أدوار وحسب.

الإهمال مقابل التحقيق المتواصل

التحقيق المتواصل، والذي يعني شبح متواصل على كرسي التحقيق لأيام متعددة دون راحة أو نوم وإبقاء الأسير على كرسي التحقيق دون نوم، بينما يقوم الإهمال أما على ترك الأسير في الزنزانة وحده دون استجوابه أو تركه في غرفة التحقيق دون أية أسئلة أو احتكاك معه.

في بداية التحقيق يكون هناك محاولة من المحققين قراءة شخصية الأسير وفهم طباعه الشخصية ولبلوغ ذلك هناك أسلوبان:

الأول، وهو أسلوب الاهمال وهو أن يترك الأسير في الزنزانة أياماً متواصلة دون تحقيق أو تجعله المخابرات يجلس على كرسي الشبح "التحقيق" ساعات وساعات دون إعارة انتباه والإيحاء للأسير أن قضيته غير مهمة وأن هناك قضايا آخرى مشغول بها على جهاز الحاسوب، "ان اردت ان تتكلم لك ذلك وأن لم تريد ايضاً لك ذلك لكن هذا غير مهم فقضيتك مكتملة"[103] أو "ستبقى هكذا إلى أن تتكلم نحن لسنا بعجلة من أمرنا"[104] وهنا يدخل الأسير في حالة من الضجر والملل. وقد يبدأ بالتفكير فعلاً أنه غير مهم وأن قضيته ليست مهمة، أو العكس تماماً يبدأ بالتفكير أن عدم التسرع عليه معناه أنه سيبقى وقت طويل في التحقيق وهنا قد تبدأ حسابات الربح والخسارة.

---

[102] مقابلة مع أسير

[103] في محاولة احد الأسرى تحليل الموقف

[104] نفس المصدر

في العديد من المقابلات قال الأسرى أن أسلوب الإهمال سيء للغاية وأنه كان يشعرنا أن طريقنا طويلة في التحقيق وهذا يجعلنا نفكر كيف من الممكن أن نحرك الملف حتى يبدأ بالتحقيق معنا.

الثاني: وهو أسلوب السهر والحرمان من النوم والتحقيق المتواصل ويطلق عليه الأسرى مصطلح "ليل، نهار" وذلك لأنه تحقيق لا يعرف النهار من الليل، وقد يصل إلى 22 ساعة في اليوم الواحد مقابل ساعتين راحة أو دون راحة على الإطلاق وقد تمتد هذه الحالة لمدة 10-12 يوم وهي حالة من أشد أنواع التحقيق ولسان حال المخابرات له "انك لن ترتاح حتى تعترف" [105]وهذه بالعادة تستعمل مع القضايا الأكثر سخونة، ويحاول المحققون هنا إيصال الأسير لدرجة اللا-احتمال من كثرة الشبح على كرسي التحقيق، وهنا أيضاً رسالة مفادها أن قضيتك خطيرة ومن المستحيل أن نتركك دون أن تعترف.

يشير أحد الأسرى أن السهر وعدم النوم شكل له إشكالية كبرى وكان سبباً له في الاعتراف ولم يتحمل مشاق التحقيق.[106] بينما قال آخر أن "الموضوع فعلاً متعب لكن لا خيار امامنا سوى الصمود فهذا قرار حزبي"[107]

ما يزيد الأمر صعوبة في عملية الشبح على الكرسي هو طبيعة الكرسي المليء بالنتوءات والمائل فيحاول الأسرى تخطي الألم من خلال تحريك القدمين أو الطلب بالذهاب إلى الحمام وذلك من أجل أن يغير الجلسة التي كان يجلس عليها الأسير في التحقيق.[108]

تعدد المحققين

يمارس ما بين 3 وأكثر التحقيق مع الأسير بصورة متزامنة ويتم توجيه العديد من الأسئلة إليه والضغط عليه نفسياً وجسدياً في سبيل تشتيت أفكاره. بالعادة لا يستخدم هذا الأسلوب في بدايات التحقيق ، فهو يحدث في مرحلة حاسمة عندما يرى طاقم التحقيق الحاجة لتقييم أسير كونه صامد أو معترف وأنه أنهى كل ما لديه أو أنه لا يريد قول أي شيء، فتكون هذه المرحلة بمثابة مرحلة التقييم، والتي فعلياً ستفيد الأسير كما ستفيد المحقق، فالأسير الصامد ستكون هذه فرصة مناسبة له لمواصلة صموده وإقناع طاقم التحقيق ككل أنه يرفض الكلام والانصياع لأوامر المحققين، بينما من جهة آخرى يكون هذا مبرراً للمحقق مسؤول ملف التحقيق ليقول لزملائه أنه لا يريد الكلام وبالتالي المسألة ليست بطريقة عمله (فلسفة المواجهة).

"في اليوم ال 14 دخل علي 7 محققين وكل واحد بسأل بجهة، وكل واحد بحكي بموضوع وانا التخمت..اشي بهدد واشي بنصح واشي بتهبل...طبعاً انا فهمت انو هاي مراحل نهائية بما انهم دخلوا مجموعة علي..فضليت

---

[105]تعليق احد الاسرى على فهم هذا الأسلوب

[106]أسير كان إلى جانب الباحث في التحقيق، علماً ان الباحث كان بذات الفترة معه في التحقيق 12 آخرين

[107] مقابلة مع أسير

[108] خبرة الباحث

متيس اكتر واكتر عشان انقلهم قناعة انو انا بحكيش"[109]..."المشكلة بهاد الموضوع انهم بشتتوك بتبطل عارف وين ترد وعمين وبتبطل تلحق تفكر..بفتح براسك الف موضوع فجأة"[110]

بعدها يصل المحققون لقناعة أن هذا الأسير لن يتكلم، أو أنه قال كل ما لديه، من جهة أخرى قد يتم استخدام هذا الأسلوب من أجل تبيان منطقة الضعف لدى الأسير الذي قد يخشى هذا الهجوم الجماعي عليه ويتهاوى تحت الضغط، لكن في الحقيقة أن الوصول إلى هذه المرحلة في التحقيق تعني أن التحقيق قارب على الانتهاء، وأن الأسير إما انتصر في جولاته الأهم أو انكسر.

" في هديك اللحظة حطوني قدام مجموعة ضباط كبار، وانا تعبان كثير وماكل خرى من كثر التحقيق، فبس قاموا عن عيوني النظارات وشفتهم للحظة خفت بس حاولت اضيع خوفي اني اطلع فيهم واحد واحد وبس خلصتهم كنت رفعت معنوياتي شوي ورفعتلهم البعوص وقلتلهم هاد احشو ... بعد كل هالتحقيق..."[111]

وهنا انتقل المناضل من الخوف إلى التحدي.

تشتيت الأفكار

أسلوب يعتمد على طرح قضايا عديدة تتعلق بالأسير والأصدقاء والعائلة ويلحقه بسؤال وراء آخر يجعل من الأسير يلاحق هذه الاسئلة بتصوراته الخاصة، فيأخذ منحى ميكانيكي في الاستجابة لها ويفكر بشكل سريع دون تفكير معمق.

"للحظة بطلت الحق أفكر الا بشو بحكيلي.. صرت اصدقه والحق كلامه مع اني اعمل حالي مش سامع بس لخمني، فتح اكثر من موضوع وكل موضوع بجهة وانا زي الي بركض ورا كل موضوع.. واصير اقول شو بعرف عن هاد الموضوع كمان، يروح يفتح كمان موضوع وارد اقول طيب وهاد شو بيعرف عنو! ونزلني على الزنزانة بعدها..كانت اسوأ ليلة بالتحقيق.."[112]

تعتمد المخابرات هنا على جعل الأسير مشتت الأفكار غير قادر على التركيز وبالتالي قد ينجر وراء بعض الأسئلة ويفقد تركيزه مما يساعد المحقق على كسب المبادرة وتسجيل نقطة في التحقيق للضغط على الأسير

---

[109] مقابلة مع اسير
[110] مقابلة مع أسير
[111] مقابلة مع أسير
[112] مقابلة مع أسير

"انا بس شفته هيك وشفت حالي بطلت اركز شعرت انو بلش يلعب فيّ..وقفت حكي معاه أواجابة وقلتله هيك بحكيش...حاول بعدها كمن مرة يعمل زي ما عمل بس خلص صرت افهمه انو بحكيش بهاد الأسلوب وهيك بطل يرجع يستعمله"[113]

وهنا يتبين لنا أن مقاطعة المحقق في حالة استخدام هذا الأسلوب تكون ناجعة في التعامل مع المحققين، بحيث توفر الحماية للأسير.

الصدمة بالمفاجئات

وهي مفاجأة الأسير بمسألة لم يكن يتوقعها أو يعتقد أنها خارج حسابات ضباط المخابرات، مثل اعتقال أفراد مجموعته، أو اعتراف افراد مجموعته، أو اعتراف مسؤوله الذي كان يحرضه على الصمود، أو يواجه الأسير بأصدقائه المعترفين، وغيرها من الأمور التي تجعل من الأسير يقف بذهول وصدمة لما يحمله ضابط المخابرات، وهنا تكون الصدمات إما سياسية أو عاطفية أو معلومات هامة، أو افراد يعملون مع المحققين من أجل الخروج من التحقيق.

" كان صارلي 24 يوم مش حاكي ولا حرف على اليوم الاخير اجاني ولاد قضيتي والتنين معترفين وصاروا يترجوا في اعترف عشان يطلعوا هم من المسكوبية.. انا بصراحة وقتها انصدمت وقلت للمحقق إذا احكيت بطلعهم؟ قلي اه..قلتله طيب بدي احكي"[114] ... وفي مثال آخر مختلف يقول أسير"دخلني على غرفة تحقيق.. لقيت صور وافادات كثيرة كانوا كثار 13 صورة وافادة وكلهم معترفين.. انا صفنت وشعرت بهزة صغيرة جواي.. المحقق بلش يضحك قلي كل هدول معترفين وخلصوا تحقيق وانت ضايل على الطريق..... انا وقتها شديت على حالي وعرفت اذا ما رديت عليه بقوة راح انهار .. وقلتله ما الي خص بشو بحكو انا الي بحالي وضليت شادد هيك"[115]... بينما في حدث آخر يقول أحد الأسرى" جابلي واحد من ولاد مجموعتي وكان معترف وحطه قدامي وبلش يحكي علي..رحت انا ما خليته يكمل وقلتله انت واحد مدسوس بتشتغل معاهم بدك تورطني وكل كلامك كذب..فراحوا سحبوه وما رجعوه"[116]

نلاحظ اختلاف ردود فعل الأسرى في الأمثلة السابقة، وهنا ندخل في تحليل من نوع مختلف وهو أن هناك مفاجأة تؤدي للضعف بينما النوع الآخر يؤدي إلى القوة وهذا مرتبط أكثر بالعملية التراكمية في التحقيق، فالذي

---

[113] مقابلة مع أسير
[114] مقابلة مع اسير
[115] مقابلة مع أسير
[116] مقابلة مع أسير

صمد مدة طويلة ويدرك أنه يحقق إنجازاً خلف انجاز لن يرضى أن يعترف، وقد يكون السبب الثاني وجود دافع أيدولوجي لو بسيط للصمود، بينما هناك أناس ينكسر الدافع للصمود مع اعتراف أصدقائهم.

من جانب آخر نلاحظ ان المفاجآت لا تقدم اعتباطاً فهي بالعادة تأتي بعد تمهيد وتشكيك يمارسه المحقق مع الأسير تجاه زملائه أو تجاه بعض القضايا فهو يحاول إضعافه قدر الإمكان قبل أن يعطيه الضربة القاضية لينصدم بالمفاجآة.

في ذات الأسلوب تعمل المخابرات على جعل الأسير المعترف يعمل على إقناع رفيق دربه غير المعترف ان يعترف، وهنا يكون الضغط مضاعفاً نفسياً على الأسير الصامد حين يشعر نفسه وحيداً حتى أمام زميله الذي بات يؤدي دور المخابرات!

أساليب متفرقة

تعمل المخابرات على أساليب آخرى ولكن هي أساليب جزئية، بما يجعل الأسير يندم على وجوده في التحقيق، ويندم على فعله الوطني، ويحاولون قدر الإمكان ألا يخرج أي أسير إلا واعترف بما وجه اليه من تهم، ليس فقط من أجل المعلومات، بل ايضاً من أجل تحييد المناضل عن النضال.

"الي بيجي يزورنا مرة بيضل يزورنا كثير...انا مش راح ارجع ازوركم،..شو بضمنا احنا شاعرين انك راح تزورنا واضل بهالبهدلة."[117]

حيث يركز المحققون في العديد من الأحاديث على ضمانة عدم عودة الأسير إلى النضال مرة آخرى، خاصة عند المعترفين الذين بعد ان يعترفوا تماماً تكون الحوارات معهم بهذا الجانب "...قول شو بدك تعمل بس تطلع؟ بتفكر ترجع مرة تانية على التحقيق؟ لوينتا بدك اضل حامل القدس على ضهرك؟"[118]

هذا يعني أن التحقيق هي محاولة إعادة صناعة الفلسطيني من جديد، فلسطيني يقوم على الإذعان للذل والأهانة دون تمرد، فلسطيني لا يفكر في مقاومة عدو شعبه.

قد يعود أحياناً بعض الاسرى المعترفين فتعمل المخابرات مرة أخرى على كسره ومن أحدى الوسائل للكسر هي جلب المحقق القديم الذي اعترف عنده الأسير في المرة الأولى "شو اسمعت انك مش حاكي فأجيت اشوفك بما انو النا تجربة مشتركة قبل" 119 هنا تحاول المخابرات ربط الشعور لدى الأسير بشعور المعترف الذي كان قد وقع فيه وكأن المشكلة شخصية وليست مسألة سياسية عقائدية.

---

[117] مقابلة مع أسير

[118] مقابلة مع أسير

[119] مقابلة مع أسير

أساليب الإرهاق والإرهاب الجسدية

وهي الأساليب التي تركز على التعذيب الجسدي والعصبي من أجل الوصول للاعتراف، ففي الأساليب النفسية التركيز يكون على الضغط النفسي، بينما في الأساليب العصبية الجسدية يكون التركيز على أعصاب وجسد المناضل من أجل إيلامه وإلحاق الأذى به وكسر صموده.

تعتمد الأساليب الجسدية بشكل أساسي على إنهاك الاعصاب والجسد، فإرهاق الأعصاب بمنع النوم والضرب والإضاءة والمؤثرات الخارجية القوية والتي تركز على الإعصاب كالسمع والبصر والإحساس تهدف إلى إنهاك الدماغ وإيذاء الجسد وبالتالي إنهاك قدرته على الصمود. وهذا يعني فرض معادلات جديدة تفقد الجهاز العصبي والدماغ بشكل خاص قدراً كافياً من الحيوية وبالتالي إنهاك وضرب مقاومة الأعصاب وصولاً لاستدخال الهزيمة والاعتراف إلى عقل المناضل لجره للاعتراف.

تقوم الأساليب العصبية على العديد من المؤثرات منها، الضرب الشديد والتركيز على أطراف الأصابع والقدم واليد والأذن والعيون والشفاه والاعضاء التناسلية، إضاءة قوية مسلطة على العيون لتهييج الأعصاب البصرية، وصوت عالٍ ومزعج للأذن أو اصوات رتيبة ومتتالية ومتكررة تبقي الدماغ في حالة إثارة وتهيج دائم مما يؤدي لتعبه، تجويع الأسير، حرمانه من الحمام، شبحه ساعات طويلة على الكرسي قد تصل إلى أسبوع. بما يتوالد عن ذلك من الام في الجذع والكتفيين والتهاب في الردفين هذه وسواها تهدف إلى إرهاق الدماغ وإعادة هندسته، بالطبع الأساليب الجسدية هذه لا توصل الدماغ إلى حالة القابلية للاعتراف هكذا دفعة واحدة، بل هي أساليب تراكمية تدفع الدماغ تدريجياً إلى هذه الحالة وفقاً لخطط رجال المخابرات ففي اللحظة التي يصل الدماغ والأسير لدرجة الحاجة الملحة للنوم يبدأ الابتزاز وإثارة الجهاز العصبي من جديد كي يقدم المعلومات التي يريدها جهاز المخابرات، فتصبح المعادلة النوم مقابل إفشاء الأسرار. أو وقف التنكيل وصنوف البطش مقابل الخضوع والانصياع.

"بعد 5 ايام تحقيق ليل نهار صار يساوموني النوم مقابل انك تحكي ويحكولي اي معلومة بعطيك ساعة نوم مقابلها"[120]

في هذه اللحظات يكون المناضل على مفترق طرق إما أن يصرّ على موقفه الرافض للاعتراف أوالإنحدار والتحول لمطية ضباط المخابرات، ففي حالة إصراره على الصمود يواصل المحقق ممارسة أساليبه إلى أن يصل الجهاز العصبي إلى حالة من التعب تجعل الجسم يغمى عليه رغم أنف المحقق والمناضل ذاته وبالتالي يتوقف التحقيق حتى يصحو المناضل من إغماءته. والإغماء جزء من دفاع الجسم عن ذاته ولا ينتظر قراراً

[120] مقابلة مع أسير

من الأسير وهو شيء مفاجئ. اما الطريق الثاني وهو أن يضعف المناضل ويقدم اعتراف للمحقق وهنا يكون المحقق وصل إلى ما يريد،أو الطريق الثالث وهي قريبة جداً للطريق الثاني أن يطلب الأسير الراحة فيقبل المحقق مقابل أن يعده بالاعتراف أو يكتب وعداً بأنه سوف يعترف، وفعلاً يرسل هنا المحقق الأسير إلى الزنزانة لكي يرتاح ولكن لا يدرك الأسير هنا أن مجرد إعطاء الوعد بالاعتراف للمحقق يعني نجاح أسلوب التعذيب ، وهذا يعني أن المحقق سيعود لممارسة نفس التعذيب ولربما بوتيرة أعلى لدفع المناضل للاعتراف.

ومن هذه الأساليب:

الصفع والبصاق والضرب

فبعد تقييد المناضل من يديه وقدميه يبدأ المحققون بصفع الأسير على وجهه والبصاق عليه وشتمه لإدراكهم أن الصفع على الوجه أو الجبين يشعر الإنسان بالدونية والإهانة وهنا يتزاوج العامل الجسدي مع العامل النفسي.

هنا يجد المناضل نفسه أمام خيارين الأول اللامبالاة بما يقومون به فهو يعرف جيداً عندما أختار طريق النضال أنه من الطبيعي أن يمر بهذه الظروف وان عزّة نفسه لا تهان نتيجة الصفع على الوجه بل نتيجة الاعتراف وتقديم المعلومات للعدو، أو القيام بتوجيه شتائم والبصاق على ضباط المخابرات (مثلث الصمت).

القنبزة (القرفصة)

وهو أن يتم تقييد الأسير من يديه وقدميه ويجلس وضعية "قنبزة" على رأس أصابعه لفترات مع الصفع والبصاق على وجهه، ويمكن للأسير هنا عدم القبول بالجلوس وعدم الإمتثال لأوامرهم فهذا الأسلوب يحتاج لقبول ضمني من قبل الأسير وفي حالة رفضه لن يستطيع ضباط المخابرات إرغام الأسير على الجلوس في هذه الوضعية ولذلك يفشل الأسلوب وينهال عليه المحققون بالضرب (مثلث الصمت).

الهبوط والصعود"سكوات"

يطلب المخابرات من الأسير بعد تقييده أن يصعد ويهبط على طريقة "السكوات" في وضعية مستقيمة حتى تصل قدماه إلى مرحلة التعب والعجز، فيطلب من المحققين الراحة وهذا تقدم من وجهة نظرهم.

يكفي أن يرفض المناضل الصعود والهبوط حتى يفشل هذا الأسلوب (مثلث الصمت).

الموزة

وهو إجلاس الأسير على شكل موزة بحيث يتم وضع الأسير على كرسي دون ظهر ويتم تقييد القدمين واليديين، ثم إجبار الأسير بالرجوع للخلف بظهره إلى أن يصل إلى زاوية منفرجة 180 درجة، وهنا يبدأ جسم المناضل في الارتجاج والشعور بالتعب والإرهاق.

إن التعامل مع هذه الوضعية يكون برفض جلوسها ورفض حني الظهر للخلف، فالانحناء هذا يحتاج لتعاون المناضل مع المحققين حتى يتحقق ورفض التعاون يعني إفشاله (مثلث الصمت).

قيود الأعصاب وشد الكلبشات

وهي وضع قيود إضافية على الرسغيين والقدميين والضغط عليها من أجل عدم وصول الدم إلى أطراف الأيدي والأرجل ومن ثم ضرب الأطرف ضرباً شديداً بقصد مضاعفة الألم.

"حطوا كلبشة على ايدي وقلي بس تبطل قادر تتحمل ارفع ايدك، وبلش يشد على ايدي وشعرت وقتها عضلة ايدي بدها تتفجر"[121]

إن التعامل مع هذا الأسلوب هو المصابره على الألم والتصميم على عدم التراجع ولو قيد أنملة والمحققون يدركون جيداً أن الأسلوب الذي لا يجدي لا داعي للاستمرارية فيه (مثلث الصمت).

التجويع والتعطيش

وهو أسلوب لا يستمر سوى بضعة أيام وهو حرمان الأسير من الطعام والشراب، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الأسلوب أمام صبر المناضل، والمجتمع الفلسطيني يعرف إضرابات ماراثونية عن الطعام امتد أحدها لأكثر من 90 يوم، وبالتالي فكرة الخوف من التجويع أصبحت فكرة عادية مع الحالة النضالية الجديدة (صراع في الظلام).

تنقيط الماء على الرأس

وهو وضع المناضل في غرفة أو شبحه على كرسي أو وقوفاً وتنقيط ماء على رأسه من السقف بشكل منتظم مما يؤدي إلى ارهاق عضلاته بسبب سقوطها المنتظم والذي يشعره لاحقاً أن هناك جبل يسقط على رأسه، مما يولد إرهاق وانقباض وإعياء في جهازه العصبي.

قد يتمكن الأسير من توزيع المياه على جسده ما أمكن من خلال تحريكه ما أمكن. (صراع في الظلام).

استغلال الجروح والأمراض

يستغل جهاز المخابرات أي شيء من الممكن الاستفادة منه في التحقيق وكثيراً ما يسعى إلى استغلال أي جرح مصاب به الأسير أو مرض من أجل الضغط عليه من خلاله. وهنا ليس أمام الأسير سوى الصمت والصمود (صراع في الظلام).

خلع الاكتاف

ويتم هذا الأسلوب من خلال تقييد اليدين وإجلاس الأسير على كرسي وظهر الكرسي هناك طاولة، ويقوم أحد المحققين برفع أيدي الأسير على الطاولة ووضع القدم على ظهر الأسير فينحني للأمام، ثم يضع المحقق الآخر

---

[121] مقابلة مع اسير

قدمه على كتف المناضل ويبدا برفعهما لمستوى غير مسبوق بالنسبة للأسير، فتبدأ عظام الكتف بالفرقعة كأنها كسرت ولكنها ليست كذلك بل هو صوت دوران الأذرع إلى مسافة لم تعتدها والشعور بأن العظام قد تفتت.
وأيضاً هناك طريقة آخرى وهي تقييد الأيدي بسلاسل مشبوكة ببكرة في الحائط على جسر حديدي، يتم شد البكرة إلى الأمام أو الخلف ببطئ أو بسرعة مما يسبب آلآلآم شديدة للمناضل.[122]
الصبر على الوجع وأستنهاض الأرادة وتحدي الجلادين وعدم مكافأتهم هو الرد.

كشافات إضاءة

وهو أن يجلب المحققون كشافات إنارة قوية ويضع المحققون عيون الأسرى بداخلهم من أجل إضعاف العصب البصري وإنهاكه وإجباره على الاعتراف. " مسكوني فتحو طبون سيارة شغلو الاضاءة وحطو راسي قدام الضو، شعرت الضو بدو يطلع من عيوني، صارو بدهم يفقعوا"[123]
الهدف من هذا الأمر هو إنهاك أعصاب المناضل البصرية والتي ستسبب آلماً كبيرة ووجع رأس شديد سيكون سبباً في إرهاق المناضل.

الضرب الجسدي العشوائي

الضرب بالعصي على الكفين والذراعين والظهر والساقين كما اللكمات على أنحاء الجسم وهذه وسواها جربتّ في كثير من الأحيان وأخفقت في كثير من الحالات (محاميد،2011).
يذكر الباحث، أنه اثناء التحقيق معه كان هناك معتقلين آخرين يحقق معهم على قضايا عسكرية، فما كان من المخابرات من أجل إجبارهم على الاعتراف سوى تحويلهم لتحقيق عسكري، تم استعمال هذا الأسلوب معهم فيه.

الهز الخفيف أو"الرجرجة"

ويستخدم بطريقتين، الأولى يمسك المحقق كتفي الأسير ويبدأ بالهزهزة، أو يضع جهاز يحدث رجة بسيطة تحت الرأس يؤدي إلى رجرجة الرأس.
هذا الأسلوب يقوم بتشويش الساعة البيولوجية للمعتقل مما يؤثر على قوته الإدراكية ويصيبها بالتشوش أو العطل (محاميد، 2011).

---

[122] مقابلة مع اسرى
[123] مقابلة مع اسير

الفصل الثالث

الأبعاد الاجتماعية والنفسية في المواجهة

يتضح من نتائج المقابلات أن هناك العديد من العوامل التي تدعم قدرة الأسير الفلسطيني على المواجهة داخل زنازين الاستعمار الصهيوني، أو تضعف من قدرته على الصمود. ومنها القناعات الفكرية\النظرية، والعلاقات الرفاقية والأخوة في النضال، وعلاقات اجتماعية مع محيطه الاجتماعي، وطبائع شخصية الأسير، وموقفه الأخلاقي وتسامي استشعاره لكرامته بما يفوق الجسد والآلام، وخبرته، أو كل هذه العوامل مجتمعة. وسير عملية التحقيق كثيراً ما تتحدد بناء على هذه المؤثرات والقناعات، والتي تقرر سير المعركة. هذه المؤثرات تتشكل وتتبلور على مدار عشرات السنين التي يعيشها الأسير في كنف بيئته الاجتماعية والنضالية والتي تصقل شخصيته بناء على هذه المفاهيم والتي قد يكون نشوءها اجتماعياً أو نضالياً، لكن سرعان ما تتداخل العوامل فتصبح بعض القناعات النضالية عامل مقرر وحاسم في المواجهة من خلال استدخالها من قبل المناضل.

وبالتالي عندما نعرج على موضوع التحقيق وكيفية المواجهة فنحن لا نرى الأسير كلحظة منعزلة عن سياقه التاريخي الشخصي وطور تكونه ونموه، بل نرى أن تلك اللحظة وكيفية إدراكها وردود الفعل عليها هي نتاج هذا السياق الطويل والمتشعب. لذا تصبح عملية الصمود أو الانكسار ليست منفصلة، بل هي امتداد لسياق تاريخي شخصي واجتماعي ونضالي في آن.

يشكل المشروع النضالي للتنظيم وتركيزه على أهمية الصمود في التحقيق دوراً مهماً في صمود الأسير بالتحقيق، كما ويشكل الدور الذي يلعبه الفرد ومكانته في المشروع النضالي وتماهيه فيه عاملا مهما في جعل الأسير يصمد أو يعترف. إضافة لوجود رمزية معينة للمناضل في تنظيمه تلعب دوراً مهماً في القرار الذي يتخذه في زنازين التحقيق، فعندما يشكل مناضل ما رمزية معينة في تنظيمه تلعب هذه الرمزية دافعاً مهماً لجعله يتحمل صنوف العذاب أكثر، كونه يرى ذاته بعيون الآخرين. فرفاقه يتوقعون منه الصمود، وكذا عائلته وأحبائه وهذا جزء غالٍ لا يفرط فيه، وبالتالي تتهدد المكانة النضالية له من ناحية والتي تشكل جزءاً من الثقة الممنوحة له والتي يعامل على أساسها. وتهدد نظرته لذاته من ناحية آخرى، فعندما ينظر الأخرون إلى شخص بعين الثقة، يسعى هذا الشخص جاهداً للحفاظ على الثقة الممنوحة له من قبل التنظيم أو المجتمع، فالصمود والثقة عاملان مهمان في العمل الثوري يحرص على حمايتهما.

وهناك بُعد رفاقي وأحيانا أبوي يشد من عزيمة المعتقل وهو الحفاظ على الرفقاء وحمايتهم كرفقاء أي بشر، ومن هذا البعد يتولد أو يرتبط به الحفاظ على أسرار التنظيم وأرتباط هذا بحماية الوطن، هذا إضافة إلى الحوار

الذاتي للمعتقل بمعنى أنه ذهب للنضال الوطني أو الطبقي طوعا، وبالتالي هو المسؤول أو الأمين على المشروع الذي ناضل واعتقل من أجله، وإن كان غير حريص عليه ما كان له لينتظم.

وعامل آخر يمنح الأسير تفوق على العدو، أن السر التنظيمي والوطني لديه بينما العدو هو الذي يبحث عن ذلك السر، وهذا مصدر قوة بيده، وعليه يدور الصراع أساسا.

في سياق آخر تلعب الثقافة المجتمعية دور مهم في صقل أفكار ومعتقدات وسلوك المناضل وتحديد موقفه اتجاه التحقيق، حيث من الدارج أن الذين لا يعترفون في التحقيق هم من يؤمنون من منطلق أيديولوجي أو تنظيمي أبعاد وأهمية هذا الصمود ومعناه، لكن بالحقيقة ومن خلال ما تبين مع الباحث أثناء إجراء المقابلات وجد أن العوامل الاجتماعية للصمود كان لها ثقل في التحفيز على الصمود، يليها العامل الأيديولوجي، ومن ثم المزايا الشخصية كالثقة والإرادة والتصميم والثبات بما يعزز العامل الأيديولوجي. أما غالبية المبحوثين فقد طغى عليهم في المقام الأول العامل الاجتماعي-النفسي.

هذا يعني أن الأسير الفلسطيني الذي لا يعترف داخل التحقيق إنما هو نما وتطور في سياق واجه فيه تحديات مختلفة على المستوى الشخصي، وبذات الوقت الذي زرع فيه المحيط البيئي والنضالي معتقدات وأفكار ومفاهيم رفعت من درجة تحمله ومن استعداديته وقابليته للمواجهة في التحقيق قبل دخوله التحقيق، مما جعل عملية المواجهة لديه أنجح من آخر نما وتطور في بيئة أسرية وأجتماعية لم تنمِ فيه السمات والمزايا الضرورية للصمود في التحقيق.

وإنطلاقاً من هنا نستطيع أن نضيء أكثر على فهم جديد لأبعاد المواجهة والصراع في زنازين العدو بإعطاء مساحة أكبر للأبعاد الاجتماعية والنفسية للصمود أو الاعتراف، فالأيدولوجيا والممارسة الثورية إنما تسعى لإعادة تنظيم الحياة الاجتماعية وأولوياتها وفق أسس جديدة تتوافق مع أهدافها، وهنا تكمن أهمية هذه الممارسة الثورية في أنها جعلت الناس تتبناها في حياتها الاجتماعية.

في هذا الفصل سيتم التطرق للأبعاد النفسية والاجتماعية في التحقيق، بتناولها من زوايا مختلفة ففي الباب الأول، سنعرج على المؤثرات الاجتماعية والتي تلعب دوراً في التحقيق من العائلة إلى الأصدقاء إلى المجتمع، بينما ننتقل في الباب الثاني لدراسة الفرد وكيف ينظر إلى نفسه وأرتباط هذه المسألة بموقف التحقيق، وأيضاً سنتناول في الباب الثالث كيف ترتبط مصالح الأسير بعيدة المدى بموقفه في التحقيق وكيف تكون عاملاً مهماً وفاعلاً في تحديد نتيجة التجربة، بينما في الباب الرابع نرصد بعض التأثيرات للقيم الذكورية داخل المجتمع على موقف الأسير من التحقيق أو بعده، فيما بالباب الخامس نتناول علاقة الصمود بالإيمان الأيديولوجي.

ارتكزت نتائج هذا الفصل بشكل اساسي على المعلومات التي جمعت من المقابلات المعمقة مع أسرى محررين، اضافة إلى بعض الكتابات حول السجن، وأيضاً جزء منها ارتكزت على تجربة الباحث في التحقيق والأسر، ثم أعيد تصنيفها وتحليلها.

التنظيم وإعادة تنظيم المجتمع والتأثيرات الاجتماعية المصاحبة له

"تصبح النظرية قوة مادية حالما تستحوذ على الجماهير" (ستالين، 1938). هذا ما قاله ماركس بخصوص تبني الجماهير نظرية ثورية كالماركسية مثلاً، فهي تنتقل من إطار التنظير المجرد إلى قوة اجتماعية منظمة لها وزنها وفعلها وقدرتها التغييرية التي تنعكس في سلوك الناس، وتصبح قوة مادية على الأرض من خلال تحولها كقوة صراعية ضد الإستلابات كافة.

إن القوة الحقيقية لفكرة الصمود في التحقيق في وجه مخابرات الاستعمار الصهيوني هي تحول فكرة الصمود ببعدها الأيديولوجي المرتبط بعملية بناء التنظيم أو الحزب إلى قناعات اجتماعية يحملها المجتمع، أي أن تصبح فاعلة في قيم المجتمع ونظرته الأخلاقية تجاه المسألة برمتها، وهذا من الأمور الهامة التي استطاعت الأحزاب الفلسطينية غرسه في المجتمع مع سنوات النضال، وهو إعادة بناء علاقات المجتمع بناء على ضرورة الصمود. فالصمود في التحقيق بالأساس فكرة تبلورت مع تطورالعمل المقاوم وبدء تشكيل أجسام تنظيمية في الأرض المحتلة. فكان هناك ضرورة وحاجة للصمود لحماية وصون دور هذه الأجسام. بالتأكيد احتاجت هذه الفكرة إلى سنوات لتتبلور بشكلها الحالي، حيث صدر لأول مرة عام 1978 بيان بهذا الاتجاه ومن ثم تحول لتعبئة داخلية ومنه إلى وعي مجتمعي يحرض على الصمود الجذري ويرفض الاعتراف .[124]

الصمود في التحقيق كان ركن أساسياً من ثقافة المقاومة الفلسطينية وأرتبط بهيمنة هذه الثقافة في مراحل النضال ما قبل أوسلو، ثم تحول إلى ثقافة فرعية في مرحلة ما بعد أوسلو نظراً للتراجع الذي حصل على ثقافة المقاومة ككل. أي أن التنظيم السياسي الفلسطيني قام بشكل من أشكال الهيمنة بمفهوم المفكر الإيطالي غرامشي في فرض نمط معين من الثقافة داخل المجتمع وجعلها الثقافة السائدة بدلاً من ثقافة الاعتراف التي كانت قائمة قبل ذلك (جرامشي، 1994).

هذا يعني أن المجتمع أصبح ينظر إلى مسألة التحقيق بنفس طريقة نظر التنظيمات الفلسطينية، أي يحتضن ويرفع من قيمة الصمود والصامدين وينظر بشكل سلبي وينتقد من يعترف، هذا التحول على صعيد التفكير المجتمعي والتأثير بهذه القضية نجد انعكاساته في نظرة الأسرى إلى أنفسهم وإلى مجتمعهم. فالتحول القيمي داخل المجتمع على هذه المسألة ينعكس على ذهنية الأفراد في النظر إلى أنفسهم بناء على نتائج التحقيق.

---

[124] مقابلة مع أسير

فالأسير الذي يخوض تجربة التحقيق يدرك جيداً عواقب ونتائج إنكساره ليس على صعيد رفاقه في النضال أو على الحزب الذي ينتمي له، بل نظرة المجتمع له في حالة الصمود أو في حالة الاعتراف، ويدرك القيمة الإيجابية الكامنة التي تتغلغل في وعي المجتمع تجاهه بحالة الصمود والقيمة السلبية بحالة الاعتراف، هذا الحكم والذي أصبح بعداد حكم أخلاقي يلعب دوراً مهماً في المواجهة في التحقيق.

فأثناء التحقيق يدور مونولوج تتصارع فيه أفكار في رأس المناضل حول تعامل أهل قريته أو الحي الذي يقطن فيه أو المخيم اوعلى نطاق أوسع، وكيف ستكون نظرتهم له في حالة صموده. وهذا يضعه نفسياً امام خيارين إما الانكسار وتحمل العار الاجتماعي والنظر له بأنه إنسان ضعيف وتافه، أو القدرة على المواجهة والتحدي لأنه إنسان بطل يواجه المخابرات ويكسر جبروتهم بصموده.

هذه النظرة إلى الذات لم تكن كذلك لولا تبني المجتمع نفسه لهذه المسألة وإعادة بلورة العلاقات الاجتماعية على هذا الأساس. وما كان لهذا التغيير أن يحصل على صعيد المجتمع لولا التأثير المنظم والكبير الذي فعلته التنظيمات داخل المجتمع بهذا الخصوص على مدار أعوام طوال.

وهنا حسبنا التنويه إلى مفاخرة الأمهات والعوائل بأبنائهم الصامدين، إلى درجة أن يكون السؤال الأول في زيارة ذوي الأسير لإبنهم في سجون الاحتلال (هل صمدت) وكان يتبع ذلك أن أهالي الذين انكسروا باتوا يجلبون لهم عار الانكسار ويتعرضون لبعض الحصار والعزلة الاجتماعية.[125]

وغير مرة لاذت أم بالصمت ونكست نظراتها وبعضهن أطلقن عبارات من نوع (خسارة انه رضع من ثديي) (لقد اتانا بالعار) دون اي تبريرأو اجتراح اعذار الامر الذي كان له أثر تعبوي صمودي على الأجيال اللاحقة التي انخرطت في النضال، والجميع يردد (لن يخجل مني الحزب ولن تخجل مني عائلتي وكانت تلهج الالسنة كيف سأنظر في عيني امرأة تحبني إن لم أهبط من الزنازين مرفوع الرأس والجبين).

لكن السؤال كيف تؤثر هذه العوامل في دواخل المناضل وكيف تتكون وتتبلور؟ كيف تجعله يدرك الحدث بناء على هذه القيم النضالية والاجتماعية؟

---

[125] أثناء مكوثي في المعتقل، كثيرا ما يعود الاسرى بعد الزيارة الأولى لعائلاتهم يتناقلون كيف تتفاعل الامهات مع مسألة الصمود، خاصة اذا كان هناك عدد كبيير من المعتقلين في نفس الفترة ومن نفس البلدة، حتى أنه في احد المرات كان هناك نبذ اجتماعي لاحد المعترفين على ابناء قريته القريبة من رام الله فتدخل الاسرى من السجن مع اهاليهم للتوضيح لهم حول قدرة المعترف على استعادة نفسه من جديد داخل السجن في هذه القصة تحديداً كان الأهل أشد تصلباً بموقف الصمود من ابنائهم، رغم ان عدد من ابنائهم سطر مآثرة صمودية في التحقيق

الباب الأول: المؤثرات الاجتماعية

أولاً: العائلة

تعد العائلة في الإطار المجتمعي العام النواة التربوية الأولى لدى الإنسان فهي المكان الذي يتربى فيه الفرد سنيْ حياته الأولى بما تتركه هذه السنوات من بصمات كما يؤكد علم النفس، وهي المكان الذي يصنع شخصية الفرد ويصقلها وفق مفاهيم وقيم نفسية واجتماعية معينة (ولي، محمد، 2004)، وهي في تكوينها للفرد إنما تقوم منذ صغره بدورٍ مهمٍ في تعزيز محركات وعوامل الصمود والاعتراف في شخصية الفرد، فالعائلة التي تعطي الثقة لابنائها إنما تقوم بالحقيقة بتعزيز ثقتهم وقدراتهم على خوض الصعاب مستقبلاً، بينما العائلة التي تكبت أبنائها وتقمعهم ولا تشعرهم بالقيمة والأهمية وتسخف من دورهم إنما تقتل روح التحدي وتصغر قيمتهم في نظر أنفسهم، فالفرد كائن حي ينمو رويداً رويداً ومنذ الصغر يتشرب الثقة والتحدي أو الضعف والخوف حتى ينشأ لاحقاً أنسان يدخل في لحظة المحك لحظة التحقيق (قطامش،1998)

وبالتالي محك التحقيق لا يعبر عن رد فعل الأسير في لحظة التحقيق بقدر ما يعبر عن صيرورة نشأة الفرد وتطور شخصيته عبر التربية العائلية، فأسير من عائلة تقدره وتهتم به وتوعيه وتكسبه قيم مهمة ومتماسكة لن يتشابه سلوكه مع ردة فعل أسير من عائلة مفككه ولا تعير أبنها الثقة التي يحتاجها. وأسير من عائلة تحرضه على القيم الوطنية وقيم التحدي والصمود لن يكون مثل أسير من عائلة غير مبالية أساساً بالمسألة النضالية ضد الاحتلال. ردود الفعل لدى الاثنين تختلف لأن المنشأ مختلف والمشاعر التي يتربيان عليها مختلفة والحياة التي ولدا في خضمها مختلفة وبالتالي ردود الفعل مختلفة.

ومن جانب آخر التصور أو المعنى الذي يبنيه الأسير عن عائلته أو الذي صنعه الأسير وصنعته العائلة في مخيلة الأسير عن العائلة يلعب دوراً مهماً في دفع الأسير للصمود أو الاعتراف فمخيلة الأسير هنا تعود لتاريخ العائلة وكيف كان سلوك أفراد العائلة الآخرين "هاي التربية عائلية انا يعني عمامي جميعهم انسجنوا وابوي انسجن فمرقوا في التجارب هاي وما حدا فيهم اعترف"[126]فالأسير في التحقيق يتراود إلى ذهنه كيف يقوم بتقديم اعتراف وهو جزء من عائلة نضالية لها تاريخ بالصمود "يعني مرات كثير كنت أفكر إنو كيف اعترف وبالعيلة عنا ولا واحد اعترف لا ابوي ولا اخوتي ولا عمامي! يعني كلهم صمدوا اجي انا اوطي راس العيلة"[127]ويصبح الربط بالصمود هو حماية في شق منه لشرف العائلة الوطني وإذا اعترف يجلب العار للعائلة.

وأيضاً تلعب العائلة دوراً مهماً في تعزيز ثقة الأسير بنفسه في اللحظات الأولى من الاعتقال، فكثيراً ما تمد العائلة الأسير بمواقف تلعب دوراً مهماً في عملية الصمود داخل التحقيق "انا لما طلعت من الدار اجا ابوي سلم

---

[126] مقابلة مع أسير
[127] مقابلة مع أسير

علي حكالي اسمع بتفوت زلمة وبتطلع زلمة بتضلك زلمة إذا احكيت تروحش عندي هاي الكلمات بتشحن الواحد بتوديه في السما يا بتجيبو في الأرض "[128]

فالعائلة هنا تحرض بشكل واضح باتجاه الصمود"في ايام كنت اطلع من جو التحقيق أفكر مثلا بكلمه ابوي انه اذا بتعترف مش ابني"[129]فالأب أو الام لهما دوراً مهماً في تحريض الأسير على الصمود، وتأثير الاب والأم ليس لانهم فقط أب وأم بل هما بما يمثلانه من حب وعطاء وأهتمام، وبالتالي عندما يسمع الأسير هذه الكلمات من والديه ليس مثل من يسمعها من أصدقائه، فهنا تمتزج فكرة أنهم رعاة للأسير على مدار سنوات، وكأن لسان الحال يقول نحن ربيناك طوال هذه السنين والآن في هذه المحنة جاء الوقت لتثبت لنا أن تربيتنا لم تذهب سدى.[130]

هذه اللحظات المهمة في دعم الأسير وتحريضه على الصمود يحاول ضباط التحقيق استغلالها من أجل الضغط على الأسير " ضليت اتذكر اشي وانا نازل عالدرج يوم اعتقلوني ابوي حكالي اذا بتعترف انت مش ابني وضلهم بالتحقيق يستخدموها معي انه عشان ابوك قلك، احكيلهم لا مش هيك وانا أساساً فش حد بعرف عني اشي وانا بعملش اشي وما دخلني بشو حكي ابوي"[131]فالضابط يحاول تصغير الأسير بتذكريه احياناً بكلام أبيه امام الجنود من أجل وضع الأسير بخانة أنه ما يزال يسمع من والده وأنه غير مستقل عن والده حتى الآن بهدف إشعار الأسير أنه ما يزال صغير ويحتاج لإرشاد، لكن هذا الضغط لا يثمر كثيراً خاصة بما يكنه مجتمعنا من علاقة احترام بين الابن والأب أو حتى لطبيعتها البطريركية، وهنا نلاحظ الصراع بين المحقق والأسير حول ذات القيمة وهي العائلة وكيف يتم استثمارها لدعم الصمود من قبل الأسير أو لضرب الصمود من قبل المحقق في جانب آخر نجد أن وجود مسؤولية عائلية لدى الأسير تكون أيضاً عامل دعم في تعزيز الصمود، فمثلاً نجد بعض الأسرى كونهم آباء ولديهم مسؤولية عائلية جعلهم يدركون مخاطر الاعتراف ومعاني الصمود "بس تفكر في ولادك واهلك فش غير انك تطلع منتصر عالسجان اما اداري أو مروح هاي هي اهم اشي"[132] ..."كنت أفكر كثير إنو لازم أصمد عشان أروح وادير بالي على ولادي لانو فش حدا غيري بشتغل بالبيت فإذا اعترفت راح يؤثر على وضع البيت"[133] فوجود مسؤولية عائلية على الأسير كونه المعيل للأسرة جعله يفكر مراراً

---

[128] مقابلة مع أسير

[129] مقابلة مع أسير

[130] في ستينات القرن الماضي دأبت اجهزة المخابرات العربية بملاحقة اعضاء الاحزاب الشيوعية وكات احدى الطرق لتركيع البعض ومنحه العفو عبر اعلان في الجريده مع صورة يعلن فيها المعتقل براءته من الحزب، لتشكل عار يحمله، بالمقابل صمد الكثيرين ولم يعترفوا أويتبرؤوا من انتماءاتهم االنضالية والحزبية. الابرز في هذه التجربة كانت للحزبين العراقي والاردني. وثق مظفر النواب باسلوبه المدهش صورتان لأم عراقية تطلب من ابنها الصمود لأنه الخيار الاوحد للحفاظ على الشرف والكرامة، فيما الصورة الثانية لاخت تتبرأ من اخيها الذي تبرأ من الحزب في اعلان الجريدة

[131] مقابلة مع أسير

[132] مقابلة مع أسير

[133] مقابلة مع أسير

بنتائج غيابه عن عائلته، العامل الذي يحفز الأسير على الصمود والرجوع سريعاً للعائلة فيختار الصمود حتى لا يتحمل عذاب النفس في الإبتعاد طويلاً عن عائلته دون معيل.

بينما نجد أسرى آخرين أن العائلة كانت وسيلة ضغط وإضعاف "ضل يقلي ابنك يا.. ابنك هلأ شو بعمل، ليش ضيعت أبنك في حبستك؟ مرتك شو بتعمل؟ شو راح يصير فيها وانت محبوس وهلأ مش عارف عنها شي..طبعاً هاد الكلام كان يضل يلعب براسي ..وكان سبب مهم اني اضعف واحكي"[134]وهنا نجد اختلاف ردة الفعل بين الأسرى عندما نتكلم عن العائلة ودورها في تعزيز صمود أو اعتراف الأسير ففي الفقرة السابقة كانت فكرة إعالة العائلة مهمة جداً في جعل الأسير يصمد بينما هنا لم تكن فكرة الإعالة هي التي تدور في رأس الأسير بل هنا فكرتين تم زرعهما اثناء التحقيق الأولى ابنه الحزين لفقدان والده والفكرة الثانية هي زوجته! فما قام به ضباط المخابرات تعزيز التفكير الذكوري من خلال التشكيك باخلاص زوجته له وبالتالي إضعافه أكثر وأكثر وإرغامه على الاعتراف. هذا الفهم يحيلنا إلى أهمية العائلة في دعم وتعزيز أو إضعاف الأسير في التحقيق، وكيف يتم استخدامها من طرفي الصراع.

في مثال آخر يحاول ضابط المخابرات أحياناً استغلال العامل النخبوي الطبقي للأسير وعائلته وذلك من أجل دفع المناضل للتفكير بالقيمة الطبقية والتي تفرض أحياناً بعض المصالح الخاصة عليه فمثلاً " كان الضابط الصهيوني يقول لي: انت طالب جامعة شو بدك في هالمزارعين تتنظم معهم".[135]

المسؤولية العائلية والمقدار الذي تلعبه في دفع الأسير للصمود أو الاعتراف لا تنفصل بتاتاً عن الأساس التربوي الذي تربى عليه الأسير في عائلته ومجتمعه منذ الصغر حتى يوم التحقيق، وقد يكون تحمل مسؤولية العائلة يلعب دوراً أكبر وعامل أهم لدى ابن الريف من ابن المدينة أو اللاجئ كون ابن الريف بالعادة هو من يعيل الاسرة بينما يكون دور الزوجة أقل ومرتبط اكثر بالمنزل نظراً لطبيعة المجتمع الفلسطيني، بينما نجد المديني والذي تعمل زوجته يكون الشعور بالمسؤولية تجاه المسألة المالية والإنفاق على العائلة أقل من تلك الملقاة على عاتق شاب متزوج من الريف وهو معيل الاسرة، وقد لوحظ هذا اثناء المقابلات مع الأسرى الاثنين بالأعلى حيث كانت زوجة الاول تعمل بينما الثاني ابن الريف وزوجته تعتمد على زوجها بالإنفاق وهذا عامل مهم في جعل الأسير يدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ونستطيع أيضاً النظر من زاوية مغايرة أيضاً فابن الريف يدرك أن عائلته الممتدة لن تترك زوجته وحدها بل سيتم احتضانها من قبل العائلة الأوسع وهذا قد لا نجده لدى ابن المدينة، وهذا صحيح نوعاً ما ولكن هنا نعود إلى جانب آخر في التحليل وهي طبائع أهل الريف الذين يتحملون أكثر نظراً لصعوبة حياتهم على عكس أبن

---

[134] مقابلة مع أسير

[135] مقابلة مع أسير

المدينة والذين بحكم الطبائع أصبحوا أقل خشونة وصلابة نتيجة الحياة المحيطة، هذا من جهة ومن جهة أخرى المسألة الاجتماعية هي أكثر تأثيراً في الريف منها في المدينة على شخصية الفرد فبحكم تقارب أهل الريف وقلتهم، تتداول أخبارهم بين بعضهم البعض بسهولة وتصبح مسألة السمعة الاجتماعية عامل مهم في تحفيز الأسير بينما المدينة حيث العائلة النووية أقل تكافلاً من الناحية الاجتماعية وسنوضح في القادم أكثر حول هذه النقطة.

ثانياً: الأصدقاء

تؤثر العلاقات الاجتماعية التي تحيط بالفرد في بناء شخصيته فهو يتفاعل داخل المجموعة يتعلم منها ويعلمها (ماكرنكو، 1978)، يربيها وتربيه، يؤثر فيها وتؤثر عليه، يعطيها وتعطيه، وقد يكون من أكبر المؤثرين في حياة الأفراد بعد مرحلة المراهقة هم الاصدقاء أو المحيط الاجتماعي الذي يحتك فيه الشخص خلال حياته اليومية، فهنا تبنى جزء من هوية الفرد في هذا الإطار الضيق، يصبح هناك علاقات بين الأصدقاء ولغة مشتركة بينهم.

إن تأثير هذه الدوائر على الأفراد ينعكس بالضرورة على الأسير فهو يحمل لصداقاته وأصدقائه القيم المرتبطة، فمواقفهم تجاه المسألة الوطنية ومواقفهم تجاه التحقيق وأحياناً انتمائاتهم التنظيمية تحدد من خلال الأصدقاء، خاصة مع غياب المشروع الوطني يكون لعامل الصداقة تاثير كبير بين الأسرى فالعلاقات التنظيمية تتضاءل فيما تتعزز وطأة العلاقات الاجتماعية والتي يأتي في المقدمة منها علاقة الأصدقاء ببعضهم.

لعبت هذه العلاقات دوراً مهماً في تعزيز صمود أسرى مقابل إضعاف أسرى آخرين، فقد تكون هذه العلاقات عاملاً جيداً في تعريف الأسير على طرائق التحقيق وأساليب المخابرات في انتزاع المعلومات "يعني انا أغلب الأشياء الي عرفتها من قصص الصحاب في الحارة وهون وهون، كانوا يحكوا كثير عن شو بصير معاهم وهيك"[136]هنا تلعب العلاقات دوراً إيجابياً في كونها تنقل المعارف والتجارب التي يمر بها الشخص إلى المحيط الاجتماعي المحيط به فتصبح مؤثراً من مؤثرات وعوامل تشكيل نفسية الأسير لحظة دخوله التحقيق فتكون عامل توعية للأسير وعامل تصليب "يعني احنا كنا دايماً نحكي انو مش لازم نعترف أو نحكي على بعض و أنو الي بجيب سيرة التاني بكون جبان وضعيف"[137] فكثير من الأفراد لم يتخذوا موقفاً متحدياً من التحقيق نظراً لأنهم أساساً لا ينتمون إلى تنظيمات وبالتالي تحل العلاقة الاجتماعية هنا مكان التنظيم في عملية تحديد الموقف، وبالعادة أقرب ما تكون هذه المواقف لمواقف اجتماعية تتعلق بالشهامة وحماية الاصدقاء.

[136] مقابلة مع أسير

[137] مقابلة مع أسير

وكثيراً أيضاً ما تكون العلاقات الاجتماعية قوة نموذج، فهناك العديد من الأفراد يرون في أصدقائهم الأسرى نماذجاً في الحياة، فمثلاً يعتد العديد بصديقهم الصامد ويضعونه كنموذج لما يجب أن يكون عليه الأسير في التحقيق "انا كنت دايماً اطلع على .... واشوفه نموذج الي في الصمود وكيف انو حتى الناس كلها بتحترمه لانه معروف بمواقفه الوطنية ومعروف بصلابته، وانا كنت صديقه وهاد الشي أثر علي انو انا لازم اكون زيه بالتحقيق" [138] هنا تلعب هذه النماذج الاجتماعية دوراً في تعزيز فكرة الصمود خاصة بما ينتج من صمود هؤلاء الاسرى من آثار إيجابية ونظرة احترام يكتسبونها من المجتمع نتيجة لمواقفهم المشرفة في التحقيق.

من جانب آخر نجد أن الصداقة ذاتها والعلاقة الاجتماعية تشكل دافعاً للصمود، فالبعض لا يرضى أن يعترف على أصدقائه ليس لشيء وإنما فقط لأنهم أصدقاؤه وفكرة خيانة الأصدقاء هنا ترتبط بفكرة الاعتراف "شوف انا احكيت عن كثير ناس بس .... و... ما احكيت عنهم شي.. لأني بعرف شو يعني صاحب وشو يعني سند وضهر" [139] وبالتالي الصمود هنا يرتبط أكثر في أن الأسير لا يريد أن يخسر أصدقاءه أي تلعب الصداقة الدور الأبرز في تحديد موقفه وما يعنيه ذلك من كون الأسير تحركه دوافعه الاجتماعية وليست الوطنية.

هذه الفكرة تشكل هاجساً، كيف سأواجه أصدقائي إذا اعترفت عليهم؟ كيف سأكمل حياتي بالسجن أمامهم "باستمرار كنت افكر اذا اعترفت مش راح أقدر أعيش مع نفس التنظيم الي عايش عنده صحابي..كيف راح اقدر اواجهم اصلاً" [140].... "ما كنت أقدر أتخيل كيف بدي أضل أوقف قدامهم في المحاكم وأأكد على اعترافاتي عليهم...صراحة أصعب شي بعد الاعتراف إني أضل اتخيل هاد الموقف وبعدها أني اعيشه فعلاً" [141] نلاحظ هنا مدى التفكير المستمر في مستقبل العلاقة وكيف سينعكس هذا على نظرة الأصدقاء للاسير المعترف بما يشكل عاملاً مساعداً في الصمود أو في زيادة تأنيب الضمير لدى الأسير حال اعترافه فالتفكير في مستقبل علاقة الصداقة يشكل رادعاً فترة التحقيق.

في ذات السياق نجد أن هناك أسرى دخلوا السجن قبل فترة التحقيق والتقوا بمناضلين كبار أو قادة في تنظيماتهم وشكل لهم هذا سبباً للصمود "يعني كان معي بالغرفة ... و... وهم اعطوني اهتمام خاص وكثير كنا نحكي انو اذا رجعت ودخلت تحقيق شو راح اعمل وكثير اعطوني جلسات أمنية، وهاد بالتحقيق اتذكرته، فتخيل حالي اني داخل عليهم معترف شو راح يكون موقفهم مني؟ كيف راح اقدر اواجهم" [142].....

[138] مقابلة مع أسير
[139] مقابلة مع أسير
[140] مقابلة مع أسير
[141] مقابلة مع أسير
[142] مقابلة مع أسير

وبالفعل يشكل القادة الصلاب قوة مثال، فهم من لحم ودم ولهم بصماتهم الإيجابية والتحفيزية على الآخرين ويصعب تنكيس الرؤوس أمامهم. أيضاً "وانا برا كثير رفاق وثقوا في وكانوا يتعاملوا معي بثقة ويؤمنوني فكنت دايماً أقول لازم احفظ هاي الثقة خاصة انو هدول الرفاق كانوا مسؤولين في مواقعهم"[143] .." أكثر شي خلاني أتحمل إني بتذكر صاحبي الشهيد، أنهم هدول الي قتلوه كيف بدي أحكي عندهم..كنت بتذكر دايماً أنهم هدول اعدائي"[144]

وهنا شكلت العلاقات الاجتماعية التي نمت من خلال العلاقات النضالية بعداً جديداً وسبباً آخر للصمود ودافعاً للحفاظ على الأسرار، فكيف يستطيع الأسير أن يطعن هذه العلاقات التي بنيت على مدار سنين النضال، أو كيف يقف أمام نفسه وهو يعترف أمام العدو ذاته الذي قتل أعز اصدقائه!

ثالثاً: المجتمع

للمجتمع الفلسطيني دوره في التحريض على قيم الصمود فالتحولات التي حصلت فيه على مدار أعوام من النضال والتعبئة والتحريض جعله يتخذ موقفاً تجاه الأسير الصامد أو المعترف، فلم يعد يرى مسألة الاعتراف مسألة طبيعية أو عادية بل يراها من زاوية العار والضعف والجبن بمقابل النظرة البطولية للصمود وإعلاء الشأن والقيمة للأسير الذي يصمد ويتحدى المحققين، هذه المواقف انعكست في كيفية تعامل المجتمع مع الأسرى بعد الاعتقال، وارتبطت هذه الثقافة بأماكن أكثر من غيرها بحكم الثقل السياسي للفصيل الذي يحمل هذه المواقف، فالفصيل السياسي مؤثر جداً في ثقافة المجتمع فهو استطاع أن يفرض ثقافة الصمود على المجتمع خاصة تلك المناطق التي تواجد بها بقوة أو فكما قلنا سابقاً انتقلت الأفكار الأيدولوجية من الفصيل لحالة من الهيمنة الثقافية على المجتمع، فمثلاً نجد أن عورتا ونعلين والجلزون والتي كان للجبهة الشعبية دوراً وثقلاً تاريخياً فيها احتلت مسألة الصمود أولوية اجتماعية أكثر من قرى غابت الجبهة عنها، طبعاً هنا نقول أن بداية المسألة كانت مرتبطة بالجبهة من ناحية أيدولوجية ومن ثم أصبحت ثقافة اجتماعية.

وللتوضيح، فإن الجبهة الشعبية هي أكثر التنظيمات حثّاً على الصمود وهي رفعت شعار "الاعتراف خيانة" مع اشتداد عودها التنظيمي في ثمانينيات القرن المنصرم، وكانت تعاقب أعضاءها المعترفين أشد العقوبات على اعترافاتهم.

---

[143] مقابلة مع أسير

[144] مقابلة مع أسير

لكن الأمر لم يبقَ كما كان عليه في الثمانينات، فمع دخول أوسلو وبروز ثقافة العمل العلني انعكس الأمر حتى على الشعبية في تراجع نسب الصمود في التحقيق وتراجع أيضاً الحكم القيمي على مستوى المجتمع للمعترفين.[145]

تأثير هذه الثقافة يتخذ عدة مستويات، فمنها أولاً مسألة النظرة تجاه الذات من قبل الأسير ونظرة المجتمع للأسير، ثانياً، ارتباط الصمود كثيراً بمناطق أكثر من غيرها لأسباب اجتماعية، وثالثاً، تعامل المجتمع مع الصامد والمعترف وتوفير بيئة حاضنة للصامد وغيابها لدى المعترف، جميعها عوامل لعبت دوراً مهماً في دفع عملية الصمود للأمام في زنازين التحقيق.

أولاً، استبطان القيمة الاجتماعية، " يعني أول اشي أنت اذا بدك تصمد ليش واذا بدك تنهار ليش ، لما تفكر بالانهيار بتفكر بحالك، ولما تفكر بالصمود بتفكر بكل الناس الي بتستنى فيك تصمد، وبتصير تتخيل انك لما بدك تنتقل من التحقيق منتقل ع السجن لو معترف حتى باشي بسيط أوأوفي عليك افادات أوأوبدك تروح اداري راح تلتقي بناس عظماء تخيل شو بدك تحكي قدامهم، خزيان اكيد ... لولا هذا الاشي الاجتماعي بتصمد، لو تفكر في صورتك الاجتماعية بتصمد بالحد الادنى مشانها، وانا من النوع الي بصير بضرب حلالي مالي براسي بصير افكر بالصمود، وتصير تتذكر اصلا الي قدامك وبدك تروح عندهم هذول صحابك قبل السجن ، فما بدك تروح عندهم منهار وميكل خرا ، ولسة يوم بدك تطلع عند امك واخوتك والناس الي بتحبهم فبترتح"[146]

يلعب الأثر القيمي الذي يناله الأسير الصامد دوراً مهماً في دفع الأسرى الآخرين لاحقاً لاتخاذ مواقف معينة في التحقيق، فمعرفة الأسير المسبقة بالقيمة التي ينالها الصامد والقيمة التي ينالها المعترف من ناحية اجتماعية أثراً وعاملاً مهماً في دفعه لعملية الصمود، فبمجرد التفكير بأن هناك عواقب اجتماعية تحط من قيمة الأسير الاجتماعية تدفع الأسير للصمود توجساً من نظرة الآخرين له وبالتالي تصبح الثقافة الاجتماعية دافعاً وعاملاً مهماً من عوامل الصمود "أي انت بتفكر صمدنا عشان الفهم الايدولوجي للصمود..كل الموضوع بدناش يتسبسب علينا بالبلد بعد ما شفنا شو صار مع ..... وشو عملوا فيهم بعد ما اعترفوا ...كل البلد سبت عليهم"[147]

حيث نلاحظ أن عملية المعاقبة التي قام بها المجتمع تجاه المعترفين كان لها دوراً مهماً في دفع أسرى آخرين للصمود.

في سياق آخر نستطيع القول أن رأس المال الرمزي الذي يحوز عليه الأسير يلعب دوراً أيضاً في عملية الصمود والاعتراف، فالأسير الذي يحوز على مكانة اجتماعية أرقى داخل المجتمع يفكر ملياً في مسألة الصمود " انا

---

[145] مقابلة مع أسير
[146] مقابلة مع أسير
[147] مقابلة مع أسير

ما بقدر اتخيل حالي أعترف، وين بدي اروح بوجهي من الناس..يعني الناس معطيتك ثقة وانت بتمثل شي قدامهم هلأ بغض النظر لو بتمثله فعلاً أو لا بس حطوك بمكان لازم تعبر عنه"[148] " تعرف.. انا كنت افكر اذا بعترف بجد بقدرش اضل عايش هون بالبلد، ولو ادخل على السجن بقدرش افرز عند التنظيم تبعي لاني مش راح اتخيل كيف هم كانوا يشوفوني وبعدها أكون معترف"[149]فالمكانة الاجتماعية التي يحوزها هؤلاء المناضلين جعلتهم يصطبرون على عذاب التحقيق.

وفي سياق آخر يلعب المكان الجغرافي دوراً مهماً في تربية الصمود لدى الأفراد فمثلاً هناك مناطق جغرافية اشتهرت أكثر من غيرها بالصمود منذ ما قبل الانتفاضة الاولى، وتعود شهرة هذه المواقع إلى كمية الأسرى الذين صمدوا ، فمثلاً اشتهرت نعلين بسبب استشهاد أحد أبناء القرية وهو محمد الخواجا عضو قيادة الجبهة الشعبية في الضفة، الذي سطر صمود أسطوري في التحقيق أمام وسائل التعذيب الجسدي شديدة التأثير وذلك في عام 1976، مما شكل نموذجاً يحتذى به لأهل القرية وما يزال يذكر اسمه حتى الآن بين أبناء قريته "عيب اعترف وانا ابن قرية الخواجا الي هو شكل فعلاً حالة مهمة في الصمود، يعني نموذج زي هاد بخليك تفكر كثير انو التعذيب الي عم نتعذبه مقابل تعذيبه هو الي وصل لدرجة انو ينهوا حياته"[150] وبالتالي أصبحت مسألة الصمود قيمة اجتماعية اكتسبتها القرية كونها قدمت نموذج طليعي.

وفي قرية عورتا نجد ذات الأمر التي تشتهر أيضاً في الصمود بزنازين التحقيق، حتى أنه من الحكايات التي يتناولها أهل القرية في الانتفاضة الأولى أنه بعد اعتراف أحدهم يعلنون أنه اعترف في سماعات المساجد [151] ويضيف أسير أخر "عنا عيب الواحد يعترف يعني الي بعترف بصير اسمه على كل لسان في البلد والكل بسب عليه ويقاطعه"[152] وأنسحب هذا الامر إلى مخيم الجلزون في فترة من الفترات "كان بلشت تصير ثقافة الاعتراف خيانة جوا المخيم والي بعترف الكل يقاطعه وينبذوه...بس طبعاً ما صارت بحجم عورتا ونعلين"[153] ومن هنا نلاحظ أن هناك عملية تربية متنامية حصلت من الحزب السياسي ومن ثم من المجتمع تركت بصماتها على قيم المجتمع فمن يعترف يخون اصدقاءه ورفاقه وبالتالي ينبذ اجتماعياً كعقاب معنوي عما فعله، في مقابل الإعلاء من شأن من يصمد واستقباله بحفاوة أعلى، حتى أنه في نعلين "كانت بعض العيل بترفض تزوج بنتها

---

[148] مقابلة مع أسير
[149] مقابلة مع أسير
[150] مقابلة مع أسير
[151] من الحكايات التي سمعها الباحث من أسرى قابلهم اثناء فترة اعتقاله
[152] مقابلة مع أسير
[153] مقابلة مع أسير

لواحد معترف"[154] هذا أثر بشكل عميق على القيم التي حملها أهل القرية ومناضلوها لاحقاً رغم تراجع الحزب السياسي، حيث بقيت الثقافة الاجتماعية دارجة وبقوة بحكم ترسخها في الوعي الاجتماعي.

ثمة مسألة أخرى تظهر في السلوك الاجتماعي وهي مسألة معاقبة المعترفين ونبذهم، حيث ينعزل المعترف أكثر وأكثر عن مجتمعه والعزل هنا من جهتين: الأولى من ذات الأسير الذي يعلم تمام العلم أنه سيصبح محط تساؤلات ونظرة سلبية من الآخرين وبالتالي ينأى عن الجو والمحيط الاجتماعي الخاص به قبل الاعتقال، ومن جهة أخرى يعزله المحيط عنه بعدما "خان" ثقتهم باعترافه، وهنا يمكن أن يدخل الأسير في دوامة أفكار سلبية لا تنتهي حول ذاته التي تشكك الجماعة في انتمائه لها، بما ينقله إلى حالة دفاعية فتبدأ الآليات الدفاعية في العمل بداخله وربما هنا تبدأ آلية الانعكاس التي عبر عنها فرويد عندما يبدأ بتوجيه اللوم إلى الحالة العامة السيئة وإلى الاحزاب الفلسطينية غير القادرة على تحرير فلسطين ولا تملك برامجاً، ولكن الأسير يبدأ بممارسة أساليب بشكل واعٍ أوغير واعٍ حتى يعيد الثقة لذاته تهرباً من مواجهة ذاته، بألقاء اللوم على الأحزاب، هو كدفاع عن الذات المنكسرة والتي قدمت المعلومات للعدو، ومن ذات الجهة يكون الجو الاجتماعي غير متقبل ما قام به الأسير من تقديم اعتراف وبالتالي نبذه.

يشير أحد المعترفين أن هذه المسألة حساسة بالنسبة له فيقول" موجود مشكلة حقيقية بأكتر من شي الأولى بالحزب السياسي الفلسطيني كيف انو هو مش عم بعبي الناس الي عنده وكيف هو بثقش فيهم، والمسألة الثانية انو بوفر حاضنة للصامدين مش للمعترفين مع انو الي بحاجة للحاضنة هو المعترف لانو الصامد هو القوي وهو المنتصر"[155]حيث يفتقد هذا الأسير المعترف الحاضنة التي تحاول انتشاله من تأنيب الضمير وتعيد له الثقة الاجتماعية ، بينما نجد أن هذه البيئة تدعم الصامدين برأيه سلبية والصامدين ليسوا بحاجة لهاّ!

وهنا يتسائل الباحث، ما قيمة الصمود؟ كيف يمكن جعل الصمود هي الحالة السائدة في التحقيق بين المناضلين؟ كيف يمكن تركيم العمل النضالي والحزبي دون الحفاظ على الأسرار؟ وكيف يمكن جعل هذه الثقافة السائدة دون وضع ضوابط لها؟

---

[154] مقابلة مع أسير

[155] مقابلة مع أسير

الباب الثاني: الصيرورة الفردية ونظرة الفرد لنفسه

لكل إنسان مميزات خاصة تميزه عن باقي البشر، تجعله شيئاً مختلفاً، كما لكل الناس صفات وسمات مشتركة تميزهم كونهم بشراً، وأيضا لكل مجموعة من البشر سمات يتقاطعون فيها في الصفات نظراً للظروف البيئية المتشابهة التي يعيشون فيها، فكل مجموعة من البشر لها هوية تميزها فلكل مجتمع شخصية عامة تصبغ أفراد المجتمع الخاص بها.

هذه الهوية بالضرورة تتطور على المستوى الجمعي كما تتطور على المستوى الفردي وتنتقل من حالة إلى أخرى (Tajfel, 1986)، فمثلاً تطورت هوية الفلسطينين بعد النكبة لتأخذ النكبة كحدث مهم في هويتهم الجمعية ومن ثم لاحقاً انطلاقة الثورة المعاصرة لتشكل حدث آخر مهم، أما على صعيد فردي فتتطور الهوية من مرحلة إلى أخرى الطفولة فالفتوة والمراهقة والشباب..، وتصبغ الهوية في المحطات التي يمر بها الفرد وبكيفية تعامله مع التحديات المختلفة وحل إشكالياتها وكيف ينظر إليها لاحقاً، ومن جانب آخر يتأثر الفرد كثيراً بنظرة الآخرين له وتعاملهم معه، بدءاً بالعائلة منذ نعومة أظافره وتعامل الوالدين مع الابن\ة وصولاً إلى المدرسة والمجتمع المحيط، وهذا الأمر يترك أثراً مهماً في تشكيل نظرة الفرد لنفسه.

هذا الفهم ينطلق من اعتقاد أن الإنسان عبارة عن صيرورة مستمرة تتشكل منذ الصغر وتستمر في التشكل والتغيير ارتباطاً بالتغيير الحاصل في البيئة وبردود فعل الفرد عليها ليعطي بالنهاية النمط العام لشخصيته، وبالتالي تصبح لحظة التحقيق هي لحظة في سياق زمني، قد تكون لحظة انعطافية بحياة الفرد وقد تكون استمرار لسلسلة الحلقات منذ الصغر، فالفرد الذي يرى نفسه ناجحاً ويتحدى الصعاب دوماً ينظر لنفسه بتقدير إيجابي، وهذا ينعكس عليه مستقبلاً بطريقة تعامله مع المواقف المستجدة كما قلنا تكون التحقيق لحظة انعطافية في حياته لتنقله من حالة إلى حالة جديدة مختلفة ونوعية.

"فالتحقيق محطة اختبار لقناعات المناضل"[156] ونجاحه في هذه المحطة يعني بالضرورة حصوله على ثناء ومنزلة نضالية واجتماعية تكن له الاحترام بين رفقائه، وفشله يعني أن يخسر ثقة رفقائه. "كان المسؤول يقلنا دايماً التحقيق مفصل مهم في العمل النضالي وهو المحك الحقيقي لاختبار قناعتنا وصلابتنا فهنا المناضل يجلس وحده عاري من كل أدوات القوة سوى قوة الايمان بالنصر وبمشروعه التحرري"[157]

أذكر[158] في أحدى المرات وقد كنت متوجهاً إلى مدينة رام الله كنت جالساً مع مناضل سابق اعتقل في الانتفاضة الأولى وكان يخبرني عن التحقيق وعندما مررنا بقرية بجوار رام الله ذكر أن في هذه القرية رجل اعترف

---

[156] مقابلة مع أسير
[157] مقابة مع أسير
[158] الباحث

على أبناء مجموعته وهو من ضمنهم قبل 20 عام، وبعد قليل وعند مرورنا بقرية أخرى ذكر أن في هذه القرية مناضل كان قد قدم صمود بطولي أيضاً قبل 20 عام. هنا المناضل بقي يتذكر حتى بعد انقضاء 20 عام ورغم ترك المناضلين الصامد والمعترف للعمل النضالي أن فلان صمد والآخر اعترف.

نلاحظ هنا أنه حتى بعد انقضاء 20 عام على الحادثة لا يزال يذكر الرجل موقف الأسير في التحقيق قبل 20 عام، فكيف أنه ما زال يتذكر أنه اعتقل بل والأكثر يتذكر من اعترف ومن لم يعترف، وهذا يظهر كم هو مهم الصمود بالنسبة للرجل وللثقافة المجتمعية للناس والذي لا يغيب عن ذهنهم من يصمد ومن يعترف حتى على مر السنين.

النجاح في الحياة الخاصة ينعكس في التحقيق أيضاً، فشخصية الأسير التي نشأت على أن أنجاز المهام والنجاح فيها حتى الاجتماعية منها تنعكس بالضرورة في التحقيق خاصة اذا كان الأسير يحمل موقف عدم الاعتراف ، فهو يرى في الاعتراف فشل وهو كشخص لا يقبل الفشل فيعزز الصمود ببعد خاص نشأ وتطور لديه "في يوم كنت مدايق ومش قادر اتحمل التحقيق وضغطه...حطوني بزنزانة وحسيت انو مش قادر اتحمل خلص..صرت أفكر بدي اعترف..وقتها اجت حياتي زي شريط فيديو قدامي صرت اتذكر اصغر الأمور والمحطات الصعبة الي مريت فيها من وانا صغير ليوم التحقيق وكيف اتجاوزتها كلها شعرت لحظتها انها بتقويني فصرت اتذكر هاي اللحظات المهمة، وحينها اتغيرت نفسيتي قلت الي واجه هاي الصعوبات ونجح فيها راح يواجه هاي الصعوبة وينجح فيها" [159] الأسير هنا اعتمد على سجل النجاحات الفردية الخاصة التي ترعرع عليها وشكلت لديه رصيداً كافياً من احترامه لذاته وتقديره لنفسه تجعله يواجه الصعاب ويتحداها، وبالتالي كان السياق الفردي الذي مرّ فيه الأسير طوال حياته هو سياق تراكم نجاحات دفعه للمواجهة والنجاح، بالطبع هذا أمر لا ينسحب على كل الأسرى حتى الناجحين في حياتهم الخاصة فالمسألة هنا مرتبطة بتضافر هذه العوامل الشخصية مع عوامل أخرى اجتماعية وفكرية تتشابك في لحظة مكثفة.

ومن العوامل المهمة على المستوى الشخصي أيضاً مفهوم البطولة "البطل " ومفهوم البطولة مرتبط اجتماعياً في العنفوان والصلابة وهذا له تأثير مهم في مسألة الصمود في التحقيق، فالأسير يعلم تماماً أن المجتمع الفلسطيني ينظر إلى من يصمد موقف البطولة والشجاعة ويعلي من شأنه، بينما يحط أو لا يعطي أهمية لمن يعترف، وهذا يجعل الأسير يتماهى في الصمود بما يشكل دافعاً مهماً للصمود "عنا بالحارة بشوفوا بالي بصمد بطل.. زلمة يعني هاد ....وبتعرف حارة السعدية بالقدس كثير بتحبسوا..حتى واحنا صغار بنكون نحكي هاد زلمة لانو ما احكى شي"[160] نلاحظ هنا الارتباط بين البطولة والرجولة بمسألة الصمود، وحتى في مقابلة

---

[159] مقابلة مع أسير
[160] مقابلة مع أسير

الأسير هذا كان التركيز على التذكير بقيم الشجاعة والبطولة والرجولة كجزء أساسي خلف دافع المواجهة مع المخابرات، صحيح هنا أن هناك نجاح في تحويل الصمود كقيمة مرتبطة بالبيئة الاجتماعية وبالتالي ينتقل تأثيرها على الأفراد الأمر الذي يبرز البعد الخاص.

وهذا ينعكس على إدراك التجربة لاحقاً فيقول أحد الأسرى "صرت اشعر انو بالتعامل انو في هان رجل ومن صحابي كمان نفس الشي"[161] هنا نلاحظ كيف يعبر الأسير عن المسألة الخاصة بالرجولة بمعنى الصلابة والشجاعة لا الذكورة والبطريركية.

وفي أماكن أخرى يعبر أسرى أخرين عن موقف التحدي الذي يرتبط بسمات شخصية للأسير كميله لبعض القيم الاجتماعية المرتبطة بالبطولة والتي تلعب دوراً في دفع الأسير للصمود"هيي انو كمان هادا بيأثر علي وعلى حبسي وانو كمان هي التحدي انا بحب التحدي نوعا ما فبكت انو هوي زي واقف انا وياه يا هوا بدو يقدرلي يا انا بقدرلو فهمت علي"[162] ....."واجي اوقع باخر فترة. كيف نهضت بحالك؟ صفا الموضوع تحدي بالنسبة اللي"[163]عامل التحدي هنا هو عامل نشأ وترعرع في فهم الأسير منذ نعومة أظفاره، فالإنسان الذي يواجه ويتحدى يكتسب قيمة إضافية في المجتمع، فما حال بالكم المواجهة مع العدو الصهيوني، فالنظرة هنا تتضاعف.

يقول أحد الأسرى المتقابلين "عشان ما اكذبش عليك، الموضوع صفى بس جكر، لا عدو ولا شي للحظة كانت الفكرة انا (اسم الأسير) من (بلد الأسير) بديش احكي نقطة وسطر"[164] ويقول آخر "اقلك انت بتحكي عني جبهة شعبية وقائد وهيك طيب تمام اثبت علي أوأوخد حرف من تمي تشوف..هيك صفى الموضوع جكر"[165]

في هذه اللحظات يعتمد الأسير بشكل أساسي على سمات الشخصية من تصميم وتحدي وإرادة المواجهة، وهو فعلاً أمر إيجابي ولكن هل يدوم التصميم والتحدي إلى فترة طويلة؟ أم أنه يحتاج لعوامل أخرى حتى يبقى يمده بأساسيات الصمود، يقول أحد الأسرى "بعد 30 يوم كانوا لسا بضغطوا علي، وكنت فعلاً افكر اعترف، بس ارجع افكر اقول يا زلمة صرلك 30 يوم صامد ليش بدك تعترف.. طلعت على الشجرة وهلأ بدك تنزل! والناس بتعرف انك صامد تطلع بالاخر معترف، فلا بديش اعترف..يعني احياناً بتشعر انو الموضوع صفى احراج انو انت مع المخابرات متحديهم تروح تتنازل وكان المحامي زايرني وقلتله فش اشي اروح اعترف! كيف يعني"[166] في المثال الآخير نجد أن الأسير وضع نفسه في مكان ساعده أيضاً على الصمود عندما دخل في مواجهات

---

[161] مقابلة مع اسير
[162] مقابلة مع اسير
[163] مقابلة مع اسير
[164] مقابلة مع اسير
[165] مقابلة مع اسير
[166] مقابلة مع اسير

مع المحققين وتحداهم بانتزاع اعتراف في بداية التحقيق فكانت هذه الوعودات سبباً للصمود في نهاية التحقيق رغم ضعفه في لحظات معينة، بينما كانت الصورة التي يحملها الناس عنه والتي نقلت عنه في التحقيق قبل إنهائه ضرورية للصمود لاحقاً.

وفي جانب آخر يعمل الأسير باستمرار على شحن ذاته بمعنويات الصمود والمواجهة من خلال الحديث مع ذاته وتعبئة ذاته " بتكون بضل تحكي لحالك لازم تصمد، انت لازم تصمد..فعلاً هاي الكلمات بضل تذكرك بدورك وبشو مطلوب منك"[167] وفي مثال آخر " كنت كثير مرات اذكر حالي في الناس الي صمدوا، انهم شو بفرقوا عني؟ ولا شي؟ بس هم اتحملوا وانا بقدر اتحمل" [168] ويضيف آخر " الناس بتشوفني حدا زلمة قد حاله كيف بدي اعترف" [169]نلاحظ مدى تأثير نظرة الناس هنا على الأسرى في مسألة الصمود من جهة ومن جهة مدى تأثير هذه النظرة وإنعكاسها بالذات والتي تعكس ردات فعل أرتباطاً بالفهم المنعكس من القيمة الاجتماعية لمسألة الصمود وارتباطها بالتفولذ والتحدي وإعلاء شأن قيمة الأسير ذاته.

وفي مثال آخر نجد نظرة المجتمع مسألة حساسة لاسرى قد تدفعهم للصمود " لا كنت مباشرة افكر انو انا افادتي رح تكون هيك قدام اشخاص اذا انا بعطي اي افادة رح تكون نفس ما حط قدامي رح يحطها قدام اشخاص فكان يعطيني حافز انو ما اتجاوب معاه في اشي زي هيك وكان يحاول يخليني اقراها أوأوهو يقراها في أساليب"[170] ففي هذا المثال نجد الأسير وضع نفسه مكان الأسير الآخر المعترف عليه ونظر لنفسه بنظرة كيف يرى هو الأسير الآخر أي أعطى قيمة معيارية لتصرفاته بناء على تصرفات الآخرين، وكان هذا سبب من أسباب المواجهة والصمود.

أما في مثال آخر فنظرة المجتمع للأسير لعبت دوراً مهماً في عملية الصمود ".. وصحابك شو بصيرو يحكو عنك، عيلتك واهلك، الناس اللي بتشتغل معاهم وشو نظرتهم الك. هذا البعد الشخصي، انه لازم تدير بالك على حالك، وفي ناس كتير ماخدة انه انت قدوة، ليش انت هيك بتحبطها، بكرة اذا همه دخلو التحقيق بصيرو يحكو هاي .... اعترف، وانا ... قدوتي. الاجتماعية هي برضه القدوة؟ الاجتماعية هي انه في كتير من الناس مقتنعة انه ... شب منيح، فانا بديش ولا مرة ما اكون عند حسن ظنها، انا بنظرتي الإنسان المعترف بتنظر اله نظرة غير عن الإنسان الصامد"[171] نظرة المجتمع للأسير جعلته ينظر لنفسه نظرة دفعتهم للصمود، فهو بحالة خذل المجتمع سيخذل نفسه، فهو يستمد قوته وطاقته من المجتمع وليس من قناعاته الفكرية والسياسية فقط.

---

[167] مقابلة مع اسير
[168] مقابلة مع أسير
[169] مقابلة مع أسير
[170] مقابلة مع أسير
[171] مقابلة مع الأسير

بينما نجد في أمثلة أخرى لأسرى قدموا اعتراف نظرة مختلفة للذات "...صرت اطلع ذاتي انها بدها تصليح يعني كنت اتطلع على حالي بدي تصليح كيف الماكنة الخربانة بدها افرهول"[172] أو في مثال آخر لأسير معترف " البعد الشخصي يعني مثلا انا بتذكر موقف انا رحت على المحكمة بعد ما رحت عند العصافير، كان في المحكمة اخوي وامي، فانا حكيت لاخوي اني وقعت عند العصافير ولامي برضه، ردة فعلهم اول اشي اخوي زعل وعصب استغرب مني وانه انا لازم اصمد، وامي قعدت تقولي ... دير بالك، اربط لسانك، وانا استغربت من امي وقتها انه كيف بتحكيلي هيك، طيب امي ما الها بكل هالقصص!"[173] في المثالين السابقين نجد أن نظرة تأنيب الضمير لدى الأسير تضاعفت عندما وجهت اللوم إليه أمه على الاعتراف بشكل ضمني مما انعكس على نظرته لنفسه عدا عن أخيه، بينما ينظر الأسير المعترف في المثال الاول كأنه سيارة اعطبت وانها بحاجة لتصليح كامل وليس جزئي، نعم الاعتراف يجعل الأسير ينظر إلى نفسه أنه معطوب تماماً وفاقد للصلاحية وهي نظرة اجتماعية تنعكس في الفرد.

---

[172] مقابلة مع أسير

[173] مقابلة مع اسير

الباب الثالث: الصمود ومصلحة الأسير الذاتية

تلعب فكرة المصلحة الخاصة للأسير في الصمود أيضاً دوراً مركزياً، وهي ليست فكرة منعزلة عما سبق أو ما سيأتي بل هي فكرة ترتبط تماماً بكل سياق التحقيق، وبصيرورة تطور الفرد وارتباطاته العائلية والشخصية والاجتماعية والنضالية، وإن كانت تعبر بشكل أساسي عن شخص الأسير، وهنا تتماهى المصلحة الشخصية بالمصلحة الكلية للنضال.

وتظهر هذه المصلحة بجمل تعبر عن مواقف وأفكار يقول أحد الأسرى "انت اذا اعترفت راح تقضيها رايح جاي بوسطات يعني هاي قصة البوسطات لازم ما تفصلها عن التحقيق عشان أضل حاطط انك رح تقضيها بوسطات صيف شتى وعالجهتين سيئة اذا بدك تفكر فيها اكثر ناس بيحكيلك انه اعترف عشان فكر بحاله بس لما تزرع فيه انه لما يفكر بحاله يصير يطلع عالبوسطات انه كل واحد بده يعترف عليه بده ينزل شاهد خليه يفكر بحاله"[174]هذه الكلمات التي يقولها أحد الأسرى المعترفين والذي عانى من "البوسطات" و"المحاكم" خلال فترة اعتقاله بسبب اعترافه على غيره جعلته يوجهها للآخرين حتى لا يثقلوا بصنوف العذاب اليومي الذي يتبع الاعتراف في التحقيق.

في ذات الاتجاه نجد آخرين ينطلقون من فهم متشابه تقريباً، حيث يكون أحد محركات الصمود المدة الزمنية التي يقضيها الأسير في السجن يقول أحد الأسرى في رده عن سبب صموده "اذا اعترفت بحكم 10 سنوات بس اذا صمدت بحكم 5، وانا خاطب 5 سنوات خطيبتي بتستناني اما 10 لا"[175] نلاحظ هنا مدى تداخل البعد الشخصي في مسألة الصمود لدى الأسير حيث أنه على مستوى علاقته العاطفية من مصلحته أن يبقى مدة أقل بالسجن، وهذا المثال نجده عند العديد من الأسرى الذين يجيبون عند سؤالهم عن سبب الصمود يجيبون "عذاب شهور ولا عذاب سنين"[176] هنا الدافع مصلحي أيضاً ولكن مصلحي على المدى البعيد وليس آني، لأن الاعتراف في جوهره هو الخلاص الفردي، لكن يبدو حتى الخلاص الفردي بعيد المدى يعزز الصمود في التحقيق، دون أن ننسى أن بعض الاعترافات تؤدي لأحكام بعشرات السنين أما الصمود، ففي أسوء الحالات، مجرد سنوات قليلة في الإداري.

هذا الفهم ذاته يوجه أسرى آخرين حيث مع تكرار تجارب التحقيق أصبح من المعروف بعض التفاصيل عن التحقيق، مثل أن يقوم المحقق بإيهام المناضل أنه سيبقى في التحقيق حتى يعترف، بينما يدرك بعض الأسرى أن مدة التحقيق هي مدة مؤقتة سقفها شهرين مثلاً فالأفضل أن يتحمل عذابها وإلا لبقي طوال حياته يعاني أبعاد

---

[174] مقابلة مع أسير

[175] مقابلة مع أسير

[176] مقابلة مع اسير

اعترافه على الآخرين وكلامهم " أنا كنت اقول مع حالي قاعد شهرين قاعد شهرين اعترفت أوما اعترفت فأقعد شهرين صامد ساكت بحكيش ولا اضل طول عمري بتعذب بكلام الناس"[177].

بينما نجد أسرى آخرين يدركون أن من يصمد يحكم أقل ممن يعترف "الي بعترف الحكم غالباً اعلى من الي بصمد"[178]، ووعي التحقيق وأساليبه قبل التحقيق تجعل أسرى آخرين يدركون معلومات حول سير التحقيق مثلاً "انا سمعت من كثير انو الي بصمد بصير بعد فترة الضغط اخف عليه، لانو لمونة ناشفة بتنزلش عصير فبتركوها بالزنازين بلكي صارت تنعصر وبركزوا على اللمونة الي بتنزل عصير"[179]هنا يتبين كيف أن الأسير الذي يدرك آلية التحقيق وأساليبه يساعده في لحظات معينة في اتخاذ موقف بالتحقيق بناء على هذا الفهم وإن لم يحمل موقفاً سياسياً وتنظيمياً أو فكرياً من مسألة التحقيق بشكل مبلور واضح.

في حالات أخرى تلعب العلاقات الاجتماعية الناشئة عن النضال دوراً مهماً في الصمود بالتحقيق يقول أحد الأسرى"وانا برى يعني بالخارج انفتحت علاقات الي مع ناس قيادات تاريخيين وشعرت انو هاي الناس بتثق فيّ لدرجة انها اتعاملت معي وما خافت خاصة انهم ما بتعاملوا مع اي حدا ، فكنت جوا احياناً اتسائل كيف بدي اعترف واخذل ثقة هاي الناس فيّ؟!"[180]،هذه العلاقات التي نشأت تُنشأ أيضاً لدى أسرى خاضوا اكثر من تجربة اعتقال وتعرفوا على قيادات السجون وتفاعلوا معهم في أكثر من مسألة لدرجة أصبح التفاعل يشكل سبباً للصمود " يعني أحياناً كنت افكر انو بالسجن كنت احكي انا و...و... وكانوا دايماً يحكولي راح ترجع مش ترجع معترف!..كان هاد حافز..يعني كيف اكسر ثقة هاي الناس فيّ"[181]هنا نلاحظ أن المسألة بالصمود هي صورة الأسير الشخصية الذي يحاول الحفاظ عليها أمام هؤلاء رغم طبعاً ارتباط هذه الصورة بعوامل أخرى مثل العلاقات التي نشأت في غمرة النضال، فمن الصعب حتى الفصل الدقيق بين كل هذه العوامل ولكن نستيطع لمس التمايز الحاصل بين كونها علاقات ترتبط بالمشروع وبالتالي الإيمان فيه، أو كونها علاقات يدركها الفرد كعلاقات شخصية.

لعبت العلاقات الاجتماعية التي ارتبطت بالنضال دوراً مهماً في تعزيز الصمود وفي جعل الأسير أكثر ارتباطاً في البنية الاجتماعية والنضالية التي يخوض معها النضال ضد المشروع الاستعماري، بحيث أصبح الاعتراف هو خيانة لهذه البيئة، فالخيانة تعني بدرجة أو بأخرى انقطاع هذه العلاقات التي نشأت في هذه البنى الاجتماعية والتي هي امتداد للبنى النضالية.

---

177 مقابلة مع اسير

178 مقابلة مع اسير

179 مقابلة مع اسير

180 مقابلة مع أسير

181 مقابلة مع أسير

من جهة أخرى شكلت عدم الثقة في البعض داخل هذه البنى ظهور سبب لعدم الصمود وتقديم اعتراف لدى المعترفين بغض النظر عن كونه مبرراً أو لا، يقول أحد الأسرى "انا بصراحة ما كنت اشعر انو في ثقة، يعني حتى في التحقيق بس جيت اعترف قلت اعترف شو يعني مهم اساساً بثقوش فيّ ومن اول ما بلشت كانوا يشككوا في وبقدرتي على الصمود، يعني لو اعترفت مش راح يتغير اشي"[182] كلام الأسير هنا يوضح أهمية عامل الثقة داخل هذه البنى في تحديد موقف الأسير في التحقيق أحياناً.

إن البنية النضالية والاجتماعية وامتداداتها لعبت دوراً مهماً في تقرير لحظات مهمة في التحقيق في بعض الأحيان.

الباب الرابع: جَنسَنة الصمود والاعتراف

تأخذ المواجهة في التحقيق أيضاً أبعاداً مُجَنسَنة مرتبطة بالحالة الثقافية والقيمية والاجتماعية السائدة، تنعكس هذه الأبعاد على أشكال المواجهة داخل التحقيق بما تحمله من مضامين وتؤثر على ردات فعل الأسرى قبل، أثناء، وبعد التحقيق. وبالتالي تكون إحدى ارتباطات وعوامل الصمود في التحقيق أو الاعتراف لاعبة دوراً في كل الميكنيزمات الفعالة أثناء المواجهة.

سيعرض هذا الباب نبذة مقتضبة حول الماهية المفاهيمية للرجولة وأثرها على التكوين النفسي للأسير أمام المنظومة الصهيونية الاستعمارية من جهة، ومجتمعه المستعمَر من جهة أخرى. كذلك سيتم التنقيب عن انعكاسات هذه المفاهيم في مقابلات الأسرى المبحوثين وذلك على عدة أصعدة لا يمكن لي الإسهاب والتوسع بها، وذلك لكونها موضوعاً مركزياً يتطلب بحثاً منفرداً وتأطيراً نظرياً مستقلا. في هذا الصدد سأكتفي بتقديم توطئة للرجولة الفلسطينية كبنية متشكلة اجتماعياً وسياسياً وأطيافها المنعكسة في لحظات المواجهة عند الصدام مع الرجولة الصهيونية المستعمرة خلال التحقيق.

الرجولة الفلسطينية: بنية اجتماعية سياسية

إن الرجولة الفلسطينية بممارساتها وخطابها وآليات تكريسها ما هي إلا بنية مُهَندسة ضمن نسيجها الاجتماعي وفي ظل واقعها المحكوم باستعمار استيطانيّ، وبالتالي فهي مصاغة كنتاج بنيوي قد يعيد تكريس ذاته جيلا بعد جيل ليتغلغل في نفوس وأدائيات رجال وشبان المجتمع الفلسطيني.

في كتابه عن "المجتمعات المتخيلة، يشير أندرسون أن هناك تاريخا تراكميا يبلور الهويات الوطنية الجمعية، ويكرّس نهجها عبر عجلة الممارسة وإعادة الأنتاج (Anderson, 1991). فيما بعد يؤكد جوزيف مسعد على

---

[182] مقابلة مع اسير

كون تلك الهويات الجمعية مربوطة ترابطا عضويا متزامناً مع التشكل الهوياتي الجنساني الجمعي وليس الفردي فحسب (Massad, 2006) أوكما قد تدعوه باتلر الخطاب الجنساني الأدائي (Butler,1990).
تتخذ الرجولة في المجتمع الفلسطيني موقعا مركزيا مقدسا ينجم عنه مكتسبات اجتماعية سياسية واقتصادية، لا يمكن إغفال ثقلها في الخطاب القومي الفلسطيني ودورها في تشكيل صورة المناضل المقاوم والأسير السياسي (بدارنة، 2015). وبهذا السياق، ورغم الامتيازات المنبثقة عن النوع الاجتماعي الرجولي، تقترن الرجولة الفلسطينية بآليات اضطهاد شرسة يكون ضحيتها الرجل الفلسطيني ذاته، حيث تلقي بثقلها على عاتقه وترسم له مصير بطولي حتمي، خالٍ من الصفات البشرية، مهما كان الموقف وكيفما آلت المآلات. فقد "تطمس الرجولة تَعَرُّض الأسير للاعتداءات الاستعمارية الذكورية وتقمعه معتبرة إياه خضوعاً أوضعفاً "أنثويا" يزج بالمعتدَى عليه إلى اللارجولة (بدارنة ٢٠١٥) لهذا ترتبط آليات الإرهاب والعنف الاستعماري في حالة الأسير السياسي بالمذلة والهزيمة وبمحاولات تعرية الأسير من زيّه "الرجولي القومي".

يتعين إدراك طابع الثقافة الفلسطينية الذكورية وبالتالي الارتباط بين الموقف النضالي لأي فلسطيني بموقف الرجولة والشجاعة، فالنضال والأسر بالنسبة للفلسطينيين هي حالة بطولة ورجولة، فالمجتمع يرفع من قيمة المناضل بشكل عام ويرفع أكثر وأكثر كما ذكرنا سابقاً من قيمة من يصمد في التحقيق، ورفع القيمة بالعادة يرتبط بالقيمة الذكورية "زلمة" "ذكر" "رجل" فالذي يواجه ويصمد في التحقيق هو بمكان الرجل والذي يعترف هو بمكان الرجل "المخصي" الضعيف الذي ذهبت رجولته وفحولته عند أول مواجهة "صاروا اهلي يعاملوني كزلمة[183] " فحالة الصمود في التحقيق هي عملياً استكمال للنضال ذاته.
رجولة الصمود: رجولة المواجِهة والتحدي
من ضمن تأثيرات المفهوم الذكوري للصمود أن العديد من الأسرى رفضوا الإدلاء بأية معلومات حول نساء لديهم علاقة بالنضال معهم انطلاقاً من مفهوم أن من يعترف على امرأة لا يمت للرجولة وأنه يمس "فحولته" التي قد يتم التهاون معها إن كان الاعتراف يرتبط فقط برفاق النضال الذكور، بالتأكيد الحديث هنا عن فكرة تجنب الاعتراف من قبل الذكور على نساء مناضلات تأتي من أن واجب الرجال حماية النساء وليس الإضرار بهن، هذا طبعاً رغم أن الذي يعترف هو بنظر الآخرين أيضاً يكن ضعيفاً ويفتقد لرجولته، وتظهر هذه بشكل واضح في الأحاديث عن المعترفين الذين ذكروا أسماء نساء في إفادتهم في التحقيق وكيف كانت ردة فعل أصدقائهم وبيئتهم الاجتماعية معهم.

---

[183] مقابلة مع اسير

فمثلاً عندما يأتي أسرى سابقون ويتحدثون عن المعترفين يشتمون معترف أكثر من غيره كونه "جاب سيرة بنات في التحقيق" "احكى على الرفيقات".. "اعترف على زوجته بشو ساعدته[184]" ..ويتفاخر آخرون أنهم لم يعترفوا على نساء "اتحدى واحد يجي يحكيلي اعترفت على رفيقة[185]" وهنا في الحالة السابقة تحديداً يتبين كيف تأخذ عوامل أخرى جديدة في حديث الأسير مع ذاته من خلال تبرئة المعترف لذاته بأن الاعتراف مقبول ولكن ليس على نساء، وهنا باعتقادنا آليات دفاعية يمارسها المعتقل المعترف كي يخفف عن نفسه، أي يصل لخطاب يريحه نفسياً ويشكل له مبرر لما قام به.

وفي هذا السياق نجد أن هناك أسرى يرون في التحقيق المكان الذي يثبت رجولتهم وقوتهم على المجابهة والتحدي، وبالتالي الفشل في هذه المواجهة يجعلهم يفكرون باستمرار من أجل العودة والثأر من أجل إثبات "الرجولة" مع الذات أو لاً ومع المجتمع ثانياً "بتصفي بدك ترجع عشان تثبت لنفسك انك زلمة" [186]"نظرة الناس بس تكون صامد بتختلف الك بصيروا الناس كمان يطلعوا عليك زلمة قد حالك" [187].

نلاحظ هنا كيف أن المفاهيم القيمية اختلفت وأخذت أبعاداً أيدولوجية جديدة في السياق الفلسطيني، فالأسير الذي ينكسر في التحقيق هو لا ينكسر بالمعنى الوطني والأيدولوجي والاجتماعي فقط، بل ينكسر أيضاً بالمعنى الذكوري "الرجولة" والتي تقترن بالشجاعة وهذا يعني أنه مجرد من التحدي والشجاعة والذكورة في حال الاعتراف. وبهذا السياق تتخذ الرجولة الفلسطينية دوراً وأداءً مواجِها مناوئاً للرجولة الصهيونية القامعة والتي تستهدف بآليات التحقيق المكونات الجندرية للرجولة الشرقية الفلسطينية وبلحظات الاحتدام هذه تتحول الرجولة الفلسطينية إلى أداة صمود يصون بها الأسير ذاته كجزء من جماعة،[188] بل كواجهة لها!

في سياق آخر قد يستغل العامل الجنساني كوسيلة ضغط على الأسير في التحقيق من خلال ابتزازه في مسألة "الشرف" بالمعنى الاجتماعي، فمثلاً حاول بعض المحققين إقناع أسير أن زوجته خلفه ستكون فريسة سهلة للعديد من الذكور بسبب وجوده هو بالسجن، وبالتالي طالما هو في التحقيق والسجن لن يستطيع ضبط هذا الأمر، أو يقوم ضباط المخابرات باعتقال الاخت أو الزوجة أو الام أو التهديد باعتقالهن والتلميح إلى إمكانية التحرش بهن أو اغتصابهن.

---

[184] من حوارات الباحث مع اسرى محررين خارج اطار المقابلات

[185] مقابلة مع اسير

[186] مقابلة مع اسير

[187] مقابلة مع اسير

[188] قد تتمثل في الحزب، الشعب، الفئة الدينية الخ.. وقد تكون جامعة لهذه الانتماءات جميعها.

وموقف الأسير يلعب دوراً حاسماً في تقرير هذه المسألة، فالأسير الذي لا يدرك أساليب التحقيق ينجر وراء هذا الشكل خوفاً على القيم الاجتماعية التي يعتقد انها الأهم من أجل حماية أسرته، بينما الأسير الذي يدرك أساليب التحقيق من جهة ولا يكترث لمفهوم "الشرف" يتجاوز هذا الأمر بسهولة.

في ذات السياق نجد أن المحققين يحاولون استغلال بعض القيم الدينية لدى بعض الأسرى وإرسال محققة معهم وليس محقق تحاول ابتزازهم في التقرب جسدياً منهم بشكل شديد "كانت نورا تقرب علي وتنزل عشان صدرها يبين وانا اصير استغفر بالله" [189] بالعادة يمارس هذا الأسلوب مع المتدينين بشكل رئيسي.

في هذا السياق نجد أيضاً محاولة محققين الاقتراب من الأسير بشكل شديد كمحاولة لابتزاز الأسير في جسده أو التلميح باغتصابه إن بقي مصراً على عدم الكلام، وهذه الأساليب قلما تؤثر على الأسرى، أو تأثيرها أقل من الضغط بما يتعلق "بمسألة الشرف".

السؤال الذي يظهر للباحث هنا وقد يحتاج لفصل من بحث يتعلق بهذا الموضوع لكن في بحث آخر هو كيف تختلف تصرفات رجل اعترف على نساء من رجل اعترف فقط على رجال، وكيف تنعكس هذه الآثار في علاقاته مع النساء كانت صديقة أو زوجة أو حبيبة أو بأي علاقة اجتماعية، وذلك انطلاقاً من ماهية وكيفية تصنيفه لنفسه كرجل.

---

[189] مقابلة مع اسير

الباب الخامس: الموقف الأيديولوجي والعلاقة بالمشروع النضالي

قد تكون الأيديولوجيا هي نقطة البدء، فالعلاقة في التحقيق هي أكبر تجلٍ لعلاقة المستعمِر بالمستعمَر في مواجهة بين الفرد المستعمَر وجهاز القمع الخاص بالمستعمِر، هي علاقة محو كل واحد للآخر، فالمستعمَر يسعى للتحرر من المستعمِر وإفناء وجوده، والمستعمِر يسعى للإحلال مكان المستعمَر وتثبيت كينونته (فانون، 2015) وهذا ينعكس في مواجهة التحقيق، فالانطلاق من فكرة أننا أمام عدو بالمعنى الأيدولوجي أي العداء ما بين المشروع الاشتراكي العالمي والمشروع الرأسمالي العالمي والذي يجسده في معركة التحقيق المناضل الفلسطيني حامل الفكر الاشتراكي كون الجبهة الشعبية متبنية الفكر الاشتراكي وبين العدو الصهيوني الذي يعد رأس حربة الاستعمار الامبريالي العالمي وأيضا النضال التحرري من الكولونيالية الأمر الذي يقتضي أن لا نقدم أي معلومة تتيح للمشروع النقيض أن ينقض علينا ويصفي مشروعنا، فالمشروع التحرري نحميه بالدم ونفديه بالحياة مقابل استمرار المواجهة وهذه العملية تأخذ أبعاداً عديدة يقوم بها الأسرى داخل التحقيق من أجل شحن ذاتهم وتصبيرها على المواجهة.

بالتأكيد يحاول العدو استخدام المدخل الاستشراقي وفهمه للاستشراق بمعنى أنه يعتبر مجتمعنا تقليدي بطريركي ولذا يستخدم أسلحة الشرف والأسرة والأبوة، من أجل تغييب الصراع الوجودي بين المستعمِر والمستعمَر، لكن هذا يؤثر على قطاع من المعتقلين وليس على من له ثقافة ماركسية أو تقدمية.

والصمود في التحقيق لدى المناضل العقائدي وإن بدا تجليه ومظهره الخارجي فردي، لكن هو بجوهره جماعي، فهو تعبير عن ذات المناضل داخل المشروع وليس عن فردانيته، أي هو يعكس تجلي الذات الجمعية لمشروعه النضالي بصموده كذات جزء من جماعة ومشروع أمام المحققين، والمحققون أيضاً لا يعكسون أنفسهم هنا، بقدر ما يعبرون عن ذواتهم كجزء من جهاز المخابرات التابع للمشروع الصهيوني.

يحاول المحققون أثناء التعامل مع هذا النمط من المناضلين تغييب ذات الأسير كمناضل وإظهار الصراع كصراع مع فرد، من أجل تشتيت بنية المناضل العقائدية، وجعله يخرج من ذاته الجمعية لفردانيته الشخصية.

وبالعودة لفكرة الصراع بين مشروعين هناك عوامل عديدة نلاحظها في هذا الجانب ومنها:

الإيمان بالمشروع والدور فيه

"إن مبدأً صحيحاً ينطلق من أعماق كهف أقوى من جيش كامل" خوسيه مارتي (رائد نزال، 2003).

إن أقوى القناعات التي تدفع المناضلين للصمود هي قناعاتهم في صوابية وصحة مشروعهم الثوري، فهذه القناعات تدفع الأسرى المناضلين في الذود بدمائهم حماية لمشروعهم التحرري وكلما زادت قناعاتهم بمشروعهم كان الاستعداد للتضحية أعلى من الآخرين "فما الذي يدفع أناس للتضحية بأرواحهم مثل الراعي

والخواجا والعكاوي؟..والإيمان بالمشروع وحمايته حتى بالدم"[190] فالأفكار تصبح طاقة ثورية عظيمة عندما يؤمن بها الناس، يقول أحد المناضلين في وصفه للمواجهة داخل التحقيق "الشيوعي الحقيقي لا يعترف أمام عدوه"[191] فكيف يقدم شخص على قناعة تامة واستعدادية مطلقة لحماية مشروعه معلومات للعدو! فالمناضلين عندما ينخرطون في مشروع تحرري يعلمون تماماً أن خيارات التحرر مليئة بالتضحيات الجسام والتي يكون أعلاها التضحية بالذات في سبيل الحرية والمشروع فكيف تهزها عشرات الأيام في التحقيق؟! أو على حد تعبير يوليوس فوتشيك في كتابه تحت أعواد المشنقة "ما هي هذه القناعات التي تهتز من حفنة عصي!"(فوتشيك، دون سنة نشر).هنا يدخل عنصر أو حالة الفارق بين الفرد كفرد وبين الذات كجزء من المجموع.

بالطبع الإيمان بالمشروع النضالي ومنطلقاته الفكرية أيضاً تنسحب على بعض المناضلين أصحاب الافكار الدينية والمنتمين للفصائل الدينية، وإن كان هذا الأمر بالنسبة لهذه الفصائل ليس بمستوى التشديد القائم في فصائل اليسار وخاصة الجبهة الشعبية.

وفي نفس السياق ولكن بجانب آخر يلعب دور الفرد في المشروع ومكانته التنظيمية دوراً هاماً في الصمود، فالمسؤولية الملقاة على عاتق مناضل يعمل مع عدة مناضلين تختلف عن تلك الملقاة على عاتق مناضل يعمل مع عشرات أو مئات المناضلين"وكلما زاد مكانة الشخص في المشروع كلما عزز أصراره في المواجهة والتحدي"[192] يقول أحد الكتاب حول أخيه "كان اخوي معتقل وكان التحقيق مسلخ ايامها فكان يقلي الي خلاه يصمد بالرغم من انو التحقيق كان اسوء نوع تحقيق بمر فيه بحياته انو كان برقبته كثير ناس، يعني هو كان مسؤول عدة مواقع واذا اعترف بعترف على كثير ناس يعني موقعه كان حساس وهذا خلاه يشد على حاله ويتحمل"[193] هنا تمتزج المسألة التنظيمية بشعور المسؤولية تجاه رفقائه، فالمناضل وثق به الكثيرون وكان نموذجاً لهم وهذا هيأه لقيادتهم وأن يكون في مقدمة الصفوف يضع عليه مسؤولية ليست بالهينة وتضعه دائماً في التحقيق أمام سؤال "كيف أحمي من اعمل معهم؟ كيف اخونهم وانا كنت لهم دائماً نموذجاً وكنت اعبئهم بالصمود في زنازين التحقيق"[194]

وأيضاً المشروع الأيدولوجي له مضامين مرتبطة بالصمود ففي نفس الجانب نجد أن غياب ثقة البعض بالمشروع الثوري يلعب دوراً سلبياً في التحقيق "وانا بالتحقيق صرت أفكر أنا ليش بدي اخسر اشي من جسمي أويصير معي شي عاهة دايمة؟ اساساً فش ثقة في الناس الي بشتغل معاهم يعني لو اعترفت عادي..ولو ما

---

[190] مقابلة مع أسير
[191] مقابلة مع أسير
[192] مقابلة مع اكاديمي
[193] مقابلة مع اكاديمي
[194] مقابلة مع أسير

اعترفت راح يصيروا يفكروا كيف صمد؟ مهو من برا كنا نحكي بصمدش! فبتصفي هاي التساؤلات قدامك انو ليش بدك تصمد! عشان شو بدك تصمد!"[195]هنا نلاحظ بجلاء كم لعبت الثقة التي حظي بها المناضل في تعزيز موقفه بالتحقيق، فالموقف الإيجابي من المناضل من قبل زملائه الآخرين يعزز صموده بينما لعب الموقف السلبي بعدم أهمية وجدوى صموده، حيث لن يتغير شيء على المناضل في علاقته مع باقي المناضلين هذا من جهة.

من جهة أخرى نجد أن الدور البسيط للفرد داخل مشروعه يلعب أيضاً دوراً يشعر الأسير بمسؤولية أقل حيال زملائه في النضال "بتصير تفكر انت عشان شو صامد؟ عشان 3 أو4 شو راح يصير إذا اعترفت؟ شو راح يؤثر ..ولا أشي"[196] في هذه الحالة ضآلة الدور المناط بالمناضل كان له الأثر في جعل الأسير يفكر بنتائج الاعتراف ويبدأ بدخول مقارنة بينه وبين نفسه حول الصمود، حينها لن يجد العديد من الأسباب للصمود خاصة مع الضغط الذي يتعرض له أثناء التحقيق على المستوى الجسدي والنفسي.

مع الإشارة إلى أن العديد من المناضلين كثيراً ما يسمعون لتجارب نضالية كبيرة ناضلت واعتقلت ولكنها في النهاية لم تجد اهتمام بها من قبل الآخرين "يعني عشان مين بتناضل"[197] أو"بدكش تعقل!"[198] هذه التجارب التي تولد في الحقيقة حالة سلبية عن النضال كثيراً ما قد ترافق مخيلة الأسير في التحقيق.

بالتأكيد هذا التفكير لا يأتي وحده فدائماً ما تصاحبه أفكار أخرى تمتزج لتصل بالأسير للحظة الاعتراف، فالدور المحدد في المشروع المقاوم من جهة ومقارنته مع حجم التضحية التي يقدمها الأسير لحماية هذه المعلومات إضافة إلى إشعار المخابرات الأسير بأن لديهم معلومات حول كل تحركاته وكل علاقاته ومدى قوتهم وجبروتهم بما يشعره بقوة وسيطرة وهيمنة المشروع النقيض مما يؤثر فعلاً على معنويات الأسير ويؤدي به إلى تقديم تنازلات "في لحظة كل اشي بصير يلعب دور انو يخليك تعترف..دورك الاهبل، قوتهم معلوماتهم، ورفاقك ما بثقوا اساساً فيك كلو بخيلك تروح للحظة ما تفكر كثير بنتائج اعترافك"[199]

هذا يعطينا إشارة أخرى حول مدى انسجام المناضل مع مصالحه وأفكاره. ومهمة فعلاً حالة الانسجام والاتساق والتصالح بين المناضل وأفكاره حتى تكون عاملاً دافعاً للصمود، وكم تكون عاملاً يضعف الأسير داخل التحقيق. فالمناضل الذي يحمل قناعة راسخة بحتمية انتصار مشروعه على المشروع الصهيوني أو مصداقية المشروع حتى لو كان الانتصار بعيداً يكن أكثر ثباتاً واستعداداً للصمود والمواجهة داخل زنازين التحقيق، بينما

---

[195] مقابلة مع أسير
[196] مقابلة مع اسير
[197] مقابلة مع أسير
[198] مقابلة مع أسير
[199] مقابلة مع أسير

الأسير الأقل قناعة المهتز داخلياً سرعان ما ينكشف تردده في أقبية التحقيق، ومن هنا كان شعار غيفارا إلى النصر دائماً.

الفصل الرابع

طبيعة التحقيق وسيره

للتحقيق ومساره أهمية كبيرة في نتائجه وموقف المناضل في نهاية التحقيق، فكثيراً ما يكون سير التحقيق في جهة ومن ثم ينتقل إلى جهة أخرى نتيجة تفاصيل صغيرة تؤثر في مجراه وتحدد سير جديد وانعطافة جديدة في مسار التحقيق، فكلمة قد تقال هنا أو هناك، أو سماع صوت ما أو سماع خبر معين يمكن أن يغير كل طريقة التحقيق أو ردود فعل المناضل.

"في أول كمن يوم كنت بس بدي أصبر حالي لليوم الي بعده عشان بزبطش من اول يوم اعترف، شوي شوي لقيت حالي صرت صامد أسبوع فصرت احكي الي بصمد اسبوع بصمد كل التحقيق...."[200] كثيراً ما يذكر العديد من الأسرى الذين تم مقابلتهم أنه في الكثير من الأيام كان القرار الذي يتخذونه في الصمود مرتبطاً فقط بيومها وسرعان ما تحول هذا الصمود إلى صمود دائم، "فالصمود بجر صمود"[201] فالقدرة التي يمتلكها المناضل تتراكم تباعاً مع كل يوم يمر دون الإدلاء بأي اعتراف، وسرعان ما يمتد شعور الإنجاز بصمود عدة أيام إلى شعور القدرة بالسيطرة على التحقيق مما يدفع المناضل للصمود دون أن ينبس بأية كلمة.

فالنجاح اليومي يخلق حالة تعزيز داخلية من الأسير لذاته وترفع سقف استعداديته يوماً وراء الآخر، وإنجاز يوم نجاح يساعد الأسير في إنجاز يوم آخر من النجاح "في أول التحقيق سألني كمن سؤال فأنا ما جاوبته وقلتله بعرفش، فبلش يهدد ويخوف..وأنا وقتها بجد خفت صرت احسب شو راح يسوي معاي هلكيت...بس اكتشفت بعدين انو الموضوع ارفض وهو بهدد وبخوف وبضغط وانت بس ما تحكي وكل يوم صار يجر اليوم الي بعده"[202] نلاحظ هنا أن الأسير كان يعتمد في ردة فعله القادمة على الخطوة التي سيقوم بها ضابط التحقيق ولكن سرعان ما اكتشف عجز الضابط عن القيام بأي شيء حقيقي من الذي يهدد فيه وهذا جعله يتجاوز يوم وراء آخر، وهنا المجهول بالنسبة للأسير يبدأ بالانبلاج والاكتشاف وهذا يجعله يستطيع السيطرة على مجريات التحقيق أكثر وأكثر عندما يشعر فعلاً أنه يعرف ما هي نتائج التصرفات التي يقوم بها وما هي التوقعات الممكنة من قبل ضابط المخابرات وجهاز التحقيق.

النجاحات البسيطة وتراكمها يراكم فكرة جديدة من نوع جديد، فلا تصبح الفكرة أحياناً فقط "انني راكمت نجاح خلف نجاح وفقط" بل يصبح للمسألة بُعداً كيفياً جديداً "في اليوم ال 26 كنت بفكر اعترف خلص لانو شعرت

---

[200] مقابلة مع أسير
[201] مقابلة مع اسير
[202] مقابلة مع أسير

حالي مش قادر اتحمل وانو استويت، بعدين صرت أفكر طيب مش عيب بعد كل هالايام اعترف يعني خسارة تعب الايام الي راحو!"[203] نلاحظ أن الفكرة الجديدة التي تراكمت نتيجة نجاحات متتالية هي فكرة فعلاً مركبة أكثر من أن النجاح جرّ نجاح آخر، الفكرة هنا أن تركيب النجاحات أنتج فهماً جديداً للتحقيق من قبل المناضل نفسه في أنه لا يستطيع العودة لنقطة الصفر بعدما قطع شوطاً طويلاً بالصمود فالمسألة على النفس هنا صعبة، والنفس تكون قد تكيفت مع حالة الصمود وأصبحت أكثر جلداً وصلابة مما كانت عليه مع بداية التحقيق.

فالذات تمر في هذه المراحل من التحقيق بتحولات ما بين اليوم الاول أو اللحظة الاولى واليوم الخامس أو العاشر أو العشرين، فالصمود يقوم بتعزيز عوامل داخلية ترفع من مستوى التحدي والقدرة على الاحتمال مما كانت عليه في بداية التحقيق وهذا يرتبط مع فكرة "أنني أنجزت عشرون يوم كيف اعترف الآن!".

الفكرة المركبة هنا تأخذ تحولاً جديداً في تفاعلها بين الأسير ونفسه، فالتفكير لا يعود فقط صلابة نمت في النفس فقط مع تدرج الصمود في مراحل أو كيف أخذل نفسي التي صمدت كل هذه الايام السابقة بل تتوالد فكرة جديدة وهي "الغد" أو"المستقبل" أو"ما بعد التحقيق والخروج منتصراً" هذه الفكرة تتفاعل وتصب في صالح صمود المناضل "بتصير تفكر في انو كيف بدك بكرا تحكي للناس انك صمدت، وهاي الفكرة بتصير تتفاعل بقوة براسك"[204] التفاعل الذي يحصل في عقل الأسير أثناء التحقيق يصبح مزيج مركب يضيف له المستقبل بعداً يضاعف قوة الأسير ويضاعف قدرته على المواجهة، فالتفكير في الغد والمستقبل يعني أنه يعيد إدراك المستقبل بناء على فكرة الصمود الذي ما يزال متمسكاً بها وهذا يعني أنه يضفي المعنى للمستقبل، وإضفاء المعنى أمر غير بسيط خاصة مع الذات فإضفاء المعنى يجعل النفس تعيد ترتيب نفسها بحيث تصبح هذه العذابات أو الأساليب التي مورست على الأسير هي جزء من استحقاق يدفع ثمنه ولكنه في الحقيقة يعلم مدى إنعكاسه الإيجابي عليه وبالتالي يستطيع التعايش معه وتحمله أكثر وأكثر من أي وقت مضى أمرٌ يزيد الأسير قوة وفخراً أمام نفسه وأمام كل من يعرفه، وهنا يدخل الأسير في صيرورة لن تؤدي به إلا لصمود يؤكد فيه الأسير على صلابته التي بنيت مدماكاً وراء مدماك، وحجراً حجراً في الصمود يوم وراء الآخر ومن ثم عدة أسابيع، ثم إنفتاح الآفق الجديد في تخيل المستقبل الذي يرسمه بدروب البطولة والشجاعة التي ينالها في التحقيق.

---

[203] مقابلة مع أسير

[204] مقابلة مع أسير

الصدمة

تاثير الصدمات على سير التحقيق لا يكون بالضرورة دائماً كما يريده محققو الشاباك، فكثير من الأحيان ما يأتي عكسياً على سير التحقيق، هناك العديد من الصدمات والبحث تطرق إليها في أساليب التحقيق في الفصل الأول ولكن هنا سوف يتم التطرق لتأثير الصدمة في بعض الأحيان.

في أحدى المقابلات قام الأسير بتقديم المعلومات عند أقسام العملاء رغم صموده 22 يوماً، ليتفاجأ لاحقاً انه كان يتكلم عند عملاء للمخابرات، وسرعان ما أدرك هذا الأمر بعد خروجه مباشرة من قسم العملاء "شعرت وقتها انو الدنيا هيك صارت تلف براسي"[205] كان هول الصدمة على الأسير عالية جداً خاصة أنه كان يعتقد أنه أنجز التحقيق وقد صمد صمود بطولي ليتفاجأ أنه كان مجرد ألعوبة بيد المخابرات لكن أحياناً بعض التفاصيل البسيطة تلعب دوراً مختلفاً في التحقيق "وقتها حطوني بزنزانة لتاني يوم، يمكن لو طلعوني تحقيق وقتها لاعترفت على كل اشي قد ما كنت شاعر انهم قدرولي"[206] لكن أحياناً تأتي التفاصيل لصالح الأسير ويستفيد منها "خلوني لتاني يوم، وكنت وقتها قدرت استعيد حالي، وطلعوني تحقيق والمحقق بضحك، فقلي يا ..احنا بلشنا اليوم تحقيق وهو بضحك، قلتله يعني هلأ احنا بلشنا؟ قال اه، قلتلو جيبلي ورقة الحقوق، فجابها ووقعت عليها وقلتلوا يلا اعتبر هلأ بلشنا من جديد وكل الي احكيته مش صحيح وانا ما عندي شي صفت الشغله عندي تحدي"[207] نلاحظ هنا كيف لعب تأخير التحقيق لليوم الثاني دوراً مهماً في جعل الأسير يلملم أوراقه من جديد ويستعيد قوة التحدي بعدما أخذ ليلة كاملة يفكر في مسألة المعلومات التي قدمها للعملاء في قسم العصافير، خاصة أنه أشار إلى أنه لو تم إحضاره للتحقيق مباشرة لواصل انحداره.

في حالة أخرى يقول أحد المبحوثين المعترفين في اللحظة التي خرج منها من التحقيق لم يعد يفكر سوى بماذا فعل وبدأ طوال الليل يفكر كيف قدم هذه المعلومات بسهولة وسرعان ما بدأ بالتصالح مع تنازلاته.

قد يكون الفارق المهم بين الأسيرين هو كيف يدرك كل أسير لحظة الأزمة فالأول وضع المسألة في إطار التحدي وبالتالي أصبح يفكر كيف يستعيد المبادرة بعدما أصبحت بعيدة عنه، بينما الثاني كانت المسألة بالنسبة له خطأ قام به ولا مجال لإصلاحه.

---

[205] مقابلة مع أسير

[206] مقابلة مع أسير

[207] مقابلة مع أسير

الوضع الصحي أثناء التحقيق

هناك دور مهم للوضع الصحي للأسير لحظة اعتقاله، فالوضع الصحي يكون إما إيجابياً أو سلبياً على الأسير أثناء التحقيق، فهناك فارق كبير بين أسير يعاني من أمراض مختلفة وبين أسير لا يعاني من أية أمراض، أو بين أسير مصاب بإصابة أثناء المواجهات.

"كان صارلي اسبوعين بدون دوا، وكان ركبي يضربوا ضرب علي بالتحقيق وهاد شكل ضغط وسبب من الاسباب الي خلتني افكر اعطيهم جزء من المعلومات"[208] في بعض حالات الاعتقال والتحقيق يكون الوضع الصحي جزء من العوامل التي تجعل الأسير يقدم اعتراف أو تنازلات معينة أثناء التحقيق بغية تخفيف التحقيق عليه وإراحته جسدياً حتى لو كان في صعود باتجاه الصمود.

ولكن هناك حالات كثيرة مرضية وبأوضاع صحية صعبة تحدت وصمدت ولم تلعق أقدام المخابرات.

التفكير خارج التحقيق

"ولا مرة حصرت حالي بشو بحكي المحقق، دايماً ببني أفكار وقصص براسي خارج كل جو التحقيق قصص إيجابية وحكايات إيجابية، وهاد ساعدني منيح باني اتخطى كل التحقيق رغم صعوبته"[209] الأفكار الداخلية أثناء التحقيق وبماذا نفكر وكيف ندرك مسألة التحقيق لها إسقطاتها في صيرورة التحقيق، فهناك فرق بالتأكيد بين أسير يفكر باستمرار "ماذا حصل مع عائلتي" و "ماذا سيفعلون معي" وبين أسير يفكر خارج كل التحقيق ويبني سيناريوهات اجتماعية ونضالية تدعم صموده بالتحقيق.

في المثال الأعلى نلاحظ أن الأسير لم يكن يفكر كثيراً ماذا سيحصل أثناء التحقيق وهذا يعني أنه ليس هناك اكتراث بما يحصل بل هناك محاولة لتخطي صعوبة التحقيق بالتفكير في مسائل أخرى تدعم الصمود وهي الانتقال من الحالة المسيطر عليه إلى حالة المسيطر عليها من خلال أفكاره وسيناريوهات الأحاديث والقصص التي يبنيها في مخيلته، وهنا يلعب الخيال دور إيجابي جداً عندما يكون فعال وإيجابي وغير محبط ومثبط للمعنويات.

في سياق آخر تعطي زنازين التحقيق شعوراً بالقطع عن كل ما هو سابق! قطع عن كل الحياة الطبيعية التي يشعرها الأسير أثناء تواجده في الخارج، حيث يوضع في الزنازين والتي كنا قد وصفنا وضعها سابقاً من حيث الشكل والمضمون. لكن المسألة ليست مجرد قطع وفقط، بل الزنزانة تشعرك بأنك في "مقبرة مهجورة"[210]

---

[208] مقابلة مع أسير

[209] مقابلة مع أسير

[210] مقابلة مع أسير

أوتشعرك "أنك راح تموت هون"[211] وتتوالد أحاسيس لدى الأسرى مثل "بتحس معاك مرض خطير"[212] أو"انك مش راح تطلع من هون"[213] أو"نفسك تحكي بس اي تلفون مع اي حدا تقله لساتك عايش"[214] هذا السياق كثيراً ما يخلق الجو من أجل الاعتراف وتقديم المعلومات والتنازلات، خاصة عندما يدرك الأسير أنه وحيد.
يقول أحد الأسرى "كنت عند المحقق مش حاكي ولا شي صلي كمن يوم تحقيق متواصل ومش حاكي ولا حرف، بعدين دخلوني على زنازنة وقتها فعلاً قعدت أفكر انو شو جابني انا هون، انا راح اقدر اطلع من هون! وبلشت افكر اعترف عشان اطلع بس"[215] نلمس هنا الأثر العالي الذي تقوم به زنزانة التحقيق في تغيير مسار التحقيق رغم وجود حالة من التحدي، وكيف يتم إدراك الزنزانة والتعامل معها بطريقة مختلفة رغم أنها جزء من التحقيق، والشعور المرتبط بالزنزانة يشعر الأسير بالضعف الداخلي أو العكس ذلك أن كل الأسرى عبروا محطة الزنازين والكثير صمدوا.

ما قبل الدخول إلى التحقيق

"الصمود صيرورة بتربى عليها الواحد وبقرر فيها قبل لا يروح على التحقيق"[216]تلعب التربية الحزبية التي يتلقاها المناضل دوراً هاماً في تحديد نتائج التحقيق، فالتربية الحزبية التي تربي على الصمت وعدم الثرثرة والسرية والحفاظ على معلومات وأمن الحزب وعدم التعاطي المطلق مع العدو الصهيوني بالتأكيد ستعزز قرار يفضي إلى عدم التعاون معه داخل التحقيق وبالتالي يكون القرار بالصمود ليس قرار وليداً لحظةَ التحقيق بل هو كائن حي ينمو داخل ذات المناضل من اللحظة التي قرر فيها أن ينخرط في مشروع نضالي يواجه فيه هذا العدو.
يقول أحد الأسرى "الصمود في التحقيق هو قرار فعلياً اخذناه قبل لا ندخل تحقيق، كنا بس نوخد حلقات الأمن ونتناقش في موضوع التحقيق وقتها نكون نفكر باللحظة الي بدنا ندخل فيها عشان نصمد، نصير فعلاً بدنا ندخل عشان بس نصمد يعني القرار كنا نوخده واحنا بالجلسة تبعت التحقيق برا الي كان مسؤولنا يعطينا اياها"[217]

[211] مقابلة مع أسير
[212] مقابلة مع اسير
[213] مقابلة مع اسير
[214] مقابلة مع أسير
[215] مقابلة مع أسير
[216] مقابلة مع مناضل
[217] مثابلة مع أسير

التجارب السابقة ودراسة التحقيق

كما كل الشعوب الساعية للتحرر يخوض شعبنا معركته لأجل الحرية من الاستعمار الصهيوني منذ عشرات السنين وهذا جعل أبناء شعبنا يخوضون تجارب عديدة في التحقيق وداخل السجون فشكلت هذه التجارب خبرة عميقة عممت على آخرين وشكلت إرثا لأجيال المناضلين، كما وشكلت السجون كذلك منارات في تعبئة المناضلين بأساليب التحقيق وحثهم على الصمود والمواجهة وإن كانت تأخذ طابع إجرائي في الكثير من الأحيان. فالعديد من المناضلين دخلوا التحقيق أول مرة وقدموا اعتراف أمام المحققين ولكن كانت التجربة الأولى كفيلة بأمدادهم بالقوة والمعرفة والقدرة على الصمود في المواجهة الثانية. فالتعبئة الأمنية والأيدولوجية والسياسية داخل السجون والتربية التي يتلقاها الأسير تجعله ينظر من زاوية نقدية لتجاربه الفاشلة، وهذا لمسناه عند أكثر من أسير دخل التحقيق بحيث يسعى ويتمنى الأسير العودة للتحقيق وتسجيل موقف صمودي وإستعادة هيبته أمام نفسه خاصة في ظل التعبئة الأمنية التي تحث على الصمود وترفع من قيمة الصامد ودوره في العمل التنظيمي الداخلي.

النماذج الثورية

إن استذكار النماذج الثورية والوطنية المناضلة والتي صمدت في التحقيق وجابهت العدو الصهيوني حتى آخر رمق شكلت نموذجاً يحتذى به ودافعاً مهماً وملهماً في الصمود داخل أقبية التحقيق، حيث تؤثر المآثر التي سطرها رجال ونساء وأناس بسطاء في وعي الاسرى داخل التحقيق ليكون دافعاً للصمود. فمثلاً نجد أن أحد الأسرى الذي نشأ في قرية استشهد أحد أهم ابطالها في داخل زنازين التحقيق في سبعينيات القرن الماضي شكل أثراً كبيراً في دفعه للصمود في أقبية التحقيق بالرغم من مرور عشرات السنين على استشهاد المناضل. يقول الأسير "يعني بس أضعف بالتحقيق كنت أفكر طيب أنا شو بالنسبة لمحمد الخواجا؟ ولا اشي هداك ضحى بحياته عشان يحمي رفاقه وحزبه وكان التحقيق جدي وكلو ضرب وقتل وهلأ مش هيك.. كيف يعني اعترف!"[218] في هذه الحالة شكل نموذج اجتماعي محلي أثراً هاماً على الأسير في تعزيز صموده وقدراته على المواجهة.

بينما نجد آخر كان قد كتب مقولة إبراهيم الراعي وهو مناضل فلسطيني ماركسي استشهد في أقبية التحقيق حفاظاً على أسرار حزبه ورفاقه فكتب على جدران الزنزانة ما كان قد كتبها إبراهيم الراعي منذ عشرات

---

218 مقبلة مع أسير

السنين "لو صلبوك في ظلام الليل البارد فلا تخف فقد أصبحت رمزاً لمن صمد ولم يعترف" ويضيف أن أثر هذه المقولة كان وهاجاً دائماً خاصة في لحظات الضعف التي يمر بها الأسير داخل الزنزانة.

وفي سياق آخر نجد أسرى آخرين استمدوا بعض قوتهم من نماذج ثورية ذكرت أثناء التحقيق، فمثلاً كان المحقق يتكلم مع أحد الأسرى الصامدين متهكماً "انت مش تشي جيفارا" وكان هذا دافعاً للأسير لأن يتذكر مآثر جيفارا في القتال حتى آخر رمق واستشهد وما زال ثابتاً على قناعاته ومبادئه الثورية.

وفي أحيان آخرى تلعب العلاقات التي نشأت مع الرفقاء في النضال دوراً هاماً في تعزيز الصمود، فالنضال حياة تصنع بداخلها علاقات اجتماعية بين الذين يخوضون النضال ذاته، وبالتالي يصبح العامل الاجتماعي عاملاً إضافياً يعزز الصمود. يقول أحد الأسرى "بالتحقيق بتصير تفكر إنك دخلت على بيت صديقك الي بتناضل معاه واتعرفت على عيلته وصرت جزء من عيلته كيف يعني تعترف عليه!؟ بتصير تحس انك اذا اعترفت انك بتطعن هاي العيلة بالضهر..كيف بكرا بدك تروح وتطلع بعيونهم.؟!"[219] وهنا نلمس كيف نسجت العلاقة الوطنية علاقة اجتماعية بجانبها تعزز وتمكن العلاقة الوطنية أكثر وأكثر بحيث تصبح عاملاً مهماً في تعزيز القناعات التي نشأت أثناء النضال.

مع التأكيد هنا على الجدلية داخل العلاقات الناشئة، حيث تحمل بطاياتها صورة الأسير عن نفسه أمام الآخرين ومحاولة الحفاظ عليها من أجل حماية "الأنا" وبالتالي البعد فردي خاص هنا، وصورته الذي يريد أن يحميها من أجل ارتباطها بالمشروع التحرري.

تعزيز الذات وشحنها بالأغاني الثورية

فعندما تعلو الصيحات بالأغاني الثورية تمتلئ الأفئدة بشجاعة وشعور بالزهو على حد تعبير كارل ماركس. يعزز العديد من الأسرى صمودهم في التحقيق بترديد الأغاني الثورية التي تلهب شعورهم الوطني وتعزز من إمكانية صمودهم، فالأغاني هنا تذكر الأسرى دائماً بلحظات النضال المختلفة التي خاضوها مع رفاق مناضلين لهم وهذا يشكل دعماً معنوياً مهماً في إعادتهم نفسياً لتلك الحالة من التحدي والتي تؤثر بالضرورة على وضعيتهم الحالية تحت الضغط "كثير مرات بس أشعر أني تعبت أو ضعفت ابلش اغني اغاني وطنية وشوي شوي اصير اشعر حالي رجعت لقوتي ..كانت الغناني تعطيني دفعة معنوية كبيرة"[220]وتكتسب العديد من الأغاني الوطنية قوتها من الأفكار التي تحملها ويعبر عنها بين أبيات هذه الأغاني والتي تحض على الحرية والكفاح والتضحية.

الاعتراف في اليوم الأول أو الاعتراف الأول، الاعتراف عند العملاء

---

[219] مقابلة مع أسير
[220] مقابلة مع أسير

يذكر بعض الأسرى الذين تم مقابلتهم أنهم لم يعترفوا من اليوم الاول، وعند سؤالهم متى بدأتم بالاعتراف لم يجبْنا أي أحد أنه اعترف من اليوم الأول فدائماً هناك أسبوع على الأقل قبل الاعتراف "على حد تعبيرهم"، وهنا يوجد تحليلين لهذه النقطة الأولى أن هناك فعلاً أسرى يعترفون من اليوم الأول ولكن يخجلون من الحديث أمام الجميع في ذلك حتى لا يظهر ضعفهم وعدم قدرتهم على التحمل منذ اليوم الاول، وهناك نوع آخر من الأسرى يكون قد قرر أن يعترف لكنه يؤجل الاعتراف للأسبوع الأول أو الثاني والغرض هنا أنه عندما يسأله الآخرون يقول لقد اعترفت بعد أسبوع من التحقيق أو اسبوعين ..الخ فهذا يعني أنه كان بإمكانه الصمود والمواجهة نوعاً ما وإنه إنسان قادر على المواجهة بشكل أو بآخر.

بينما هناك نوع ثالث يدعي اعترافه في أقسام العملاء تحت عنوان "ضحكوا علي" وهذه قد تكون أسهل المبررات وأكثرها تقبلاً لدى الأسرى، فهو كان صامد لا يتكلم يتحدى ضباط المخابرات، ولكن العملاء أوهموه أنه أمام أسرى مناضلين فتم التغرير به، وقد تكون هذه المسألة صحيحة وأيضاً هناك العديد من يجعل من هذه المحطة في داخل التحقيق مبرراً لاعترافه، حتى أنه أحياناً ينتظر العملاء حتى يعترف عندهم يقول أحد المعترفين عند العملاء "بس بلشوا يحكوا معي كنت عارف انهم عملاء بس خلص تعبت وبدي اعترف فقررت اعترف عندهم"[221]لم يذكر الأسير هنا للباحث لماذا قرر أن يعترف أمام العملاء ولم يقرر الاعتراف أمام المحقق، رغم أنه يدرك أنهم عملاء، وهنا نستطيع أن نتلمس كيف أنه يستسهل الحديث لاحقاً أنه اعترف أمام العملاء بينما يصعب عليه أن يقول اعترف أمام المحققين، فالاعتراف أمام المحقق معناه انكساره معنوياً ونفسياً وعدم القدرة على المواجهة، وهذه حيلة لا جدوى منها.

في جانب آخر يحاول الأسرى أن لا يكونوا أول المعترفين رغم أنهم في قرارة أنفسهم مهزومين ولكن الأسير أحياناً لا يقبل أن يقال عنه هو من اعترف ولكن يرضى أن يقول أنا أكدت اعترافات غيري ولم أكن أنا المعترف الأول، وكأن المعترف الأول هو من يخون أصدقاءه، وعندما يجد الأسير من قام بهذا الدور يصبح الاعتراف أسهل ومستساغ نفسياً بشكل أفضل بين الأسير ونفسه، وهنا تلعب الآليات الدفاعية في تحويل المشكلة والمسؤولية بالاعتراف والتي من المفترض أنها مسؤولية أفرادية وليست جماعية إلى إسقاط على شخص آخر نحمله أسباب الفشل.

---

[221] مقابلة مع أسير

تسكير الجبهات (تحديد الاعترافات)

يمر التحقيق أحياناً بمسارات قد تكون إجبارية على البعض في وجهة نظر الأسير حينها، وهي ما يطلق عليه تسكير الجبهات أومحاصرة الاعترافات، أي أن هناك ملف مفتوح على الأسير أو على أسرى أخرين بناء على اعتراف أحدهم عليه، ولكن هناك ملفات أخرى مغلقة لم يتم التطرق إليها فيقوم الأسير بألتاكيد والاعتراف على ما فتح والصمت عن باقي الملفات حتى يتوقف مسلسل الضربات والاعتقالات ويغلق الملف عند هذا الحد الذي ظهر منه، أو يعترف الأسير على ملفات ليس له علاقة بها وهي بحجم أقل من مسائل كان قد اعترف بها وذلك من أجل حمل ملفات لأناس آخرين من أجل تخفيف الضغط عن غيرهم وإخراج مناضلين آخرين من القضية مما يضمن لهم بقاءهم بعيداً عن الشبهات وبالتالي يتشجم مسؤولية لحماية غيره.

الهروب بصياغة قصة جديدة

يقوم بعض الأسرى في محاولة تغيير مجرى التحقيق بتبني تهمة بسيطة بدلاً من التهم الكبيرة "كان يوجهوا الي تهمة تنظيم ومساعدة مطلوبين وكل التحقيق كانوا مدقرين على هاي النقطة، بالآخر رحت قلتلهم انو كل القصة انو في بيت انسرق جمبنا واجوا هدول الناس وصاروا يفحصوا كيف انسرق وطلبوا مي وبعدها حكولي اذا بتشوف في حركة حرامية جمبك رنلنا وانا كنت ارنلهم بس اسمع في حركة حرامية جمب البيت وما كنت بعرف انهم مطلوبين الكم أساساً..طبعاً انا بعرف بس خلص قررت اعطيهم شي يحلوا عني فيه"[222]في حالة الهروب بصياغة قصة جديدة يكون الأسير واقع في نزاع بين أن يعترف وأن لا يعترف، والاعتراف مكلف اجتماعياً ونفسياً بينما الصمود غير قادر على الاستمرار فيه، فيبحث عن خيار وسط ويكون الخيار هو تقديم اعتراف كاذب، هذا يجعل المحققين يخففون وتيرة التحقيق في بعض الأحيان وفي بعضها الآخر يجعلهم يزيدون وتيرة التحقيق، في أحياناً أخرى قد يكون هذا مقدمة لانفراط المسبحة والاعتراف بكل شيء، وبالتالي التفكير بصياغة القصة يكون عكسياً، ولكن أحياناً يكون إيجابياً ولكنه يحتاج لبعض الصمود أمام هجمات المحققين المتلاحقة عندما يقدم هذه القصة وذلك لأنهم سيشددون التحقيق املاً في انتزاع المزيد من المعلومات المخفية من قبل الأسير "بعد ما قلتلهم اني اه بنتمي لهاد التنظيم صاروا يشدوا علي بالتحقيق وانا وقتها قلت لازم احط أجري بالحيط وما احكي ولا اشي تاني أوبنفرط وبنهار..وهيك عملت"[223]

---

[222] مقابلة مع أسير
[223] مقابلة مع أسير

الفصل الخامس

التحقيق ولادة جديدة

سنحاول في هذا الفصل الإضاءة على أثر تجربة التحقيق على المناضلين الفلسطينيين، كون هذه التجربة من التجارب الخاصة التي تشكل علامة فارقة في حياة الأسير. سنبين كيف تتعامل المخابرات مع هذه التجربة وكيف تحاول استثمارها لكسر إرادة الأسير، وكيف تصبح هذه التجربة محطة إنعطافية في حياة المناضل لها ما قبلها وما بعدها. فالتجربة لها أبعاد شخصية بين الأسير ونفسه وبين الأسير ورفقائه الآخرين وعلاقتهم معه. فالأسير يتخذ العديد من المواقف عقب انتهاء التحقيق، ودائماً ما يكون هناك صيغة ما يقدمها الأسير لنفسه بعد انتهاء التحقيق مكسوراً أو نظرة جديدة للنفس سنحاول تبيان بعض منها في هذا الفصل.

في الباب الثاني نتطرق إلى التحولات الحاصلة على المناضلين بين التحقيق الأول والثاني، وكيف يرتبط التحقيق الثاني لدى المناضل بحالة ثأرية للإنكسار في التحقيق الأول، هذه الحالة التي لا نلمسها عندما يخرج منتصراً من التحقيق الأول، وكيف ينعكس هذا على نظرة الأسير لنفسه.

الباب الأول: ما بعد التحقيق، وأثر التجربة

"لا أحد يعرف كيف ترتب الحياة نفسها .. أحيانا يحسب المرء أن قصة ما انتهت .. فإذا بها تبدأ .. أن مستقبل إنسان كامل تراه فجأة متعلقاً بحادث صغير لا قيمة له .. إن عقدة المسبحة أصغر من حباتها ولكنها إذا انفكت كرت ثلاث وثلاثون حبة واحدة إثر الأخرى .. وأحيانا ينحرف الماعز الأكبر في القطيع وراء قشرة برتقالة فيتبعه القطيع كله .. وقد يجتاز سياجاً فيشتبك الرعاة بالمزارعين ويموت الناس وتفقد دواب وتعقد ولائم الصلح ..فيأكل الفقراء والمجانين والأطفال .. ويرى مدعو ما فتاة ما هناك فيخطبها ويتزوجها وتنجب له أولادا و بناتا يعيشون ويموتون ويمشي في جنازاتهم رجال لا يعرفونهم خطوات السنة العشر ويتحدثون وقد يتفقون على شيء أو يتشاجرون" - (كنفاني، 1987).

قد يكون البدء في كلمات غسان كنفاني هنا مرتبط تماماً في حالة التحقيق، فالتحقيق محطة وانعطافة في حياة المناضل الفلسطيني، انعطافة بمسار حياته ما قبل التحقيق وما بعده "أنت بتنولد من جديد..بتحس انو حياتك جديدة ما قبل وبعد"[224]، فالخروج منه ولادة جديدة بالمعنى المعنوي للمناضل، فالذي يتجاوز هذه المرحلة بنجاح إنما يولد من جديد ويرى ويدرك ويعيد استبصار ذاته من جديد. فالقوي لم يكن يعلم أنه كذلك وبهذه

---

[224] مقابلة مع أسير

الدرجة من القوة، والضعيف شاهد أمام نفسه كم كان ضعيفاً في تلك المواجهة، ويا لها من آثار، آثار تلك المواجهة التي تحدد مصير العديد من المناضلين عند تلك المحطة. فالنصر والنجاح يعني غالباً الاستمرار بينما التهاوي والسقوط يعني السقوط من كل شيء، السقوط من عيون الآخرين وعيون الحزب والوطن والناس وما ينعكس من ذلك على المناضل نفسه الذي لمس ضعفه عندما كان وحيداً في زنازين التحقيق.

بداية ينبغي إدراك أن المخابرات الصهيونية تعمد باستمرار إلى كسر الأسير داخل التحقيق بأي ثمن كان، حتى لو كان الاعتراف لا يقدم أو يؤخر في نتيجة التحقيق "شوف احنا عارفين انك مش راح تقدم اشي جديد بس بدنا نتأكد"[225] .. "أسمع مش راح تطلع من هون بدون ما تحكي"[226] نلاحظ فيما سبق وفي أقوال أخرى أدلى بها أسرى آخرون أن ضباط المخابرات يستميتون بشكل رهيب في الضغط على الأسرى من أجل الاعتراف حتى لو لم يكن هناك أية معلومة جديدة وهم متأكدون من ذلك! وهذا يعود لعدة أسباب أولاً، تعمل المخابرات دائماً على استدراج أكبر قدر ممكن من المعلومات، ثانياً: كثيراً ما يكون هناك أشياء غير معروفة قد يعترف عليها المناضل الصامد، ثالثاً: تحاول قدر الإمكان إخراج المناضل من التحقيق مكسور الظهر وتعلم وتدرك جيداً أن خروج الأسير منتصراً من التحقيق حتى لو كانت تعرف أن حجم معلوماته لا يزيد عن ما هو لديها يؤثر إيجاباً على نظرة الأسير لنفسه ونظرة الآخرين له. فهم عندما يحطمون إرادته يبثون بذلك دعاية مفادها أن من المستحيل الصمود في وجه تحقيق مخابرات الاستعمار، والأهم أن لا أحد يستطيع مواجهة المشروع الاستعماري والانتصار عليه بشكل فردي وعام، وهنا تكمن أهمية الصمود، وفي حالة صمد تأتي الرسالة عكس ذلك بل وتعزز فكرة اجتماعية أن الصمود مسألة يستطيع أن يقوم بها أي أحد. لذلك يحاول ضباط المخابرات أخذ ولو معلومة بسيطة وتافهة من أجل أن لا يخرج الأسير ويقول صمدت أمام المخابرات.

فالتحقيق يجعلك تبدأ من جديد، من جديد فإما تثق بذاتك وبمشروعك وشعبك وتؤكد مرة أخرى على الانتصار على المشروع المعادي وإما يجعلك تقف ضعيفاً متهاوياً عند هذه المحطة في الحياة، فالأولى يكون المناضل قد خبر كيف يهزم رأس حربة العدو المتمثل بجهاز المخابرات وكيف يمرغ أنف عنجهيتهم أمامه، وما لهاذا الشعور من إنعكاس إيجابي كبير على معنويات المناضل الذي يخرج منتصراً فعلاً أن هذا الجهاز وهذه الدولة المبالغ في تضخيم قوتها هي بالحقيقة أضعف بكثير مما كان يعتقد في اللحظة الأولى التي قرر فيها النضال.

بينما يقف المتهاوي عند الضربة والتي قد تكون بالنسبة له ضربة قاضية لمستقبله النضالي عند انكساره امام المحققين، اي انعطافة جديدة ونقطة تحول نحو حياة أخرى، فالمعترف يقف أمام نفسه إما نادماً منسحباً من حياة

---

[225] مقابلة مع أسير على لسان ضابط مخابرات
[226] مقابلة مع أسير على لسان ضابط مخابرات

النضال أو مصمما على العودة والصمود من جديد حتى يستطيع الوقوف أمام رفاقه وعائلته واصدقائه، ولمرحلة ما بعد التحقيق آثار مهمة على المناضلين سنوضح بعض منها فيما يلي .

يفيد أحد الاسرى "في التحقيق بعد 18 يوم وكنت مش حاكي ولا اشي اجى علي المحقق وقلي اسمع انت عشو انحبست اول حبسة؟ قلتله ملفي عندك روح شوف، قلي لا بدي اسمع منك، فانا اخدت الموضوع ببساطة قلتله حاكموني على هاي التهم ....قلي وانت حكمت بصفقة صح؟ قلتله اه، فقال يعني انت هيك! قلتله لا! فقلي منتا حاكي انو حاكم عشان هيك قلتله هلأ بطلت هيك" [227] حتى هنا حاول ضابط المخابرات إقناع الأسير أن يعترف فقط على التهم التي أساساً اعترف عليها في المحكمة أمام القاضي في الاعتقال السابق، وهذا إن كان فهو من أجل أن لا يخرج الأسير ويقول لقد كسرت شوكة المخابرات.

فالصمود يؤسس لدى الشخص ثقة بأكثر من تجاه فمن جهة يمنح الصامد قدرة على مواجهة تحديات كبيرة في حياته ومن ضمنها مواجهة الاستعمار ومشروعه الإحلالي، حيث يشعر الأسير أنه يستطيع القيام بأي عمل أمام هذا الاستعمار الصهيوني فيشعر بثقة عالية وأحياناً مفرطة في نفسه.

والعامل الآخر وهو الأثر الاجتماعي-النفسي على الصامد بأن يحوز ثقة الاخرين فيه أكثر وأكثر، فعلى مستوى العائلة نجد "اهلي صاروا يطلعوا انو في زلمه قدامهم في البيت، وصاروا يستشيروني بكثير شغلات"[228] أما فيما يتعلق برفقاء النضال "بعد التحقيق هيك اخدت شهرة منيحة، يعني الناس كلهم بس يعرفوني على حد يقولو هاد صمد وهيك يعجقوني طبعاً هاد الشي بخليك تشعر برضى داخلي وبقديش عملت شي منيح وحتى ثقة ولاد فصيلي صارت كثير أعلى وصاروا يرجعولي ويأمنولي بكثير شغلات"[229] هذه الثقة التي منحت من عائلته أو من رفقاء النضال هي في الحقيقة اعتراف المجتمع بكافة مكوناته بأهمية الصمود وبالصلابة النفسية التي يتمتع بها الأسير الصامد وبعلاقة الصلابة بالوعي الاجتماعي وبحماية اي شكل من الأسرار، وهنا نجد نوعاً من النشوة بين الأسير ونفسه يشعر بها من شدة الاهتمام والإشادة الاجتماعية به لصموده بما يترك بصمات دافعة على شخصيته.

من جهة نجد أن المعترفين بعد إنهاء التجربة وتقييمها يأخذون منحنيين، الأول، الانكفاء والنزوع إلى المسائل الخاصة وترك المسألة النضالية خاصة لدى فصائل اليسار، والثاني، الرغبة في العودة للتحقيق والصمود من جديد من أجل رد الاعتبار للذات المنكسرة أمام المحققين.

---

[227] مقابلة مع أسير

[228] مقابلة مع أسير

[229] مقابلة مع اسير

ففي حديثنا مع العديد من الأسرى وجدنا في النموذج الأول أن العديد من الأسرى الذين أفشوا باعترافات ذهبوا باتجاه الاهتمام بالمسائل الفردية وبالمصالح الذاتية بعد خروجهم من السجن مع الأخذ بعين الاعتبار غياب مشروع وطني فلسطيني جامع في مرحلة أوسلو ولكن الانكفاء التام عن الهم العام بل ومهاجمة الهم العام أصبح مقولة يرددونها على ألسنتهم دائماً وذلك كشكل من تبريرهم لموقفهم الشخصي للهروب من الاهتمام بهذه المساحة التي انغمسوا فيها سابقاً.

أما في النموذج الثاني، فنجد لدى الأسرى الرغبة في العودة للتحقيق مرة أخرى حتى "يستعيدو كرامتهم" التي انتزعت عندما قاموا بإدلاء الاعتراف، وبالتالي يدخل الأسير في حالة انتظار دائمة رغبةً في العودة للتحقيق من أجل الصمود هذه المرة وإثبات أمام النفس وأمام رفقائه المناضلين على أنه قادر على الصمود "شعرت براحة كبيرة بس خلصت تحقيق المرة التانية، انو هيك اخدت بثاري"[230].."بتشعر انو في ثار بيني وبينهم لازم على الاقل استعيدوا!، يعني بدك ترجع تنتقم؟..اه"[231] الأسرى في الاقتباسين الاخيرين شعرا بتأنيب الضمير وعدم الراحة طالما أنهم قدموا اعترافات أمام المحققين، فشعر الأول بالراحة بعد العودة مرة أخرى والصمود أمام المحققين وهكذا يرتاح ضميره، بينما شعر الثاني أن ثأراً شخصياً ما يزال يلح عليه للذهاب للمواجهة والانتصار فيها، أي أن الموضوع ظل يشغل بالهم بعد انتهاء التحقيق.

في مثال آخر، من تجربة شخصية للباحث، أذكر مرة أنني تحدثت مطولاً مع أحد الأسرى داخل السجون وهو صديق لي حول الاعتراف الذي قدمه، وكان اعتراف واسع وعلى العديد من الناس. كان الحديث عبارة عن مراجعة لكل التحقيق والدوافع والعوامل التي جعلته يفرط بأسرار في اعتقاله الأول وكان هو وقتها اعتقاله الثاني، خرجت من السجن بينما هو بقي يكمل فترة حكمه، فدخل الأسرى إضراب جماعي عن الطعام في عام 2012 شهر 5 وما كان منه إلا أن شارك في الإضراب وبعد قضاء أيام الإضراب وانتصار الحركة الأسيرة، اتصل علي الأسير ذاته من داخل السجن وصوته مليء بالحيوية والقوة والعنفوان ويصرخ ويقول " ولك وين...ولك كسرناهم..انتصرنا عليهم.. ارادتنا هزتهم" كان كلامه يربط بين النصر في الإضراب عن الطعام والذي أيضاً يحتاج لعزيمة وبطولة لخوضه وبين الاعتراف الذي قدمه، فالأسير هنا وجد في دخول تجربة الإضراب عن الطعام والانتصار فيه رد على انكساره ففي الإضراب استعاد كرامته التي فقدها في التحقيق.[232]

لكن بالتأكيد لا يأخذ جميع الأسرى ذات المنحى في التعامل مع التحقيق فهناك من يرتقي إدراكه لمسألة التحقيق كمسألة نضالية وليس كمسألة شخصية، في مقابلة مع احد الاسرى الذين قدموا اعترافاً في اعتقالهم الأول عند

---

[230] مقابلة مع أسير

[231] مقابلة مع أسير

[232] قصة حدثت مع الباحث

سؤاله عن رغبته في العودة والانتقام وأجاب "لا أشعر بحاجة للانتقام فالمسألة ليست شخصية بل مسألة عامة، إن النظر إلى المسألة من زاوية الانتقام يعني أنني انظر من زوايتي الشخصية وبالتالي أربط النضال والفشل في أحدى محطاته كمساس خاص اي انطلق من منطلق اناني وهو ذاتي، أنني ارى أن استمراري في النضال هو الرد الطبيعي على الفشل في تلك المحطة، فأن تبقى تناضل وتسير على ذات نهجك ومبادئك هي بالحقيقة الرد على الفشل هناك لأن مسألة النضال ونجاحه وفشله في أية محطة هي مسألة تخص كل الجماعة التي انتمي اليها"[233] ما هو مميز بهذا الرد هو العمق الذي أدرك به الأسير مسألة الاعتراف وربط الاعتراف أو الصمود بمسألة عامة وليست مسألة خاصة وبالتالي هنا تعامل مع الاعتراف كمحطة فشل فيها ويستطيع أن يواصل النضال دون التوقف في تلك المرحلة فطالما ما يزال يناضل هو رده على الاعتراف، فالنضال مسألة جماعية وليست مسألة شخصية أو قبلية أو عشائرية، فلا داعي لانتظار التحقيق من أجل "استعادة الذات".

في العودة إلى حالة ما بعد الاعتراف هناك سلوك شائع يتكرر لدى المعترفين الذين لا يرون أهمية العودة للتحقيق مرة أخرى و"الثأر" فهم ينزعون نحو آليات دفاعية مختلفة، فالتحقيق كما هو معلوم محاولة لكسر إرادة المناضل وكما أشرنا سابقاً تسعى المخابرات إلى انتزاع اعتراف حتى لو كان كمياً لا نوعياً، فأبعاد الاعتراف نفسياً سلبية على المناضل لذلك تعمل على كسر إرادته بشتى الوسائل ونجد ذلك في السلوك الذي تطرقنا له في الأعلى سريعاً ولكن سنقف الآن عند هذه النقطة لنعيد تحليلها.

المعترف وحالة الهروب للأمام

ينزع المعترفون في كثير من الأحيان إلى إلقاء اللوم بعيداً عن النفس كحل وسط من أجل أن تصل النفس إلى حالة توزان يستطيع من خلالها المعترف التصالح مع ذاته والتعايش معها وتجاوز ما تم، وهذه آلية دفاعية نلاحظها كثيراً عند المعترفين خاصة أولئك الذين انهاروا تماماً في التحقيق أي بكشف كافة المعلومات لديهم وتحدثوا عن العديد من الأصدقاء والرفقاء في النضال، وبذات الوقت الأسرى الذين اتخذوا موقف استئنافهم النضال بعد هذه المحطة حيث فعلاً شكلت المحطة انعطافة لهم في نظرتهم لمشروعهم النضالي.

يبدأ المعترف بتبرير اعترافه بعد خروجه من السجن بعدة آليات، أولها نقل الموضوع إلى موضع آخر في النقمة على كل ما هو عام وينتمي للمشروع ويتخذ موقفاً سلبياً من مشروعه النضالي ويحمله مسؤولية كل الأخطاء وينظر إليه نظرة سلبية تماماً وكأنه لم يقم بأي شيء مفيد للشعب الفلسطيني "كل ثورتنا مش ثورة"[234]

---

[233] مقابلة مع أسير

[234] مقابلة مع أسير

أو "كل الموجود مش جدي ومش عاجبني"[235] بحيث يُخرج المناضل نفسه من المساءلة أمام ذاته في توجيه اللوم على المشروع الذي يحمله فشل كل شيء ويتطرق إلى كل نقاط فشله على مر تاريخ الشعب الفلسطيني ولكن لا يتوقف للحظة عند فشله الخاص كجزء من هذا المشروع لأنه لا يعلم أن هذا جزء من محاولة تخفيف التوتر مع النفس داخلياً من أجل القدرة على التعايش مع مسألة الاعتراف.

أو يأخذ منحى آخر وهو "ما كنت اعرف هاي الأساليب"[236] ..أو "ما حد قلنا انو في هيك عند العصافير"[237] في محاولة إلقاء اللوم على جانب التثقيف الذي لم يتحصل عليه، فيكون المخرج أمام ذاته أنه لا يعرف هذه الأساليب، وبذلك يقف أمام زملائه في النضال يستطيع النظر بعيونهم فالمسألة ليست أنه ضعف وتهاوى بل لأنه لا يعرف! وبالتأكيد لن يقف الأمر عند هذه المحطة بل غالباً ما يتم الربط بين هذه النقطة وبين النقطة السابقة في القاء اللوم على المشروع وأن في المشروع العديد من الثغرات التي أصبحت لا تقنع الأسير في العودة واستكمال النضال من جديد وبالتالي القدرة على التصالح مع ذاته ومع من هم حوله.

وكما أشرنا أيضاً سابقاً المبررات تكثر في هذه الحالات ومن أهم المبررات التي سرعان ما ترتبط بهذه النقاط أنه لا يثق بالآخرين ولم يشعر بثقة الآخرين التي تمكنه من الصمود، وأن الجميع في المشروع النضالي نفسه يتحاملون عليه، وطبعاً هناك ملاحظة لافتة وهي أن الانكفاء بعد الاعتراف لا يتوقف على الحدود العامة ومهاجمة هذا الحيز، بل يمتد كثيراً لمحاولة قطع العلاقات مع مناضلين ما تزال لهم علاقات نضالية والانكفاء على علاقات اجتماعية وعائلية بعيدة عن هذه الأجواء التي كانت جزء مهم من علاقاته وحياته قبل التحقيق.

---

[235] مقابلة مع أسير

[236] مقابلة مع أسير

[237] مقابلة مع أسير

الباب الثاني: التحولات بين التحقيق الأول والثاني

تطرأ على الأسير العديد من التحولات ما بين التحقيق الأول والثاني، فالتحقيق الأول يمكن الأسير من إلتقاط الخبرة والتجربة بما يساعده كثيراً في التحقيق الثاني، فالعديد من الأسرى الذين خاضوا غمار التحقيق للمرة الثانية كانوا مملوئين بالحقد والحاجة للثأر الأمر الذي جعلهم يسطرون صموداً كلياً انتقاماً من المحققين وتأكيداً على بطولتهم وقوتهم أمام نفسهم وأمام رفقاء النضال والناس الآخرين "بس دخلوني عسقلان شعرت بلحظتها انو اجت الفرصة الي بقدر ارد على الجميع فيها"[238] ..."كنت بستنى اللحظة الي ارجع فيها تحقيق وأرجع أثبت حالي وأجت لحالها"[239] حيث هناك فعلاً تغيرات في التعامل مع التحقيق والصمود بين التحقيق الاول والثاني.

فالاعتراف في التحقيق الأول كان دافعاً للأسير لاتخاذ موقف صلب جداً في مواجهة المحققين وعدم التفوه بأية كلمة، فالحاجة للانتقام ورد الاعتبار كانت هي الفكرة المركزية التي يراها الأسير أمامه "كل الي بفكر فيه انو كيف بدي أرجع أعلم عليهم"[240]

الملفت في الأمر أن الأسير الذي دخل تحقيق للمرة الأولى وأدلى باعتراف بينما صمد في التحقيق الثاني اختلف في روايته حول الصمود عن من دخل للمرة الأولى وصمد، فالذين يصمدون في المرة الثانية كثيراً كانوا يرفضون الحديث عن الصمود وعن التحقيق مثل الذين صمدوا في المرة الأولى وذلك لأن "بتصير تفهم شو مشاعر المعترف لانك مريت فيها فما بتحب تحكي عن الموضوع خاصة قدام حدا معترف لانو الموضوع فعلاً بيكون يؤلم من جوا"[241] فالمرور بتجربة الاعتراف جعلت من هؤلاء يتعاطفون مع من يعترفون في عدم الحديث أمامهم أو الحديث عن أهمية الصمود خوفاً من فتح الجرح بداخل المعترف.

أما الذين صمدوا من المرة الأولى فكان أسهل عليهم الحديث حول التحقيق وكيفية تجاوزه أمام الجميع، وبفخر واعتزاز بالنفس حيث يدلي بروايته دون أي تحفظ أو اعتبارات، بل وكثيراً ما يقوم بروايتها أمام أي أحد يتطرق لموضوع السجن والتحقيق، فالمسألة هنا تجعله يفاخر بنفسه على عكس المعترف الذي يتجنب الحديث عن مكان فشله أو الذي صمد في التحقيق الثاني بسبب مروره بتجربة الاعتراف وإدراكه حجم الألم الذي يكتنف صدر المعترفين.

من جهة أخرى يمنح المجتمع مساحة أوسع للصامد للحديث عن تجربته وعن مشاعره وأفكاره، فالمجتمع يكن الاحترام لكل من يصمد على عكس ذلك مع المعترف، حيث مساحة الحديث أضيق والاهتمام أقل، حتى أن

---

[238] مقابلة مع اسير
[239] مقابلة مع أسير
[240] مقابلة مع أسير
[241] مقابلة مع اسير

بعض الأسرى انتقد هذا الأمر بقوله "الناس بتسمع من الصامدين مش من المعترفين وبتحتضن الصامدين مش المعترفين، مع انو الي بحاجة حقيقية لاحتضان وسماع هو المعترف لانو بكون في جواه نار بتكوي صدره وفش حدا حاسس فيه"[242] . من هذه الزاوية نستطيع أن نلمس حجم الأسى الذي يختلج صدر المعترف الذي شعر ونظر للمسألة من هذه الزاوية على الرغم أن احتضان المجتمع هو احتضان للبطولة واحتضان للفعل الايجابي وتعزيز له ومعاقبة للفعل السلبي ونبذه كوسيلة تربية اجتماعية نتجت من جوهر فكرة أن الاعتراف خيانة والتفريط بالأسرار التي اؤتمن عليها الفرد المناضل قبل اعتقاله، فالمجتمع يعلي من قيمة من كان في مستوى حفظ هذه الاسرار ويهبط من قيمة من فرط بهذه الاسرار.

لكن ما قيل أعلاه يستدعي تعامل المجتمع مع هذا الأمر من زاوية جديدة تستطيع النهوض بالمعترفين واستعادة دورهم النضالي حتى لا يتجهوا إلى ما تطرقنا إليه سابقاً "النقمة على كل ما هو عام" وبالتالي أشراك أكبر عدد ممكن في النضال ضد المشروع الاستعماري الإحلالي الاقتلاعي الصهيوني.

وبالبقاء بذات الزاوية وهي نظرة المجتمع للصمود والاعتراف والمقارنة بين التحقيق الأول والثاني، نرى أن المجتمع وتحديداً مجتمع الأسرى نفسه، قد يستوعب أن يقدم أسير أعتقل للمرة الأولى اعترافاً تحت بند أنه حديث على التجربة النضالية وما زال يكتشف التحقيق، لكن هذا العفو والاستيعاب لا يمكن جره على أسير يعتقل للمرة الثانية ويقدم اعتراف للمرة الثانية أو حتى الأولى بحالة كان أول مرة باعتقال دون تحقيق، فهناك افتراض ينطلق من هذا الفهم أن الاعتراف يبرر للاعتقال الاول أما الثاني فلا "بقدر افهم واحد حبسة اولى واول مرة بدخل تحقيق بعترف لانو لسا بعرفش كثير في التحقيق والسجون وهيك..بس واحد حبسه تانية بقدرش استوعب الموضوع نهائياً لانو اتثقف بالسجن وصار يعرف شو يعني تحقيق"[243] والتبرير هنا مرتبط بفهم الأسرى لطبيعة الحالة النضالية المترهلة بالخارج والتي لا تستطيع أن تمكن اعضاءها من مسائل عديدة ومن ضمنها التحقيق، ولكن هذا الامر يختلف عن ما هو داخل السجن، فهناك نظام تثقيف والموضوعة الأمنية (التحقيق في السجون) جزء أساسي فيه.

الانسجام مع الذات

الخروج من التحقيق في حالة انتصار يخلق حالة من الانسجام مع الذات ما بين الفرد المناضل ونفسه فعند اتمامه "الصمود" يعطيه شعور الفخر والاعتزاز بنفسه يرافقه بشتى مجالات حياته فبصموده إنما أكد على قناعاته وعلى صدقية ذاته في الانتماء والاستعداد للتضحية والمواجهة في سبيل مشروعه النضالي.

[242] مقابلة مع أسير
[243] مقابلة مع أسير

الصمود يجعل الأسير يقف لتنظيم أولوياته وأفكاره وذاته مع بعضها البعض، فليس بالضرورة أن كما قلنا في سطور البحث أن الصمود ذو طابع أيدولوجي بل له طابع اجتماعي أحياناً واحياناً نفسي وآخر أيدولوجي أو خليط من جميعهم، ولكن الصمود يجعل الأسير يقف حتى أمام قناعاته ويعيد ترتيبها وصياغتها بفهم جديد "بعد التحقيق وقفت قدام كل افكاري وصار عندي حافز كبير اثقف نفسي وأفهم قضايا نظرية أكثر..يمكن لو اعترفت ما صار معي هيك، بس الصمود خلاني افكر اعزز هاد الجانب"[244] فالنجاح يجعل الإنسان أكثر قابلية للتطور والنمو والانفتاح على أمور جديدة فالنجاح سرعان ما يخلق ثقة داخل الأسير نفسه، وهذه الثقة سرعان ما تأخذ أشكالاً من الإقدام والإقبال على أمور جديدة.

والنجاح في تجربة التحقيق يجعل الأسير أكثر انفتاحاً على محيطه الاجتماعي مقبلاً على الناس، فالصمود يمد الأسير بالثقة بالنفس، والاعتراف يشعره بالانتكاس وهشاشة الثقة بالنفس، والمجتمع هنا أيضاً يلعب دوراً هاماً في الإقبال على الصامد وهذا أيضاً يتلاقى مع نفسية الصامد الواثقة وبالتالي تتلاقى الرغبتين، فيما نجد العكس في حالة الاعتراف فالأسير المعترف يعزل نفسه عن المجتمع خجلاً من موقفه في التحقيق، والمجتمع نفسه يعزله كونه لم يستطع الصمود.

---

[244] مقابلة مع أسير

استنتاجات عامة

1- اختلفت عوامل الصمود ما بين الأمس واليوم، فقد انتقلت من عوامل أيدولوجية تنظيمية جماعية إلى عوامل نفسية اجتماعية.
2- تلعب العوامل النفسية الاجتماعية دوراً بالغ الاهمية داخل التحقيق كونها هي العامل الحاسم الآن في المواجهة.
3- التأثير الأيدولوجي انتقل من الأفكار الأيدولوجية للصمود إلى ممارسة مجتمعية تعيد هندسة المجتمع وفق المفاهيم الجديدة وتحمل المجتمع القيم الجديدة.
4- تطور المخابرات الصهيونية أساليب التحقيق باستمرار بما يتلائم مع طبيعة المرحلة، وتكون الوسائل بالعادة مرتبطة بشخصية الأسير.
5- هناك أسس نظرية تتبعها المخابرات في التحقيق داخل الزنازين وأهمها كسر العداوة مع المناضل وكسره، عن طريق تفكيك معتقداته، خداعه، إرهابه وإرهاقه، عزله وحيداً.
6- آليات المواجهة في التحقيق تعتمد على المواجهة بأربعة محاور، أولاً التمسك بالعداوة وبالبعد الأيدولوجي، الانتماء للجماعة وتعزيزه، المعرفة بوسائل التحقيق، زرع الشجاعة في قلب المناضل.
7- يبدو أن تأثيرات السياسات النيوليبرالية الحاصلة في الضفة المحتلة لها إسقاطاتها القيمية على المجتمع النضالي، فحالة الفردانية وتكريسها داخل المجتمع وإنعكاسها على الأسرى في التحقيق وفي كيفية المواجهة بدى واضحاً، فالبعد الجماعي الذي كان حاضراً بقوة في السابق خفت وحل مكانه القيم الفردية، والتي أيضاً تظهر من خلال ارتباط الفرد بالقضية الجماعية في بعض الأحيان خوفاً على المكانة والسمعة الفردية.
8- من الواضح تماماً أن عملية التعبئة الحاصلة داخل التنظيمات الفلسطينية لعملية الصمود هي حالة تلقينية وليست حوارية، وهذا ينعكس بأن يكون الفهم للمواجهة داخل التحقيق فهم اجتماعي ونفسي وليس فهم أيديولوجي لدى المناضلين.

الخاتمة

معلق أنا على مشانق الصباح
وجبهتي –بالموت- محنية
لأنني لم أحنها..حية!
* * *
يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين
منحدرين في نهاية المساء
في شارع الاسكندر الأكبر:
لا تخجلوا ولترفعوا عيونكم إليّ
لأنكم معلقون جانبي.. على مشانق القيصر
فلترفعوا عيونكم الي
لربما إذا التقت عيونكم بالموت في عيني
يبتسم الفناء داخلي..لأنكم رفعتم رأسكم مرة!(أمل دنقل)[245]

هي حكاية الآلآف من أبناء شعبنا، وعذاباتهم، هي ضريبة الحرية وثمن عبور الطريق، هو الدرب الشاق بما يحمل من أحزانٍ وأفراح، من سعادة وغضب، من قوة واستسلام، من انتصارات وانكسارات.. درب الحرية المثقل بالجراح والتضحيات، دربٌ يخوض غماره شبانٌ وهم يدركون حجم الألم والتضحية التي ستقدم بدءاً في التحقيق وصولاً إلى الموت.. والموت هنا لا يفهم سوى حياة، فهو موتٌ لمستقبل الآخرين لحريتهم.. ولكرامتهم، الموت هنا خلود.. والحياد موتٌ رغم الوجود.. والوجود لا يتحقق إلا بحضورٍ فاعلٍ في حيز الوجود.

تطورت أساليب التحقيق في السنوات الست الماضية مع التطور المستمر لأجهزة المخابرات الصهيونية في وسائل انتزاع المعلومات لتصفية المقاومة الفلسطينية بكافة تمظهراتها، أصبح التحقيق يعتمد على الضغط النفسي إضافة إلى وسائل جسدية لتشكيل ضغط جسدي- نفسي في الآن ذاته، وفي حالات معينة رفع مستوى الضغط الجسدي لدرجات تفوق الاحتمال لانتزاع المعلومات.

---

[245] كلمات سبارتاكوس الاخيرة

إن الغاية من كافة هذه الأساليب انتزاع المعلومات المتعلقة بفصائل المقاومة لاستهداف وجودها، لكن هذه الأساليب رغم الأثر والضغط والتعب الذي تشكله على المناضل لا تعدّ المؤثر الأساس في نتائج التحقيق، بل هناك عوامل اجتماعية ونفسية وعقائدية تحدد كيف تؤثر هذه الأساليب على المناضلين.

في الماضي كان العامل الأساس للصمود هو العامل الأيدولوجي، فالصراع المحتدم بين المشروع التحرري الفلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني يفرض على المناضلين عدم الاعتراف بالآخر العدو وعدم التجاوب أو التعاون معه، هذا من منطق سياسي أولاً ومن ثم أنتج بنيته النضالية والاجتماعية التي ترتكز على هذا المنطق والصمود أحد تجلياتها.

لكن الأمر تطور أكثر وأكثر بعد سنوات من نحت الفكر الأيدولوجي داخل المجتمع في ترسيخ القيم النضالية الأيدولوجية وتحويلها لقيم مجتمعية تقوم عليها العلاقات الاجتماعية الناتجة من خلال العملية التحررية، فالثورة هي إعادة خلق للإنسان ولمفاهيمه وقيمه وتصوراته ومعتقداته عن نفسه وعن عدوه من جديد، هذا الخلق لا يبقى محصوراً في البيئة النضالية بل يمتد لبنية المجتمع خاصة مع مراحل المد، فيعيد تشكيل علاقات المجتمع وفق قيم المشروع التحرري، وهنا أصبح الصمود ذا أساس جديد اجتماعي، وهذا كان له دور هام في بقاء هذا الفعل بين المناضلين بعد تراجع المشروع التحرري الفلسطيني، فلم يعد البعد الأيدولوجي هو رافعة الصمود بتراجع المشروع، فتولى المجتمع رفع هذا البعد، وإن كان ليس كما الشكل السابق في التحريض والحث عليه، فالصمود الآن حالة تشابك ما بين الموقف الأيدولوجي والاجتماعي والنفسي.

إن هذه العوامل مجتمعة أعادت هندسة المجتمع وبنائه بشكل جديد وإن كان منبعها الأساس تغير كما أشرنا، فالعائلة، والاصدقاء، والمجتمع، أصبحت بيئة تحرض على الصمود وتحث عليه، بل وتربي أطفالها على الصمود وثقافة الصمود بالمستوى العام وإن كانت بشكل اجتماعي عائلي وليس بتربية متواصلة وبتوضيح المفهوم وأبعاده وربطه بالحالة النضالية.

فأصبح الصمود في جزء منه مرتبط بالحفاظ على مفاهيم العائلة أو على العلاقة الجيدة مع الأصدقاء أوخوفاً من كلام المجتمع، أو حتى خوفاً من المساس برجولتهم فالاعتراف له انعكاسات على نظرة هؤلاء للمناضل، مما يجعله عاملاً في دفعه للصمود.

وفي مستوى آخر تلعب المصلحة الشخصية لبعض الأسرى في دفعهم للصمود حتى تخفف الاحكام بحقهم، وإن كانت الدوافع الايدولوجية مؤثرة لدى البعض خاصة أولئك الفاعلين في تنظيماتهم ولهم دور مهم فيها.

في جانب آخر يؤثر مسار وأحداث التحقيق على نتائجه، فكثيراً ما يأتي لمصلحة الأسير في حثه على الصمود ببعض المواقف البسيطة التي تؤثر عليه بهذا الاتجاه، عدا عن إدراك الأسير وسائل التعذيب وكيف يفكر في

تلك الأثناء، فالاقتداء بالنماذج الثورية وشحن الذات بالاغاني، ومعرفة تجارب سابقة واستذكارها في محطات معينة له دور في دفع الأسير لمواصلة الصمود، في الجهة المقابلة يكون وضع الأسير الصحي في التحقيق له تأثير سلبي على موقفه، أو وجوده مع فرد أو أفراد مجموعته المعترفين، عدا أن هناك بعض المهزومين أصلاً ينتظرون أقسام العملاء من أجل تقديم الاعتراف، وآخرون يثرثرون هناك ثم لا يستطيعون استدراك النفس عند اكتشافهم أنهم خدعوا من قبل المخابرات.

وعلى صعيد آخر، يكون التحقيق ولادة جديدة بالمعنى المعنوي، فالصمود يغذي المناضل بمعتقداته أكثر وأكثر، ويزيد من أنسجامه مع ذاته، ويشعره بالثقة من قبل الآخرين ومن نفسه، فالصمود محطة اختبار القناعات وتقييم قدرات النفس واستعداديتها، أما الاعتراف يهز النفس ويهز القناعات ويهز علاقات المناضل المختلفة، فيدفع الأسير إما للإنكفاء على الذات والنظرة السلبية للنفس ولكل ما هو عام، أو لمحاولة استرداد الثأر من خلال العودة للنضال لتكرار تجربة التحقيق، فالتحقيق ونتائجه محطة لا يمكن تجاوزها دون انبعاث جديد في حال الصمود، أو انكماش في حالة الاعتراف. **"في كل انسان هناك ضعف وقوة، شجاعة وجبن، صمود واستسلام، نقاء وقذارة.. فالمخلص يقاوم، والغادر يخون، والضعيف يتهاوى تحت اليأس، والبطل يقاتل" فوتشيك.**

في النهاية لعل النتيجة الأهم المستخلصة من كل التحقيق والبحث فيه، أننا كنا نملك مشروعاً جميلاً في الماضي، بقي القليل منه، ولأجل أسترداده علينا أن نسترد وجودنا الجماعي، والوجود لا يكون إلا بالحضور، والحضور هو.. الفعل، بحضورنا في مشروع تحرري جديد. وأنهي بكلمات فوتشيك في نهاية روايته تحت أعواد المشنقة.

"ليس هنالك عذر للذين أدركوا الفكرة وتخلوا عنها بعد ذلك.

اقترب دوري من نهايته. هذه النهاية التي لم أكتبها بعد. وهو أمر لا أعرفه بعد. فهو لم يعد دورا. بل الحياة .
وفي الحياة ليس هناك متفرجون.
الستاره تنسدل.
أيها الناس، لقد أحببتكم كونوا يقظين " (فوتشيك، د.ت).

قائمة المراجع

المراجع العربية

الكتب

- البرغوثي، مروان، عبد الناصر عيسى، عاهد أبو غلمة. (2010). مقاومة الاعتقال. رام الله، فلسطين: شركة مؤسسة الأيام.

- توما، أميل. (1972). جذور القضية الفلسطينية. الناصرة، فلسطين: المكتبة الشعبية.

- جرامشي، أنطونيو. (1994). كراسات السجن (عادل غنيم، مترجم). القاهرة، مصر: دار المستقبل العربي. (العمل الأصلي نشر سنة 1948).

- *رائد نزال: الإنسان، القضية، الموقف*. (2003). قلقيلية، فلسطين: مكتب يافا للثقافة والإعلام.

- زيادين، يعقوب. (1981). *البدايات: سيرة ذاتية: أربعون عاماً في الحركة الوطنية الأردنية*. عمان، الأردن: منشورات صلاح الدين.

- ساندز، بوبي. (2016). *كتابات من السجن*. (محمد الحموي، مترجم). لندن، بريطانيا: طوى للنشر والإعلام.

- سليمان، نبيل. (1982). *السجن*. بيروت، لبنان: دار الفارابي.

- سمارة، عادل. (2016). *الاقتصاد السياسي والطبقة*. رام الله، فلسطين: مركز بيسان للبحوث والإنماء.

- *صراع في الظلام : كيفية المواجهة في أقبية التحقيق*. (2005). القدس، فلسطين: مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية.

- عبد الحكيم، طاهر. (1978). *الأقدام العارية: الشيوعيين المصريين: خمس سنوات في السجون ومعسكرات التدريب* (ط. 2). بيروت، لبنان: دار ابن خلدون.

- عبد الله، حسن. (2003). *حضن الجماعة الدافئ وعصاها الغليظة: علاقة الفرد بالجماعة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين*. رام الله، فلسطين: نقابة الصحفيين الفلسطينيين.

- غيفارا، تشي. (1998). *مذكرات عن الحرب الثورية*. (د.فؤاد أيوب وعلي الطود، مترجمين). بيروت، لبنان: دار الفارابي. (العمل الأصلي نشر سنة 1963).

- فانون، فرانز (2014). *معذبو الأرض* (سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مترجمين). القاهرة. مصر: مدارات للأبحاث والنشر.

- *فلسفة المواجهة خلف القضبان*. عمان، الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع.

- فوتشيك، يوليوس. (د.ت) *تحت أعواد المشنقة*. (فارس غصوب، مترجم). نابلس، فلسطين: المكتبة الشعبية.

- قاسم، عبد الستار، العلي، عبد الرحيم، المفلح، فيصل، زكي، أحمد، وخروب، أسماء. (1986). *مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية*. بيروت، لبنان: دار الأمة للنشر.

- قطامش، أحمد. (1998). *لا..لن ألبس طربوشكم: صفحات من تجربتي في أقبية التحقيق*. دمشق، سوريا: دار كنعان للدراسات والنشر.

- قطامش، أحمد. (2011). *في التنظيم الثوري السري: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل أنموذجاً* حزيران *1967- أوسلو 1993*. رام الله، فلسطين (د.ن).

- القيمري، عطا. (1984). *السجن ليس لنا*. (د.ن).

- كلاين، نعومي. (2009). *عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث*(ط. 2). (نادين خوري، مترجم) بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

- كناعنة، مصلح ونتلاند، ماريت. (2003). *أعماق الذات المنتفضة*. حيفا، فلسطين: الجمعية النرويجية الفلسطينية-نوردباس وجمعية البلد الثقافية.

- كنفاني، غسان (1987). *روايات: العاشق ؛ برقوق نيسان ؛ الأعمى والأطرش*. بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية.

- ماكرنكو ، أ. (1978). *الجماعة وتكوين الشخصية*. (أسامة غزولي، مترجم). طشقند، أوزبكستان: دار التقدم.

- مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب. (2010). *واقع التعذيب في السجون الإسرائيلية وأثره على المعتقلين الفلسطينيين*. عمان، الأردن: دار الشروق.

- *مثلث الصمت المقدس* (مادة بلا اسم مؤلف أودار نشر).

- محاميد، آمنة. (2011). العنف والتعذيب ضد الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين. في مصلح كناعنة، رشاد توام، غسان عبد الله، ومحررون آخرون، *العنف والعدوانية الصهيونية-الإسرائيلية مظاهرها، أسبابها،* جذو*رها*. البيرة، فلسطين: جمعية إنعاش الأسرة.

- مصطفى، خليفة. (2010). *القوقعة: يوميات متلصص*. بيروت، لبنان: دار الأدب.

- الهودلي، وليد. (2003). *ستائر العتمة: تسعون يوماً منالمواجهة الملتهبة*. رام الله، فلسطين: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي.

- الهودلي، وليد. (2009). *ستائر العتمة: الجزء الثاني* (ط. 2). البيرة، فلسطين: مركز بيت المقدس للأدب.

- ولي، باسم ومحمد، جاسم. (2004). *المدخل إلى علم النفس الاجتماعي*. عمان، الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

- يوسف، يوسف سليمان. (1975). *مؤلفات الرفيق فهد: من وثائق الحزب الشيوعي العراقي* (د.ن).

رسائل ماجستير ودكتوراة

- جابر، فراس. (2010). السجن الإسرائيلي كمفهوم زماني ومكاني: دراسة في المفهوم والأثر. رسالة ماجستير في جامعة بيرزيت (غير منشورة). كلية الآداب، جامعة بيرزيت: بيرزيت، فلسطين.

الدوريات

- إلمي، ولد محمد. (2003). الأصل غير اليهودي للصهيونية. (ترجمة، مسعد عربي).*كنعان*، 113، 60-229.

- بدارنة، هديل (2015). "ما وراء قضبان الأسر الإسرائيلي: ما بين الجنسي والسياسي، جدل 24، 1-5. أخذ من الانترنت بتاريخ 2015/11/25 من http://mada-research.org/wp-content/uploads/2015/11/JDL24-2-Hadil.pdf

- روحانا، نديم. (2012). الهوية الوطنية الفلسطينية والحلول السياسية. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 23 (89)، 7- 19.

- سمارة، عادل. (2010، نيسان). الفلسطيني بين الاغتراب والانومي الاقتلاع من الوطن واقتلاع الوطن المفترض من الذاكرة.*كنعان*، 141، 91-123.

- سمارة، عادل. (2011، خريف). السياسي والمثقف: من الحياة مقاومة إلى مفاوضات العامل الحاسم: الخطاب، نمط الإنتاج أم التمويل.*كنعان*،147، 58-85.

- سمارة، عادل. (2015، حزيران) 5 حزيران وخصائص الكيان.*كنعان*، 3847.

- فراج، عبد الرازق. (2016). 3000 ليلة وحكاية من وراء القضبان. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 106، 201-208.

أوراق مؤتمرات

- سمارة، عادل. (2014، أيار). *الهزيمة بين جدل تجليسها وتخطيها: استهداف دائم يشترط هوية: المقاومة والتنمية والوحدة*. بحث مقدم في المؤتمر السنوي السابع دراسة: الإنسان والمجتمع والثقافة العربية- الإسلامية من خلال القضية الفلسطينية. جمعية إنعاش الأسرة: فلسطين.

المواقع الإلكترونية

- دقة، وليد. (2012). صهر الوعي أوفي إعادة تعريف التعذيب. تم استرجاعه بتاريخ 2016/10/1 على الرابط http://www.safsaf.org/12-2009/asra/walid-dakkah.htm

- ستالين، ج. (1938). المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية. تم استرجاعه بتاريخ 2017/1/1 على الرابط https://www.marxists.org/arabic/reference/stalin/1938/dialectical_and_historical_materialism.htm

- عودة الله، خالد. (2012). العلوم الاجتماعية الفلسطينية كمعرفة استعمارية. تم استرجاعه بتاريخ 2016\10\5 على الرابط /http://www.qadita.net/featured/khaled-3

- موقع مؤسسة الضمير. (2016). إحصائيات. تم استرجاعه بتاريخ،على الرابط http://www.addameer.org/ar/statistics

- ناشف، اسماعيل. (2011). في اللا/تحوّل في الممارسة والخطاب :إشكاليّة الثقافيّ الفلسطيني. تم استرجاعه بتاريخ 2016\10\5 على الرابط /http://www.qadita.net/featured/esmail

- نابلسي، رازي. (2017). سيناريوهات "الضم" بين الزاحف والمعلن. تم استرجاعه بتاريخ 2017\1\10 على الرابط http://bit.ly/2jmdPv5

- ناشف، اسماعيل. (2012). حول إمكانية دراسة النظم الاستعمارية، فلسطين نموذجاً. تم استرجاعه بتاريخ 2016\10\5 على الرابط /http://www.qadita.net/featured/ismaeel

المقابلات

- مقابلات مع أسرى خاضوا تجربة تحقيق

- مقابلة مع عادل سمارة في كانون الثاني 2017. بيت عور. رام الله . فلسطين المحتلة.

- وثائقي عقيدة الصدمة. استخرج (2017\1\10)
https://www.youtube.com/watch?v=BDwWV7FE3jA&t=178s.

- أبوخضير، ناصر (2017\1\17). "الحركة الوطنية الأسيرة، واقع انساني يتحدى السجان". محاضرة القيت في معهد امناء بيرزيت باستضافة ملتقى نبض الشبابي. رام الله-فلسطين

المراجع باللغة الانجليزية

Books

- Benedict, Anderson. (1991). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London, Britain: Verso.

- Butler, Judith. (1990). *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of* Identity. New York, NY: Routledge.

- Fanon, Franz. (1967). *A Dying Colonialism*. New York, NY: Prove Press.

- Hajjar, Lisa. (2005). *Courting Conflict: The Israeli Military Court System in the West Bank and Gaza*. Berkeley, California: University of California Press.

- Nashif, Esmail. (2008). *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community*. New York, NY: Routledge.

- Rosenfeld, Maya. (2004). *Confronting the Occupation: Work, Education and Political Activism of Palestinian Families in a Refugee Camp*. Stanford: Stanford UniversityPress.

- Rosenfeld, Maya. (2011). The Centrality of the Prisoners' Movement to the Palestinian Struggle Against the Israeli Occupation: A Historical Perspective. In A. Baker and A. Matar (Ed), *Threat:Palestinian Political Prisoners in* Israel (pp. 107-123). London, Britain: Pluto Press.

- Tajfel, Henri. & Turner, John. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel & W. Austin (Ed.), *Psychology of intergroup relations* (2nd ed, pp. 7-24). Chicago: Nelson-Hall.

Journals

- Bornstein, Avram. (2010). Palestinian Prison Ontologies, *Dialectical Anthropology*, 34 (4): 459-472.

- Massad, Joseph. (1995). Conceiving the Masculine: Gender and Palestinian Nationalism. *Middle East Journal*, 49 (3), 467-483.

- Meari, Lena. (2014). Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons, edited collection on power and resistance in prison settings, *South Atlantic Quarterly*, 113 (3): 547-578.

- Peteet, Julie. (1994). Male Gender and Rituals of Resistance in the Palestinian Intifada: A Cultural Politics of Violence. *American Ethnologist*, 21(1): 31-49.

Websites

- Freud, Sigmund. (2017, January 10) Sigmund Freud. Retrieved from http://www.iep.utm.edu/freud/

-